مجلة

# المجمع الفقهي الإسلامي

مجلة دورية
يصدرها المجمع الفقهي الإسلامي
برابطة العالم الإسلامي

العدد الخامس

# محتويات المجلة


❖ **رسالة خادم الحرمين الشريفين:**
الملك فهد بن عبد العزيز
ملك المملكة العربية السعودية ..... ١١

❖ **بين يدي المؤتمر:**
لمعالي الدكتور عبد الله عمر نصيف
الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ..... ١٧

❖ **كلمة:**
صاحب السماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد
ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ..... ٣١

❖ **الوثنية السياسية:**
لفضيلة الدكتور/طلال عمر با فقيه
مدير المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي «سابقاً» ..... ٤١

❖ **الحكم الشرعي في أحداث الخليج:**
لسماحة الدكتور/محمد سيد طنطاوي
مفتي جمهورية مصر العربية ..... ٤٩

❖ **مأساة الغزو العراقي وواجب العرب والمسلمين:**
لفضيلة الدكتور/أحمد عمر هاشم
نائب رئيس جامعة الأزهر ..... ١٠١

❖ بحث:
لمعالي الدكتور/محمد معروف الدواليبي
رئيس المجلس التنفيذي لمنظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي ببغداد
وعضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد برابطة العالم الإسلامي..... ١١٩

❖ كلمة:
للشيخ محمد عبد القادر آزاد
رئيس مجلس علماء باكستان وخطيب المسجد الملكي بلاهور..... ١٣١

❖ كلمة:
لسماحة العلامة الشيخ أبي الحسن الندوي
رئيس ندوة العلماء في الهند وعضو المجمع الفقهي الإسلامي
برابطة العالم الإسلامي ..... ١٣٩

❖ كلمة:
لفضيلة الدكتور الشيخ/محمد رشيد قباني
قائمقام مفتي الجمهورية اللبنانية وعضو المجمع الفقهي الإسلامي
برابطة العالم الإسلامي ..... ١٥١

❖ كلمة:
لفضيلة الدكتور التهامي نقرة
رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالجمهورية التونسية ..... ١٥٧

❖ كلمة:
لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوي
عضو المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي
وعميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بقطر..... ١٦٥

❖ **اعتداء صدام على الكويت:**
لفضيلة الدكتور/محمد رأفت عثمان
عميد كلية الشريعة والقانون بطنطا وأستاذ الفقه بجامعة الأزهر..... ١٧٧

❖ **حكم الشريعة في غزو العراق للكويت:**
لفضيلة الدكتور/ حسين حامد حسان ..... ١٨٩

❖ **الاستعانة بغير المسلمين:**
لفضيلة الشيخ/ مناع القطان
مدير المعهد العالي للقضاء (سابقاً)
والمشرف على الدراسات العليا بجامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض..... ١٩٥

❖ **حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد:**
لمعالي الشيخ / محمد بن عبد الله السبيل
الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف
وإمام وخطيب المسجد الحرام وعضو المجمع الفقهي الإسلامي
برابطة العالم الإسلامي ..... ٢٠٥

❖ **مع الأحداث في الخليج:**
لفضيلة الشيخ صالح الفوزان
عضو المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي ..... ٢٢٥

❖ **بيان من الأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية:** ..... ٢٣٧

❖ **بيان من دار الإفتاء في جمهورية مصر العربية:**..... ٢٤٥

❖ **بيان من الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت:**..... ٢٥١

❖ **بيان من هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية:**..... ٢٥٩

أبـــيـــض

# الرسالة التي وجهها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز

## إلى

## العلماء والمفكرين المشاركين في المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة الأوضاع في الخليج

أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز إلى الإخوة المشاركين من العلماء والمفكرين في المؤتمر الإسلامي العالمي بمكة المكرمة.

أيها الإخوة الكرام..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

في رحاب البلد الأمين، مكة المكرمة، حيث تنزَّل الوحي، وابتُعث الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وعلى أرض المملكة العربية السعودية التي وفقها الله سبحانه وتعالى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في كل شؤونها، وشرَّفها بخدمة الحرمين الشريفين نرحب بكم إخوة متعاونين على البر والتقوى، قائمين بالشهادة لله متواصين بالحق والصبر..

ونتمنى لكم التوفيق والسداد في مؤتمركم المبارك، سائلين الله تعالى أن يجعل أعمالنا كلها قربى إليه وسبيلاً إلى رضوانه..

أيها الإخوة..

إن مؤتمركم هذا ينعقد في فترة عصيبة تتطلب الضراعة إلى الله، والكلمة الشجاعة في قول الحق، والموقف الصادق في مواجهة البغي والعدوان، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾ [**الأحزاب**: ٧٠ – ٧٢].

ولا شك أنكم قد تابعتم الأحداث المحزنة وتطوراتها في منطقة الخليج والتي تجسدت في عدوان العراق على الكويت: عدوان وغزو واجتياح واحتلال.

فقد أقدم العراق على ارتكاب جريمة منكرة في حق الإسلام والأوطان والإنسان باحتلاله للكويت الشقيقة وتشريد أهلها واستباحة مقدراتها.

وتزداد هذه الجريمة بشاعة وقبحاً حين تعلمون أنها تمت ونحن منهمكون في إيجاد حل عادل وأخوي للنزاع الذي نشب بين الكويت والعراق.

كنا على اتصال نشط بالكويت والعراق وبأشقاء آخرين في سبيل احتواء النزاع بسرعة وحله بطريقة جذرية حتى تتمكن أمتنا من التفرغ لمواجهة قضاياها المصيرية.

في هذه الظروف باغتنا العراق بعدوانه على الكويت.

وكان لا بد من موقف شجاع وحاسم في مواجهة هذا العدوان.

أدنا العدوان وجرمناه بحزم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها".

وحين تأكدنا من أن العراق يبيت النية للعدوان على بلادنا بعد أن حشد الحشود الهائلة على حدودنا تحملنا مسؤوليتنا الدينية والأمنية والتاريخية فطلبنا قوات مساندة عربية وإسلامية وصديقة، وهذا حق تتيحه لنا مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء والمواثيق والأعراف الدولية وقد بيَّن ذلك علماء الإسلام في كل مكان.

ونؤكد لكم هنا: أن هذه القوات إنما جاءت بسبب هذا الغزو العراقي للكويت، وحشد القوات العراقية على حدود المملكة العربية السعودية وأنه متى ما زال السبب فإن المملكة العربية السعودية ستطلب من هذه القوات مغادرة أراضيها.

وحين ووجه المعتدي بالاستعداد القوي لردع عدوانه وبموقف سياسي واضح لجأ إلى الدعاية المضللة.

إن سبب العداوة الحقيقي لنا هو تمسكنا بشريعة الإسلام الحنيف، وأؤكد لعلمائنا وللأمة الإسلامية أننا ماضون أبداً بعون الله على نهج

الإسلام، وملتزمون دوماً بقضايا الإسلام والمسلمين مهما أرجف المرجفون ﴿**فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون**﴾.

أيها الإخوة:

إننا لم ننفرد بإدانة عدوان العراق على الكويت، بل نهض العالم العربي والعالم الإسلامي والعالم كله بمسؤوليته فأدان العدوان وأهله بوضوح وقوة ومثابرة جماعية ومن رحمة الله تعالى أن يجمع العالم على إدانة البغي والظلم والعدوان، فالمعتدي يجب أن يعلم أنه يعيش في عالم يرفض العودة إلى عصور الاحتلال وفوضى الهمجية والتوحش.

أيها الإخوة:

لقد كانت وقفة المسلمين في العالم معنا عزاءً عميقاً وعظيماً، وما زلت شديد التأثر بالاتصالات الرسمية والشعبية المتعددة الأساليب والتي تلقيتها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، إذ أن هذه الاتصالات كلها كانت تركِّز على تأييد المملكة ومساندتها في مواجهة العدوان وتأييد الإجراءات التي اتخذتها.

أيها الإخوة:

إن القضية واضحة تماماً، فالأزمة الخطيرة في الخليج والتي تنذر بانفجار رهيب في المنطقة لها سبب واحد وهو العدوان العراقي على أرض الكويت وسيادته، واستقلاله ومقدراته. وإن كان سبب الأزمة واضحاً تماماً فإن إنهاء الأزمة واضح تماماً أيضاً وهو إزالة السبب، ويتمثَّل ذلك في انسحاب العراق من الكويت بلا شرط وعودة الشرعية إلى هذا البلد العربي المسلم الشقيق.

إن كل مسلم صادق مخلص لدينه وأمته حريص على حقن دماء المسلمين مدرك للآثار الرهيبة للانفجار العسكري في المنطقة يجب عليه أن يسعى

بهمة وجد لإزالة أسباب المشكلة والأزمة وهي احتلال العراق للكويت.

وواجب العلماء والدعاة في هذا الصدد أكبر، فعليكم أيها الإخوة الأفاضل بذل ما تستطيعون لجمع كلمة المسلمين وإيضاح السبيل لهم لكي يستقيموا على هدى الله عز وجل ويعملوا على إطفاء الفتنة استجابة لقوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً** ﴾ [ **الأنفال** : ٢٥ ].

وحذراً من الوقوع تحت طائلة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب منه".

نسأل الله تعالى أن يقي أمتنا شرور التظالم والفتن والاقتتال، وأن يجعل لها من هذه الأزمة مخرجا.

آملين أن يتمخض مؤتمركم عن نتائج تعيد الأمور إلى نصابها وتحقق الآمال في إعادة الأمن واستتباب السلام في المنطقة وفي العالم بأسره.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

٢١ / صفر ١٤١١هـ

# بين يدي المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة الأوضاع الراهنة في الخليج

لمعالي الدكتور
عبد الله بن عمر نصيف
الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ففي جوار بيت الله الحرام .. وفي مهبط الوحي والنور، حيث تنزلت على الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم آيات الوحي الكريم، حاملة للإنسانية هدي الإسلام وهداه ودعوته إلى الحق والعدل والرخاء.

وعلى صعيد الأرض المقدسة التي بزغ منها فجر الإسلام، ودرج على ثراها الرعيل الأول الذين قادوا مواكب الدعوة الإسلامية إلى أرجاء المعمورة لإعلاء كلمة الله ونشر لواء التوحيد في كل مكان.

وفي هذه الرحاب الطاهرة التي باركها الله وحفظها على الدوام بكنفه ورعايته وجعل أفئدة المسلمين تتجه نحوها في صلواتهم خمس مرات في اليوم والليلة، وكلما حزبهم أمر أو تهددتهم الأخطار وتفرقت بهم السُبُل .. تتوجه الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بالترحيب بهذه النخبة الطيبة من علماء الإسلام ومفكريه وقادة الرأي في عالمنا الإسلامي، الذين استجابوا من منطق إدراكهم لعظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم، لداعي هذا المؤتمر الإسلامي العالمي .. وترجو لهم التوفيق والسداد في مشاركاتهم في أعمال المؤتمر.

وبعد:

ففي هذه المرحلة الدقيقة والخطيرة من التاريخ الإسلامي حيث تتصاعد التحديات والمؤامرات الهادفة لترسيخ الاحتلال الصهيوني البغيض في مدينة القدس الشريف أولى القبلتين وسائر الأراضي الفلسطينية.

وفي الوقت الذي يسعى فيه أعداء الإسلام جهدهم في انتهاك حرمات

المسلمين والاعتداء على شعائره في المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي وسواهما من المقدسات الإسلامية من خلال محاولات الهدم والطمس والتهويد.

وفي الوقت الذي تتزايد فيه قوى (الانتفاضة الشعبية) داخل الأراضي العربية المحتلة في فلسطين، معززة من وجودها في ساحة الأحداث، مؤكدة للعالم بأسره رفض أبناء الأراضي المحتلة كل محاولات الأعداء فرض مبدأ احتلال الأرض الفلسطينية بالقوة وفتح أبواب هجرة اليهود إليها من الاتحاد السوفيتي وسواه لتحقيق الاستيطان التوسعي على حساب تشريد صاحب الأرض والحق (الشعب الفلسطيني).

ووسط أجواء اعتزاز المسلمين في كل مكان وفخرهم بما تحقق في ساحة الجهاد الأفغاني من انتصارات ساحقة دحرت بفضل الله وتمكينه قوى العدوان الشيوعي وأعلت رايات النصر وبيارق الإيمان خفاقة، وبدأت مسيرة المجاهدين هناك نحو قطف ثمار الانتصار المبارك وإرساء أُسُس دولتهم الإسلامية.

وفي حين بدأت معطيات التضامن الإسلامي تؤتي أُكُلها بعد عقود طويلة من عمل المخلصين وجهاد المؤمنين، وبدأت ظاهر الوحدة والصحوة الإسلامية تحمل إلى المسلمين بشائر الخير من خلال تكامل وتضافر القوى والإمكانات والطاقات الإسلامية وتسخيرها لخدمة الأهداف الخيرة في تقدم ونهضة ورقي الأمة الإسلامية، وتأتي في الطليعة من ذلك ما سخرته المملكة العربية السعودية ودول الخليج وسواها من إمكاناتها وطاقاتها لدعم مسيرة تنمية وتقدم المجتمعات الإسلامية في كل مكان ومد العمل الإسلامي الشعبي بعطاء متدفق من المال والإمكانات في كل مجالات العمل الإسلامي.

في هذه المرحلة الهامة من تاريخ الإسلام جاءت الأحداث المفجعة في منطقة الخليج والناجمة عن الغزو العراقي لدولة الكويت واحتلاله لأراضيها،

وما صاحب ذلك من طرد لشعبها الآمن واستباحة لكل ما حرَّمه الله تعالى من حرمات للمسلم في دينه وماله وعرضه وفكره، لتوجه ضربة غاشمة أصابت الصميم من وجدان وفكر ومشاعر المسلمين في كل مكان، محدثة في كيان الوحدة الإسلامية وبنيان التضامن الإسلامي شرخاً بالغاً وصدعاً عميقاً، وأعطت العالم صورة قاتمة عن المسلمين ومدى مخالفتهم للمواثيق والمعاهدات الإسلامية والدولية.

وتتابعت آثار ونتائج وتفرعات ذلك العدوان حاملة في أعطافها المزيد من نذر الخطر الذي يتهدد المرتكزات الأساسية لوجود هذه الأمة وتاريخها ومعالم حضارتها وفكرها وتراثها، واضعة هذا الجيل من أمة الإسلام قادة وعلماء ومفكرين وشعوباً أمام تحدٍ خطير يقتضي منهم جميعاً الارتفاع إلى مستوى مسؤولية مواجهة هذا الخطر والقيام بموجبات أداء الأمانة في التناصح والتعاون والتشاور والتعاون على البر والتقوى ونصرة العدل والحق والأخذ على يد المعتدي والظالم عملاً بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [**الحجرات**: ٩].

ومن هنا فإن رابطة العالم الإسلامي، باعتبارها الهيئة الإسلامية الشعبية التي تتمثَّل فيها شعوب الأمة الإسلامية، والتي تتلمس من خلال موقعها ودورها المتميز نبض ومشاعر وأحاسيس المسلمين في كل مكان، والتي تعمل جاهدة على الدوام للتصدي للأخطار التي تتهدد المسلمين، وتسعى بما لديها من إمكانات لدرء تلك الأخطار عنهم، متآزرة ومتعاونة في ذلك مع العديد من الهيئات والمؤسسات الإسلامية الكبرى في العالم الإسلامي، وفي مقدمتها الجامع الأزهر في مصر.

فقد ظلت الرابطة عبر مسيرة جهادها في خدمة قضايا الإسلام والمسلمين على اعتقادها الراسخ الذي تدعو وتنادي إليه المسلمين جميعاً

حكاماً وشعوباً في أنه لا خلاص ولا حل لمشكلات المسلمين المعاصرة إلا بالاحتكام إلى شريعة الله تعالى التي تقدم على الدوام البديل الإسلامي الذي يحمل الحلول الشاملة لكل المشاكل التي تحل بالمسلمين، كما كانت الرابطة ترفض القوانين الوضعية وتنادي بالتخلص منها ونبذها امتثالاً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٥].

وانطلاقاً من مبدأ التشاور والتعاون على البر والتقوى فقد سارعت الرابطة بالدعوة إلى انعقاد هذا المؤتمر ليلتقي في رحابه هذا الجمع الطيب من علماء ومفكري وقادة الرأي الإسلامي لتدارس أبعاد وآثار الوضع والأحداث في منطقة الخليج بغية الوصول إلى بلورة رؤية إسلامية صافية وموقف إسلامي موحَّد في ضوء تعاليم الإسلام وآدابه وأحكامه الخالدة تجاه هذه الأحداث، وما ينبغي عمله لإطفاء نار الفتنة بما يتفق مع روح الإسلام وهديه الداعي إلى السلام والعدل والإخاء بين المسلمين جميعاً وتنبيه المسلمين إلى أبعاد الأخطار والفتن التي تتهددهم في المرحلة الراهنة.

وإن الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي لعلى ثقة كبيرة في أن ما حبا الله تعالى به هذه النخبة الصالحة من رجالات الإسلام من إخلاص للعمل الإسلامي وحرص على صلاح أمر المسلمين وخيرهم وتقدمهم، والذي كان الباعث الأساسي الذي حدا بهم إلى سرعة الاستجابة لداعي هذا المؤتمر للإسهام بكل إخلاص وتجرد في إبراز وتأكيد معاني الإخوة الإسلامية التي تجعل المسلمين جميعاً (**كالجسد الواحد إذا اشتكا منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**) .. سوف يكون هو أيضاً بإذنه تعالى الحادي لخطاهم والملهم لآرائهم وأفكارهم لبيان حكم الله عز وجل القائم على الحق والعدل بشأن مختلف جوانب الأحداث الجارية.

ولعل فيما يأتي من النقاط ما يتناول أبرز الموضوعات المطروحة على ساحة الأحداث والتي يمكن أن تكون موضوع محل وتدارس المؤتمرين وصولاً

إلى بيان حكم الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بشأنها.

١- لعدوان العراقي الغاشم على دولة الكويت وما صاحبه من صور السفك للدماء والنهب للأموال والممتلكات والهتك للأعراض والترويع للآمنين، ونقض كل العهود والمواثيق والاتفاقات والالتزامات الثنائية والإقليمية والدولية التي تحكم العلاقات بين البلدين يتنافى مع مقتضيات الإخوة الإسلامية وما جاءت - آي الذكر الحكيم وأحاديث السُنَّة النبوية المطهَّرة - داعية إليه من العدل في التعامل والوفاء بالعهود وحسن الجوار ومحذرة من مغبة الظلم والغدر والعدوان.

يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [**الأنعام**: ٢١]. وسجَّل القرآن الكريم لعنة الله وسخطه على الظالمين بقوله تعالى: ﴿**أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [**هود**: ١٨] وبقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾ [**غافر**: ٥٢] وقوله جل شأنه: ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا**﴾ [**يونس**: ١٣] وقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**﴾ [**الحج**: ٣٨].

وحرَّم الإسلام ترويع المسلمين بقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: "لا يحل لمسلم أن يروِّع مسلماً"، ونهى عن الغدر والخيانة والغيلة ونقض العهود .. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الغادر يُرفع له يوم القيامة إذا اجتمع الناس من الأولين والآخرين لواء فيُقال هذه غدرة فلان ابن فلان"، ويقول عليه الصلاة والسلام: "لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له" وفي حديث آخر: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته" وذكر من بينهم: "رجل أعطى عهداً ثم غدر".

وفي الحديث المتفق على صحته يقول عليه الصلاة والسلام: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من خصل النفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا

عاهد غدر، وإذا خاصم فجر".

٢- إن الاعتداء على المسلمين والتهديد بغزو أراضيهم بدعوى إعلان (الجهاد) إنما هي دعوة باطلة لا تتفق مع حقيقة الجهاد وجوهره وأصوله كما بينها الإسلام، وحددت معالمها آيات القرآن الكريم والسُنة النبوية المطهرة.

إن الجهاد الحقيقي في ضوء الإسلام مفهوم سامٍ وعظيم يقوم على طهارة ونبل الهدف والغاية والوسيلة .. فالجهاد هو ذروة سنام الإسلام وقبته.

وهدف الجهاد الأسمى هو إعلاء كلمة الله وليس الاعتداء والتوسع والاستيلاء، يقول الله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [**البقرة**: ١٩٠] ويقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله".

ولئن أكد الإسلام على فضل الجهاد وعظم مكانته فإن المجاهد الحق ينبغي أن يكون في خلقه ومعاملته وسلوكه وفكره تجسيداً صادقاً لكل تلك المعاني والغايات التي يمثلها الجهاد مقتدياً بالمجاهد الأعظم رسول هذه الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

لذا فلا يمكن أن تكون أعمال الغدر والظلم والعدوان وتهديد الشعوب الآمنة عملاً من أعمال الجهاد ولا يمكن للذين استباحوا حرمات الإسلام والمسلمين أن ينتحلوا صفة المجاهدين ويستتروا خلف دعاوى الجهاد، وإنما يصدق في حق هؤلاء قول المصطفى عليه الصلاة والسلام: "من خرج على أمتي بسيفه يضرب برها وفاجرها لا يحاشي مؤمناً في إيمانه لا يفي لذي عهد بعهده فليس من أمتي".

٣- إن اللجوء إلى اغتصاب أراضي الغير بالقوة والعدوان ثم رفع الادعاءات بحقوق تاريخية مزعومة يعد سبقاً خطيراً يتنافى مع ما أرسته أحكام

الشريعة الإسلامية من الاحتكام إلى الشرع والحرص على تحقيق العدالة وتبيان الحقوق.

كما أنه يلحق في الوقت نفسه ضرراً فادحاً بالأمة الإسلامية ليس فقط بإعطائه التبرير والحجة للاحتلال الصهيوني الغادر الذي يسعى جاهداً لبث نفس هذه الادعاءات بهدف إضفاء الصفة الشرعية لاحتلاله للأرض الفلسطينية وطرد شعبها وجلب المستوطنين اليهود من أرجاء الأرض لاحتلالهم فيها بدلاً من أبناء الشعب الفلسطيني.

إن المناداة بدعوى الحقوق التاريخية لغزو أرض الغير وما يترتب عليه من إعادة رسم خارطة العالم سوف يشكل تهديداً خطيراً يسيء بالدرجة الأولى إلى الدول الإسلامية التي ستكون عرضة للعدوان وميداناً للصراعات والحروب فتكون أول الخاسرين وأكبرهم تمزقاً واختلافاً وضعفاً.

٤- إن المناداة بإعادة توزيع الثروات في العالم العربي واستعداء الفقراء على الأغنياء والسعي لسلب الأموال والممتلكات واغتصابها إنما هي دعوة شيطانية شيوعية تبتغي إعطاء السارق وقاطع الطريق والناهب والمتعدي الحق في السطو على حقوق الآخرين وانتزاع الأموال والممتلكات من أيدي الناس وتتجافى مع أحكام الشريعة الإسلامية التي حددت الحقوق في أموال المسلمين، وأرست أسس حرمة المسلمين وحرمة ممتلكاتهم ما أدوا الحق الشرعي فيه، كما يبين ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه".

٥- إن الدول العربية والإسلامية والتي تلجأ إلى الوسائل والسبل الممكنة والمتاحة من مادية ومعنوية وفقاً لما تضمنته ونظمته أحكام المعاهد والمواثيق الدولية وذلك في سبيل رد واتقاء خطر العدوان الذي يتهددها، إنما تمارس بذلك حقاً كفلته لها وأكدته الشريعة الإسلامية التي أباحت

لمن يتعرض للظلم والعدوان أن ينتصر لنفسه وأن يتخذ من الإجراءات ما يرفع العدوان عنه أو يدفعه أو يزجره ويحول دون امتداد آثاره وتوسع أبعاد أخطاره عملاً بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٠ - ٤٢] فقوله جل شأنه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩].

كذلك فإن الضرورة تعطي ولي الأمر صلاحية ترجيح الأمر الذي يكفل حماية الأنفس والأموال وإلا اضطر للاستعانة بغير المسلمين.

ومن هنا.. فإنه من الضرورة بث روح الجهاد الصحيح في أوساط المسلمين وتدريب أبنائهم وشبابهم عسكرياً وإعدادهم إيمانياً حتى يذودوا عن حياض الدين ويدفعوا عن ذمار أمتهم عملاً بقول الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وليتحقق بذلك استغناء المسلمين عن الاستعانة بغيرهم لصد المعتدين عليهم.

٦- إن الواجب الملقى على عاتق الأمة الإسلامية قادة وحكومات وعلماء وشعوبا إزاء هذه الأخطار والتهديدات المحدقة، الوقوف في وجه الفئة الباغية ومناصرة الفئة المظلومة بكل ما هو متاح وممكن من وسائل الاستنكار والتنديد والعمل على رفع الظلم وإزالة آثاره المادية والمعنوية والسعي لإحقاق الحق والعدل.

ولا يجوز في هذا الشأن مجاملة المعتدي أو مساعدته في تبرير ظلمه وعدوانه

عملاً بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً**﴾ [**النساء**: ١٠٥] وقوله تعالى:﴿**واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً**﴾ وقوله تبارك وتعالى: ﴿**وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً**﴾ [**النساء**: ١٠٧] وقوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾ [**الأنفال**: ٢٥] وامتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده" وقوله صلى الله عليه وسلم: "**كلا والله لتأمُرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذُن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصُرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم**".

٧- إن مسؤولية خدمة الحرمين الشريفين ورعاية شؤونهما كان على الدوام التزاماً أساسياً في سياسة المملكة العربية السعودية تسخر في سبيله كل الإمكانات المتاحة وتتجلى عناية واهتمام قادة وحكومة المملكة بخدمة الحرمين الشريفين فيما تبذله في سبيل عمرانهما وصيانتهما وتيسير السُبُل وتسهيلها أمام من يفد إليهما من الحجاج والزوار والمعتمرين مسترخصة في سبيل أداء مقتضى هذه الأمانة بكل غال ورخيص.

إن سجل المملكة العربية السعودية قيادة وحكومة وشعباً المشرق والناصع عبر تاريخها الحديث في خدمة الحرمين الشريفين يدحض كل أشكال الافتئات والافتراء التي تحاول سدىً التشكيك في حرص وغيرة هذه البلاد على حرمة وقدسية الحرمين الشريفين من أي انتهاك أو تدنيس.

وإن ما اتخذته القيادة الحكيمة في المملكة من إجراءات عسكرية لتعزيز قدراتها الدفاعية وتحصين أطراف حدودها في وجه القوى الباغية التي جاهرت بنواياها العدوانية إنما يدخل في إطار الحق المشروع في الدفاع عن النفس والمال والعرض وإعداد العدة لزجر المعتدي ورد كيده وصيانة لهذه البلاد ومقدساتها وأهلها من الانتهاكات وصور البغي التي حلت

بدولة الكويت وشعبها المسلم.

كما إن التدابير التي اتخذها ولي الأمر في هذه البلاد في ضوء تقديره لأبعاد الأخطار التي تتهدد البلاد وحجم العدوان المتربص بها والتي تضمنت قراره الاستعانة بقوات عسكرية من دول عربية وإسلامية وصديقة لتعزيز القدرات الدفاعية والتدريبية لجيش هذه البلاد، إنما جاءت في إطار الضرورة القصوى الناجمة عن العدوان الغاشم على دولة الكويت، والمجاهرة بالتهديد السافر بالعدوان على هذه البلاد وسواها وتأكيد ذلك بحشد القوات العسكرية والتصريح باستعمال الأسلحة الكيماوية الفتاكة .. كذلك فإن التدابير التي اتخذت لتنظيم وجود وعمليات تلك القوات من حيث تحديد أماكن تواجدها وزمن حضورها ومغادرتها يعكس بجلاء حرص القيادة والحكومة في هذه المملكة على حصر استخدام تلك القوات ما أمكن في مجالات وحالات الضرورة القصوى والمؤقتة.

٨- إنه مما ينبغي التنبيه إليه والحرص على تأكيده وإظهاره عدم مؤاخذة عامة الشعب العراقي المسلم بجريرة الفئة الحاكمة في العراق، إذ لا ينبغي أن يُضار أبناء الشعب المسلم في العراق بما اقترفته أيدي حكام العراق من عدوان وظلم وانتهاك للحرمات وخروج على الشرعية الدينية والقانونية والدولية، خاصة إذا ما عُلم أن الشعب العراقي نفسه لم يسلم من سياسات القتل والترويع باستخدام شتى وسائل القتل الجماعي من الغازات السامة وغيرها.

٩- إن الواجب المناط بعلماء المسلمين ومفكريهم وسط هذه الأحداث المفجعة يتطلب منهم العمل في إطار منهاج إسلامي يهدف إلى:

أ- وضع الأمور في نصابها وفق أحكام الشريعة الإسلامية الغراء لإزالة العدوان وآثاره وتنبيه المسلمين إلى خطورة الموقف القائم وما قد يجره

من أضرار وخراب والعمل الصادق على الخروج بالمسلمين من خضم الفتنة التي حاكها الأعداء.

ب- تنبيه المسلمين وتبصيرهم بأخطار الفتن وتوعيتهم بما يجب عليهم في بحثهم عن الخيارات لإنهاء المشكلة بما يحقق عودة الشرعية الكويتية وتجنيب المسلمين ويلات حرب مدمرة لا سمح الله.

ج- العمل على تهدئة الأمور وجمع كلمة العلماء والدعاة والمفكرين المسلمين لتجنيب الأمة الإسلامية مزيداً من الفرقة والاختلاف مع التأكيد على ضرورة ضبط النفس والرجوع إلى مصادر الشريعة والفقه الإسلامي عند إصدار الفتاوى وبيان الأحكام الشرعية.

د- بيان حكم الله عز وجل فيمن يحاول التضليل والتلبيس على المسلمين وخداعهم متخذاً الإسلام مطية لدعواه الباطلة، مثل الدعوة دونما موجب إلى الجهاد لتحرير الأراضي المقدسة.

هـ- تذكير المسلمين جميعاً بالحاجة إلى التوبة الصادقة والعودة المخلصة إلى الله عز وجل والعمل على إزالة كل أسباب مقت الله وغضبه في مجتمعاتنا وتطهيرها من موبقات الربا والزنا وغير ذلك.

١٠- التوجه بالنداء المخلص الصادق، من جوار بيت الله الحرام ومهبط الوحي ومنطلق الإسلام، على لسان علماء المسلمين ودعاته، إلى الرئيس العراقي صدام حسين ومطالبته بالرجوع إلى الحق والاستجابة إلى النداءات المتكررة المطالبة بانسحاب الجيوش العراقية من دولة الكويت حتى يعود الشعب الكويتي وسلطته الشرعية إلى بلاده في عزة وأمن مستأنفين حياتهم الكريمة في إطار النهضة الإسلامية الشاملة، وحتى يتم حقن دماء المسلمين وتنحسم مادة الفتنة التي تهدد بمخاطرها الشعب العراقي المسلم وشعوب المنطقة.

قال جل شأنه:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [ التوبة : ١٠٥ ]

أبـــيـــض

# كلمة صاحب السماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

## الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد ورئيس المجلس التأسيسي للرابطة

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة صاحب السماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من المسلمين، سلك الله بي وبهم سبيل عباده المؤمنين، وأعاذني وإياهم من أخلاق المغضوب عليهم والضالين. آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أما بعد:

فقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، وقال عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، وقال عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾، وقال سبحانه: ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةٍ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ والآيات في الأمر بالتقوى وطاعة الله ورسوله وبيان عاقبة المتقين كثيرة جداً.

وقد أوضح الله سبحانه فيما ذكرنا من الآيات أنه عز وجل خلق الثقلين لعبادته وأمرهم بها كما ذكر سبحانه أنه أمر جميع الناس بعبادته وتقواه، وهكذا أمر المؤمنين بوجه خاص بتقواه والقيام بحقه، كما أمرهم سبحانه بالاعتصام بحبله والتمسك بشرعه، وأمرهم أن يقوا أنفسهم وأهليهم عذاب الله عز وجل، وأمرهم عز وجل بأن يتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منهم خاصة، بل تعم الجميع.

وأوضح سبحانه أن من أسباب محبة الله للعباد ومن علامات الصدق في محبة العبد ربه ومحبة الله له أن يتبع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ويتمسك بشرعه في قوله وعمله وعقيدته.

كما أوضح سبحانه أن من صفات المؤمنين وأخلاقهم العظيمة أنهم أولياء فيما بينهم وأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

فالواجب على جميع المسلمين في كل مكان أن يعبدوا الله وحده، وأن يتقوه بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وأن يتحابوا في الله، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، لأن في ذلك سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة ولأن ذلك أيضاً من أسباب نصرهم على أعدائهم وحمايتهم من مكائدهم وشرهم، كما قال الله عز وجل:﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ وقال سبحانه:﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

والتقوى هي طاعة الله ورسوله، والاستقامة على دينه، وإخلاص العبادة لله وحده والتمسك بشريعة رسوله، والاستقامة على دينه، وإخلاص العبادة

لله وحده والتمسك بشريعة رسوله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً وعقيدة.

وهي الإيمان والعمل الصالح، وهي الإسلام الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه كما قال عز وجل: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم**﴾ وقال عز وجل: ﴿**مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾، وقال عز وجل: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾ وقال عز وجل: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾، وقال تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضين لكم الإسلام دينا**﴾، وقال سبحانه:﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾، وقال تعالى موصياً لعباده المؤمنين بالصبر والتقوى والحذر من أعداء الله: ﴿**وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط**﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ولا يخفى ما وقع في هذه الأيام من عدوان دولة العراق على دولة الكويت واجتياحها بالجيوش والأسلحة المدمرة. وما ترتب على ذلك من سفك الدماء وهتك الأعراض وتشريد أهل البلاد وحشد الجيوش على الحدود السعودية الكويتية.

ولا شك أن هذا من دولة العراق عدوان عظيم وجريمة شنيعة يجب على الدول العربية والإسلامية إنكارها. وقد أنكرها العالم واستبشعها لمخالفتها الشرع المطهر والمواثيق المؤكدة بين الدول العربية والدول الإسلامية وغيرهم إلا من شذ عن ذلك ممن لا يلتفت إلى خلافه. ولا شك أن ما حصل بأسباب الذنوب والمعاصي وظهور المنكرات وقلة الوازع الإيماني والسلطاني.

فالواجب على جميع المسلمين أن ينكروا هذا المنكر، وأن يناصروا الدولة المظلومة، وأن يتوبوا إلى الله من ذنوبهم وسيئاتهم، وأن يحاسبوا أنفسهم في

ذلك، وأن يتعاونوا على البر والتقوى أينما كانوا، ويتناصحوا ويتواصوا بالحق والصبر عليه في جهاد أنفسهم وفي جهاد عدوهم ومن اعتدى عليهم، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً وأن يكونوا صفاً واحداً وجسداً واحداً وبناءً واحداً ضد العدو وضد الظالم سواء كان مسلماً أو غير مسلم. كما قال الله عز وجل: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾، وقال عز وجل: ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"، وقال صلى الله عليه وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" ((وشبك بين أصابعه)) والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

والواجب على رئيس دولة العراق أن يتقي الله ويتوب إليه وأن يبادر بسحب جيشه من دولة الكويت ثم يحل المشكلة التي بينه وبين دولة الكويت بالحلول السلمية والصلح العادل والتفاهم المنصف.

فإن لم يتيسر ذلك فالواجب تحكيم الشرع المطهر بتكوين محكمة شرعية مكونة من جماعة العلماء المعروفين بالعلم والفضل والعدالة للحكم بينهم كما قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللّهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ الآية. وقال عز وجل ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ وقال سبحانه: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ أقسم سبحانه في هذه الآية الكريمة أن الناس لا

يؤمنون حتى يحكموا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم.

ونسأل الله لجميع قادة المسلمين من العرب وغيرهم التوفيق والهداية لما فيه سعادة الجميع وصلاح قلوبهم وأعمالهم واستتباب الأمن بينهم، كما أسأله أن يعيذ الجميع من طاعة الهوى والشيطان إنه سميع قريب.

وأما ما اضطرت إليه الحكومة السعودية من الأخذ بالأسباب الواقية من الشر والاستعانة بقوات متعددة الأجناس من المسلمين وغيرهم للدفاع عن البلاد وحرمات المسلمين وصد ما قد يقع من العدوان من رئيس دولة العراق، فهو إجراء موفق ومسدد وجائز شرعاً وقد صدر من مجلس هيئة كبار العلماء - وأنا واحد منهم - بيان بتأييد ما اتخذته الحكومة السعودية في ذلك، وأنها أصابت فيما فعلت عملاً بقوله سبحانه: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾.

ولا شك أن الاستعانة بغير المسلمين في الدفاع عن المسلمين وعن بلادهم وحمايتها من كيد الأعداء أمر جائز شرعاً، بل واجب محتم عند الضرورة إلى ذلك. لما في ذلك من إعانة المسلمين وحمايتهم من كيد أعدائهم وصد العدوان المتوقع عنهم. وقد استعان النبي صلى الله عليه وسلم بدروع استعارها من صفوان بن أمية يوم حنين، وكان كافراً لم يسلم ذلك الوقت. وكانت خزاعة مسلمها وكافرها في جيش النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ضد كفار أهل مكة.

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنكم تصالحون الروم صلحاً آمناً وتغزون أنتم وهم من ورائكم فتنصرون وتغنمون" أخرجه الإمام أحمد وأبو داود بإسناد صحيح.

ونصيحتي لأهل الكويت وغيرهم من المسلمين في كل مكان ولرئيس دولة العراق وجيشه أن يجدِّدوا توبة نصوحاً وأن يندموا على ما سلف من الذنوب، وأن يقلعوا منها وأن يعزموا على عدم العودة فيها، لأن الأدلة الكثيرة من

الكتاب والسُنة قد دلت على أن كل شر في الدنيا والآخرة وكل بلاء وفتنة فأسبابه المعاصي وما كسبته أيدي العباد من المخالفة لشرع الله. كما قال الله سبحانه: ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾، وقال عز وجل:﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾، وقال عز وجل: ﴿ **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون** ﴾.

ولما وقعت الهزيمة يوم أحد على المسلمين وأصابهم ما أصابهم من القتل والجراح بأسباب إخلال الرماة بموقفهم وتنازعهم وفشلهم وعصيانهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بلزوم الموقف وإن رأوا المسلمين قد انتصروا واستنكر المسلمون ذلك وعظم عليهم الأمر أنزل الله قوله تعالى: ﴿**أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها** ﴾ يعني يوم بدر ﴿ **قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير** ﴾.

وقد أخبر سبحانه في كتابه العظيم أن التوبة سبب للفلاح وتكفير السيئات والفوز بالجنة والكرامة، فقال الله عز وجل:﴿**وتوبوا إلى الله جميعاْ أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ وقال سبحانه: ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاْ ثم اهتدى** ﴾، وقال عز وجل:﴿**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاْ** ﴾ الآية.

ومن أعظم مظاهر التوبة وأوجبها الإخلاص لله وحده في جميع الأعمال، والحذر من الشرك كله دقيقه وجليله وصغيره وكبيره، والعناية بالصلوات الخمس وإقامتها في أوقاتها من الرجال والنساء، والمحافظة عليها من الرجال في المساجد التي أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، والعناية بالزكاة والصيام وحج البيت والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتناصح والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه.

وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، ويصلح قلوبهم وأعمالهم ويمنحهم الفقه في الدين، وأن يُصلح

قادتهم جميعاً، ويوفقهم لتحكيم شريعته، والتحاكم إليها، والرضا بها، وترك ما يخالفها، وأن يصلح لهم البطانة، ويعينهم على كل خير، ويهديهم جميعاً صراطه المستقيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا وإمامنا وسيدنا إمام المتقين وقدوة المجاهدين وخير عباده أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

حرر في ١٤١١/١/٢٦هـ

■ صورة القوات العراقية الغازية في الكويت ■

أبـــيـــض

# الـوثـنيـة الـسـيـاسـيـة

## لفـضـيـلـة الدكـتـور/ طـلال عـمـر بـا فـقـيـه
## مدير المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي
## (سـابـقـاً)

أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م اجتاحت قوات صدام حسين الكويت بعد إعطاء الأخير تعهدات بعدم الغزو، وعاثت قواته في الكويت فساداً وتخريباً وقتلاً وهتكاً للأعراض وحرقاً للمقدرات الوطنية. فتدخلت الزعامات العربية والدولية وناشدت صداماً بسحب قواته ولكن دون جدوى.

وسعى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز جاهداً لاحتواء الأزمة وناشد صداماً بسحب قواته ومنع هذه الجرائم والموبقات التي ارتكبها نظامه ولكن دون فائدة.

وحذر الرئيس المصري حسني مبارك صداماً من مغبة هذا الوضع وأنه سيسفر عن نتائج خطيرة ضد العراق وأيضاً لم يحظ الرئيس المصري بفائدة.

وتدخل زعماء العالم أجمع وناشدوا صداماً وبعضهم قام بزيارات له في بغداد، ولكن الشيطان كان متلبساً به فوجَّه العالم إنذاراً له بأن التدخل العسكري هو الخيار الوحيد في حالة عدم انسحابه بعد إعطائه مهلة كافية للانسحاب وفرض عقوبات اقتصادية على العراق قصد إجباره على الانسحاب.

وانتهت المدة ولم ينسحب، فقامت قوات الائتلاف المكونة من ثمان وعشرين دولة بضرب قواته وكان كل ذلك بقرارات مجلس الأمن. وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة لقوات صدام وتم فرض عقوبات جديدة على نظام صدام تتمثَّل في تدمير ما يمتلكه من أسلحة الدمار الكيميائية والجرثومية والصواريخ التي يبلغ مداها ١٥٠ كم وتعويض الكويت وتعويض نفقات الحرب وهذه نتائج حتمية الوقوع لمن كان يتابع تطورات الموقف في أزمة الخليج.

إلا أن المؤسف حقاً أن بعضاً من أدعياء العلم انتقدوا وجود قوات

أجنبية والاستعانة بها، وحاولوا أن يضفوا على العمليات العسكرية صبغة إسلامية قصد التشويش وكسب عواطف العامة وتحريك الشارع العربي والإسلامي ضد ذلك الوجود، وجهل هؤلاء أو تجاهلوا أن أمر الاستعانة لا يصادم الشرع، بل في الشرع أمثلة له.

ففي السُنة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وسلم عقد اتفاقية بينه وبين اليهود، تتضمن هذه الاتفاقية مناصرة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود في حالة تعرضهم لعدوان، وكذلك مناصرة اليهود للرسول عليه الصلاة والسلام إن تعرض لعدوان وإليك نص الاتفاقية:

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهوداً وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وإن المؤمنين لا يتركون مغرماً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو

عقل ... **وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة** غير مظلومين ولا متناصر عليهم ... وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ إلا بنفسه وأهل بيته وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم وإن ليهود بني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف وإن البر دون الإثم وإن موالي ثعلبة كأنفسهم وإن بطانة يهود كأنفسهم وإنه لا يخرج منهم أحداً إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم وإن الله على ابر هذا وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم **وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة** وإن بينهم النصح والنصيحة وإن النصر للمظلوم وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة **وإن بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين**) أ.هـ.

كما إن الفقه الإسلامي بجميع مذاهبه أجاز الاستعانة في حالة الحاجة وهذه أقوال المذاهب:

١- جاء في فقه الزيدية بأنه تجوز الاستعانة مع الحاجة ورجاء النفع وإن الأمر مفوَّض إلى نظر الإمام.

٢- مذهب أهل البيت رحمهم الله الجواز.

٣- مذهب الحنفية رحمهم الله جواز الاستعانة عند الحاجة.

٤- مذهب المالكية رحمهم الله الجواز، بل توسعوا فأجازوا الخروج مع الإمام الكافر.

٥- مذهب الشافعية رحمهم الله جواز الاستعانة.

٦- مذهب الحنابلة رحمهم الله الجواز مع الحاجة.

ثم حاول أولئك التشويش من غير وازع من ضمير أو دين القول بتوزيع الثروة، وهذا لعمري منطق يجافي الإسلام، فلا أعرف كيف يصدر من أشخاص يدعون الإسلام، فمسألة الغنى والفقر مسألة فرغ منها الشرع فالله يعلم حال عباده فيبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، فهذه شحاتة أو نهب أرادوا أن يضفوا عليها صبغة إسلامية مع أن المملكة العربية السعودية والكويت وغيرهما من دول الخليج سجلاتهم طافحة بالمعونات المالية الضخمة لأولئك الذين نادوا بالتوزيع فالسودان يعيش من معونات السعودية والكويت؛ واليمن ميزانيته ومنشآته الوطنية تمول جميعها من المملكة العربية السعودية والكويت؛ وأيضاً تونس وموريتانيا تعيشان من المعونات السعودية ومن الكويت وغيرهما من دول الخليج فلا أدري لماذا لم يراجعوا سجلاتهم ليعرفوا العون المالي وضخامته من السعودية والكويت.

وأخيراً وبعد انتهاء العمليات العسكرية وسحق قوات صدام وخضوعه لكل الشروط التي فُرضت عليه بعد الهزيمة لم ينته الوضع عند هذا الحد فنشأت في الشمال قضية الأكراد الذين طالما عذبهم صدام وأبادهم بشكل جماعي مستخدماً ضدهم أسلحة الدمار الشامل؛ فبعد الانتهاء من هزيمته وقيام الأكراد بالمطالبة بحقوقهم قام صدام بضربهم وهدم دورهم وقراهم وتشريدهم فلجأ أكثر من مليون كردي إلى إيران ومئات الآلاف إلى تركيا وكانوا ضحايا التعذيب والتشريد والقتل فتدخل المجتمع الدولي لحمايتهم فخضع صدام للحوار معهم وأرغم على إعطائهم حقوقهم ومنها الحكم الذاتي إلا أنه رفض إعطاء ضمانات دولية وقامت في الجنوب العراقي قضية الشيعة، وهكذا أثبت صدام لشعبه وللعالم أجمع أنه رجل غير مهيأ للحكم ولا تتوفر فيه صفات الحاكم الذي يوفر لشعبه وبلاده العيش بكرامة.

بل على العكس من ذلك أثبت لشعبه أنه عدو لهم جلب لهم الدمار والذلة وأثبت للعالم أجمع أنه غبي بكل دلالات هذه الكلمة وأنه رجل متعطش للدماء لا تتوفر فيه الصفات الإنسانية فضلاً عن صفات الحاكم القدير الأمين الذي يقدر المواقف ولذا ينادي الآن المجتمع الدولي بمقاطعة العراق ما دام صدام حسين في السلطة؛ ونحن نناشد إخواننا في العراق بالتخلص من مجرم الحرب هذا الذي جلب الدمار لشعبه وبلاده وضرب مقومات الدول العربية ومقدراتها وأوجد الانشقاق في الصف العربي والواقع أن كل ذلك الدمار الذي حل بالعراق نتيجة الاستبداد في الرأي والانفراد في اتخاذ القرار ولا يوجد من يجرؤ على إظهار المخالفة وإلا كان مصيره القتل وعدم احترام رغبات الشعب واستعمال القهر والتعذيب والقتل لكل من يظن أنه لا يرضى بمنهج صدام فكان صنم العراق ووثنه والكل من أعوانه منحن له مبدياً إعجابه بتصرفاته مما أثر ذلك في نفسية صدام فظن أنه فعلاً القائد المحنك والزعيم المهيب بينما أثبت الواقع أنه غير ذلك فأسأل الله أن يعجل به وبأعوانه إنه على كل شيء قدير.

■ صورة من أعمال المقاومة الكوتية ضد قوات الإحتلال ■

أبـــيـــض

# الحكم الشرعي في أحداث الخليج

لسماحة الدكتور/ محمد سيد طنطاوي
مفتي جمهورية مصر العربية

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

## الحكم الشرعي في أحداث الخليج :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله ومن والاه.

وبعد: فقد فوجئ العالم كله في اليوم الحادي عشر من شهر المحرم سنة ١٤١١هـ ، الموافق الثاني من شهر أغسطس سنة ١٩٩٠م ، باجتياح دولة مسلمة كبيرة هي العراق ، لدولة مسلمة صغيرة هي الكويت.

وترتب على هذا الاجتياح ما ترتب ، من إزهاق للأرواح ، وعدوان على الأموال ، وتشريد للرجال والنساء والأطفال ، ووقوع فتن كقطع الليل المظلم مزقت المسلمين وأصابتهم - كما أصابت غيرهم معهم - بالاضطراب الشديد ، والفزع العظيم ، والأضرار المادية الجسيمة.

ودار الإفتاء المصرية في هذه الظروف العصيبة ، ترى لزاماً عليها أن تبين الحكم الشرعي في أمور التبس فيها الحق بالباطل ، وأفتى الذين اتبعوا أهواءهم بغير علم بفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن أهم الحقائق التي ترى دار الإفتاء المصرية بيانها للناس ما يأتي:

**أولا**: إن شريعة الإسلام قد أقامت العلاقات بين أفراد المجتمع الإنساني كله ، على التعارف ، والتعاون ، والعدل ، والتراحم ، وتبادل المنافع التي أحلها الله تعالى؛ وتقوية الروابط الخيرة الفاضلة ، التي تسعد بها الإنسانية وتتقدم وترقي.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [ **الحجرات**: ١٣ ].

أي: خلقناكم بقدرتنا من أب واحد ومن أم واحدة ، وجعلنا منكم الشعوب ذات الأعداد الكثيرة ، والقبائل التي تمثل جزءاً من تلك الشعوب ليعرف بعضكم بعضاً معرفة قائمة على التعاون على البر والتقوى لا على

الإثم والعدوان .

٢- وعلى رأس المبادئ التي عمقت شريعة الإسلام جذورها في اتباعها ، لكي يعيشوا عيشة طيبة : مبدأ نشر السلام والأمان والاطمئنان فيما بينهم بصفة خاصة ، وفيما بينهم وبين غيرهم بصفة عامة.

والذي يتدبر القران الكريم ، يرى عشرات الآيات قد تحدثت عن هذا المبدأ العظيم ، لكي تحبب الناس في اعتناقه ، وتحرضهم على التحلي به.

ومن ذلك أن القرآن تارة يبين لنا أن من أسماء الله الحسنى لفظ "السلام".

قال تعالى: ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [ **الحشر** : ٢٣ ].

وتارة يأمر المؤمنين أن ينفذوا أحكام دينهم وآدابه ، بأن يعيشوا مسالمين لمن سألهم ، محاربين لمن اعتدى عليهم.

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [ **البقرة** : ٢٠٨ ].

وتارة ينهاهم عن قتال من أظهر لهم الانقياد لدعوتهم ، وأجرى كلمة السلام على لسانه.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ . .** ﴾ [ **النساء** : ٩٤ ].

أي : يا من آمنتم بالله – تعالى – إيمانا حقا ، إذا خرجتم من بيوتكم وسرتم في الأرض من أجل إعلاء كلمة الله ، فاحذروا أن تضعوا سيوفكم في غير موضعها ، فان الأصل في الدماء الحرمة والصيانة.

واحذروا أن تقولوا لمن أظهر لكم الانقياد لدعوتكم ، أو حياكم بتحية الإسلام : لست مؤمناً ؛ بل الواجب عليكم أن تقبلوا منه ما أظهره ، فإن

علام السرائر والبواطن إنما هو لله تعالى وحده.

وتارة يحببهم في قبول السلام والصلح ممن رغب فيه ؛ وكانت الشواهد تدل على صدقه.

قال تعالى: ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [ **الأنفال** : ٦١ ].

أي : عليك - أيها الرسول الكريم - إذا رأيت من أعدائك ميلاً إلى المسالمة والمصالحة ، أن توافقهم على ذلك ، ما دامت هذه المسالمة تدل القرائن على صدقها وفوض أمرك إلى خالقك ، فهو السميع لأقوالهم ، العليم بأحوالهم.

وتارة نجد القران الكريم يسوق لأتباعه، ما يجعلهم يعتنقون هذا المبدأ السامي ويحرصون على التحلي به ، بأن يبين لهم أن الجنة من أسمائها "دار السلام" وأن تحية الله - تعالى - لهم فيها ، وتحية ملائكته هي لفظ "السلام" ، وأن لغة التخاطب بين أهلها ، تكون بألفاظ السلام ، والأمان والوئام.

ومن الآيات التي وردت في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ..** ﴾ [ **الأحزاب** : ٤٤ ].

وقوله سبحانه: ﴿ **وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ [ **الرعد** : ٢٣ ، ٢٤ ].

وقوله عز وجل: ﴿ **لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا** ﴾ [ **الواقعة** : ٢٥ ، ٢٦ ].

٣- وهكذا عندما نتدبر القران الكريم ، نجد كثيراً من آياته تقرر ، السلام في حياة المؤمنين ، يجب أن يكون على رأس المبادئ السامية ، التي يتعين عليهم أن يجعلوها جزءاً من كيانهم ، وأن يعمقوها في نفوسهم ، وأن يحيوا لها وبها.

كما نجد – أيضا – أن نور السلام، يشع في كل تشريع من تشريعات الإسلام.

وكيف لا يكون الأمر كذلك، ولفظ الإسلام، ولفظ السلام ، ينبعان من مشكاة واحدة ، تدل على الطمأنينة ، والأمان ، والسكينة والوئام ، والانقياد لله الواحد القهار.

ولقد روي مسلم في صحيحه عن عائشة – رضي الله عنها – أن الرسول – ص – كان كثيراً ما يدعو الله بقوله :"**اللهم أنت السلام ومنك السلام** ، أي :– ومنك ترجى السلامة – **تباركت يا ذا الجلال والإكرام**".

٤– إن نعمة الشعور بالسلام والاطمئنان على رأس النعم التي بسببها يعم الرخاء ويزيد الخير ، ويكثر الإنتاج ، وتزدهر الزراعة والصناعة والتجارة، وتعمر الأرض بكل ما ينفع الناس ، وتسود المودة والمحبة بين أفراد المجتمع الإنساني . ويزول الخوف من القلوب ، والاضطراب من النفوس.. والخوف هو أحد أسباب النكبات البشرية ، والكوارث الإنسانية ، إذ الخائف على نفسه أو ماله أو عرضه قلما ينتج أو يتفرغ لما ينفعه أو ينفع الناس.

أما الأمان ، فهو مفتاح التقدم والرقي ، وطريق النمو والكفاية.

وما وجد الأمان في أمة ، إلا وارتفعت رايتها ، وعزت كلمتها ، وظفرت بما تصبو إليه من خير وفير.

٥– ومن هنا فقد تحدث القرآن عن هذه النعمة في آيات كثيرة.

منها: دعوة إبراهيم – عليه السلام – لمكة المكرمة بقوله – كما حكى القران عنه: ﴿ **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً** ﴾ [ **إبراهيم**: ٣٥ ].

وفي آية أخري: ﴿ **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً** ﴾ [ **البقرة**: ١٢٦ ].

ومنها: بيان أن هذه النعمة قد ميز الله – تعالى – بها بيته الحرام علي غيره ، كما ميز بها الأماكن التي من حوله على غيرها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

وقال سبحانه: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ.. ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

قال صاحب الكشاف: " كان العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضاً يتغاورون - أي: يغير بعضهم على بعض - ، ويتناهبون ، وأهل مكة قاُّرون فيها آمنون ،لا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب ، فذّكرهم الله بهذه النعمة الخاصة بهم. (تفسير الكشاف: جـ ٤ ص ٤٦٤).

ومنها: تبشير المؤمنين بدوام هذه النعمة ، متى أخلصوا العبادة لخالقهم، وأدوا ما كلفهم به من طاعات.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥].

ورحم الله الإمام الفخر الرازي فقد قال ما ملخصه: إن نعمة الأمن قد تكون أهم من نعمة الصحة، بدليل أنك لو قدمت الطعام إلى شاة مريضة، فإنها تأكل منه على قدر حاجتها وهي ساكنة مطمئنة. بينما لو قدمت الطعام إلى شاة أخرى سليمة، وربطت بالقرب منها حيواناً مفترساً ، فإنها لا تأكل، لأن خوفها من هذا الحيوان أنساها الجوع ، وجعلها تقضي وقتها وهي فزعة مضطربة.

فثبت من ذلك أن نعمة الشعور بالأمان والاطمئنان عند الأفراد والجماعات ، قد تكون أهم من الشعور بنعمة الصحة والعافية ".

وانظر إلى ما قاله يوسف عليه السلام - لأبيه وأخواته ، عندما وصلوا إليه، لقد قال لهم كما حكى القرآن عنه: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦] أي آمنين من كل ما يخاف ويخشى منه ، واختار لفظ الأمان ، لأنه جماع كل

خير وبركة.

وانظر إلى ما بشر الله – تعالى – به أهل الجنة ، لقد بشرهم بالأمن والاطمئنان في آيات كثيرة منها قوله سبحانه:﴿ **ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ**﴾ [ **الحجر** : ٤٦ ].

وقوله عز وجل: ﴿**يدعون فيها** – أي الجنة – **بكل فاكهة آمنين**﴾ [ **سورة الدخان : الآية** ].

أي: أن المؤمنين عندما يكونوا في الجنة ، يطلبون ويأمرون غيرهم ، بأن يحضر لهم كل ما يشتهونه من فاكهة أو غيرها ، فيلبي طلبهم ، وهم آمنون في أماكنهم من كل خوف أو ضرر. ولقد امتن الله تعالى على قريش بنعمتين عظيمتين هما نعمة الرزق الوفير، والأمن العظيم لكي يشكروه عليه فقال: ﴿ **لإيلاف قريش إيلا فهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾.

٦- هذا جانب من حديث القرآن عن نعمة الشعور بالسلام والأمان ، ومنه نرى أن هذه النعمة من أجل النعم وأعظمها وأسماها.

فإذا ما اتجهنا إلى أحاديث النبي ﷺ وجدنا كثيراً منها ، توضح لنا فضل هذه النعمة ، وتأمرنا بشكر الله تعالى عليها وبالتضرع إليه سبحانه ألا يحرمنا منها.

ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ من أصبح آمنا في سربه أي : في بيته معافى في بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ". وكان من دعائه ﷺ:" **اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا**" أي: واجعلنا آمنين من الخوف والفزع.

٧- وبعد: فإن الدعوة إلى السلام والأمان بين أفراد المجتمع الإنساني كله، في صورتهما المثالية والإيجابية ، هي شعار الإسلام.

لأن هذه الدعوة تراها في مظهره ومخبره ، في عباداته ومعاملاته، في

أقواله وأعماله ، في كل ما يدعو إليه ، وفي كل ما ينهى عنه.

وما دام الأمر كذلك ، فنحن ندعو الأمة الإسلامية بصفة عامة ، وحكامها بصفة خاصة. ندعوهم جميعاً في تلك الأيام التي تفاقمت فيها الفتن والفواجع ، بعد اجتياح العراق للكويت في بضع ساعات.

ندعوهم جميعاً إلى العودة إلى رحاب الأمان والسلام ، لأنهما الغاية التي يطمح إليها كل عاقل لتكون تاجاً لسعادته في الحياة.

ندعوهم جميعاً أن ينبذوا البغي والطغيان والعدوان ، لأن ذلك يؤدي إلى خراب الديار ، ندعو الذين احتلوا ديار غيرهم ، واستباحوا ما حرم الله تعالى استباحته ، أن يفيئوا إلى رشدهم ، وأن يرجعوا إلى الحق ، فإن الرجوع إلى الحق فضيلة.

ندعو الذين أطاعوا حكامهم في المعاصي والظلم والعدوان ، أن يقلعوا عن ذلك ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ندعو الجميع إلى تدبر ما وعد الله تعالى به المتمسكين بفضيلة العدل والرحمة ، من جزيل الثواب ، وما توعد به الطغاة والبغاة من شديد العقاب.

﴿**ولا يظلم ربك أحداً**﴾.

**ثانيا** : مما اتفقت عليه جميع الشرائع السماوية ، وجميع العقول الإنسانية السليمة أن السلام بين الناس هو الأصل ، وأن الحرب لا يُلجأ إليها ، إلا من أجل دفع الظلم والعدوان ، الذي يقع على الدين أو النفس أو العرض أو المال أو الوطن.

وقد بيَّن القران الكريم ذلك بياناً واضحاً في قوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**﴾ [**الحج**: ٣٩، ٤٠].

وقد ذكر كثير من المفسرين عند تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ**

﴿يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ أن هذه الآية هي أول ما نزل من القرآن في شأن مشروعية القتال من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل.

قال الإمام ابن جرير عند تفسيره لهذه الآية جـ١٧ ص ١١٢: عن ابن عباس- رضي الله عنهما له - قال : لما خرج النبي ﷺ قال أبو بكر اخرجوا نبيهم ليهلكنّ ، فأنزل الله هذه الآية .. وهي أول آية نزلت - أي في شأن القتال.

أي: أذِنَ الله تعالى للمؤمنين ورخص لهم ، بأن يقاتلوا الذين ظلموهم وآذوهم واعتدوا عليه ، وأن الله عز وجل لقدير على نصر هؤلاء المظلومين الذين أخرجوا الظالمين من ديارهم بغير حق ، وبدون أي سبب من الأسباب، سوى أنهم كانوا يقولون ربنا الله، ولن نشرك به أحداً.

وقد جاءت أحاديث النبي ﷺ فأكدت هذا المعنى بأن بينت أن من يُقتل وهو يدافع عن ما أوجب الشرع الدفاع عنه فهو شهيد.

ومن الأحاديث التي وردت في ذلك ، ما أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ، عن سعد بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال" **من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دِينِه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد**".

وأخرج الأمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أن يأخذ مالي ؟ فقال ﷺ: " **فلا تعطه مالك** ". قال: "أرأيت إن قاتلني"؟ فقال ﷺ "قاتله ": قال:"أرأيت إن قتلني"؟ فقال ﷺ:" **فأنت شهيد**". قال أرأيت إن قتلته ؟ فقال ﷺ" **فهو في النار**".

وهكذا نرى أن الحرب في الإسلام ، لم تشرع إلا من أجل دفع الظلم والعدوان.

وقد وضعت شريعة الإسلام للحرب شروطاً وآداباً من أهمها:

١- أن القتال إنما يكون للمقاتلين، أما غيرهم فلا يجوز الاعتداء عليهم.

وهذا واضح تمام الوضوح في قوله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [ **البقرة**: ١٩٠ ].

أي: وقاتلوا أيها المؤمنون من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، الذين أعدوا أنفسهم لقتالكم ، ولا تتجاوزهم إلى غيرهم ممن لم يشتركوا في قتالكم ، كالنساء والصبيان ومن في حكمهم ، واعلموا أن الله عز وجل لا يحب من يعتدي على غيره بأي لون من ألوان الاعتداء.

فالآية الكريمة تهييج للمؤمنين ، وإغراء لهم على قتال أعدائهم المعتدين بدون تردد أو تهيب ، وإرشاد لهم إلى أن يجعلوا قتالهم من أجل نصرة الحق، ودحر الباطل لا من أجل المطامع والشهوات.

ففي الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى رضي الله عنهما أن أعرابياً أتى إلى النبي ﷺ فقال له : يا رسول الله إن الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكَر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه أي : ليتحدث الناس بشجاعته وليظهر بينهم والرجل يقاتل حمية أي من أجل العصبية الباطلة أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال ﷺ: " **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** " .

وقد جاءت أحاديث النبي ﷺ ووصايا الخلفاء الراشدين لقوادهم بالنهي عن قتال غير المقاتلين.

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه ؛ عن ٰبرَيدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول لأصحابه : " **اغزوا في سبيل الله ؛ ولا تغلّوا؛ ولا تغدروا، ولا تمثّلوا ؛ ولا تقتلوا الوليد ، ولا أصحاب الصوامع أي : الأحبار والرهبان.**"

وأخرج أبو داود في سننه عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " **انطلقوا باسم الله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ، - أي متقدما في السن ، ولا طفلاً صغيراً ، ولا امرأة ، ولا تَغُلُّوا، أي : ولا تخونوا -**

**وأصلحوا ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين"** .

ومن وصية أبى بكر الصديق ، لأسامة بن زيد وجيشه حين أرسلهم لقتال أهل'أبْنَي وهي قرية على حدود الشام الجنوبية قرب مؤتة " يا أيها الناس: قفوا أوصيكم بوصايا فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تَغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تَقْعَروا أي لا تقطعوا نخلاً ، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة. وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له " .

٢- أجمع العلماء على أنه لا يجوز بحال من الأحوال ، مهاجمة الآمنين الذين بينهم وبين المسلمين عهود ، وأخذهم على غِرَّة ، ومفاجأتَهم باحتلال أرضهم وديارهم.

لأن ذلك يمثل أفحش الغدر ، وأقبح الخيانة ، وأسوأ ألوان نقض المواثيق.

ومما يدل دلالة واضحة على تحريم ذلك قوله تعالى: "﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾ [**الأنفال**: ٥٨]. والنبذ معناه طرح الشيء وإلقاؤه على سبيل الإهمال والترك.

والمعنى : إما تخافن يا محمد من قوم بينك وبينهم عهد على عدم مقاتلتهم ، بأن ترجح لديك أنهم على وشك خيانتك ونقض عهدك ، وقامت الأدلة على ذلك ، فاطرح إليهم عهدهم . وأعلمهم إعلاماً واضحاً صريحاً بذلك قبل أن تحاربهم ، حتى تكون أنت وهم في العلم بالتحلل من هذا العهد سواء ، لأن الله تعالى لا يحب الخائنين لعهودهم.

والذي يراجع ما قاله المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية الكريمة ، يراهم قد أجمعوا على أنه لا يجوز لأولياء الأمور في أية دولة مسلمة أن يأمروا جيوشهم بمهاجمة أي دولة أخرى ، بينهم وبينها معاهدة عدم اعتداء

، إلا بعد إخبار تلك الدولة بالتحلل من هذه المعاهدة.

وهذا طرف من أقوالهم عند تفسير هذه الآية الكريمة.

(أ) قال الإمام ابن جرير: قوله تعالى: ﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء**﴾ أي : وإما تخافن يا محمد من عدو لك ، بينك وبينه عهد وعقد، أن ينكث عهده ، ويغدر بك ، فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم ، إنك قد فسخت العهد الذي بينك وبينهم. حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب ، فيأخذوا للحرب آلتها وتبرأ من الغدر."(تفسير ابن جرير الطبري جـ ١٠ ص ١٩).

(ب) وقال الإمام ابن كثير: قوله سبحانه: ﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ..الخ..**﴾.

أي: وإما تخافن يا محمد من قوم عاهدتهم خيانة ، أي: نقضاً لما بينك وبينهم من مواثيق ، فانبذ إليهم عهدهم على سواء.

فأعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم ، حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب عليهم وهم حرب عليك ، وأنه لا عهد بينك وبينهم. لأن الله تعالى " لا يحب الخائنين ، حتى ولو في حق الكافرين "(تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٢).

(ج) وقال الإمام القرطبي ما ملخصه : قوله سبحانه :﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء..**﴾.

أي: "وإما تخافن من قوم بينك وبينهم عهد، فانبذ إليهم على سواء" أي فقل لهم قد نبذت إليكم عهدكم وأنا مقاتلكم، ليعلموا ذلك فيكونوا معك في العلم سواء، ولا تقاتلهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك، فيكون ذلك خيانةً وغدراً.

وإنما كان الغدر في حق الإمام أعظم وأفحش منه في غيره ، لما في ذلك من المفسدة ، فإنهم أي : ألائمة إذا غدروا و'علم ذلك منهم ولم

يَنْبِذوا بالعهد ، لم يأمنهم العدو على عهد ولا صلح ، فتشتد شوكته ويعظم ضرره ، ويكون ذلك منفراً من الدخول في الدين ، وموجباً لذم أئمة المسلمين.

ثم قال – رحمه الله – : وقد اختلف العلماء هل يُجاهد مع الإمام الغادر على قولين : فذهب أكثرهم انه لا يُقاتل معه ، وذهب بعضهم إلى الجهاد معه." (تفسير القرطبي جـ ٨ ص ٣٣)

ونحن نؤيد تأييداً تاماً ما قال به أكثر العلماء الذين يرون أنه لا يقاتل مع الحاكم الغادر ، لان القاتل معصية لله تعالى ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل.

(د) وقال الألوسي –رحمه الله – : عند تفسيره لهذه الآية : " وإما تعلمن يا محمدمن قوم معاهدين لك نقض عهد فيما سيأتي ، بما يلوح لك منهم بالدلائل ، فانبذ إليهم على سواء. "

أي: فاطرح إليهم عهدهم على طريق مستو ، بأن تظهر لهم النقض ، وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بأنك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوَصْلة ، ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد ، كي لا يكون من قِبَلك شائبة أو خائنة أصلاً لأن الله لا يحب الخائنين (تفسير الالوسي جـ ٩ ص ٢٣).

(هـ) وقال صاحب المنار ما ملخصه : وإن تتوقع يا محمد من قوم خيانة بنقض عهدك معهم ، بأن يظهر لك من الدلائل والقرائن ما يُنْذِرُ به ، فانبذ إليهم عهدهم على طريق واضح ، لا خداع فيه ولا استخفاء ، ولا خيانة ولا ظلم. حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء.

والحكمة في هذا النبذ، أن الإسلام لا يبيح لأهله الخيانة مطلقاً ، لأن الخيانة مبغوضة عند الله تعالى بجميع صورها ومظاهرها.

روي البيهقي في شعب الإيمان عن ميمون بن مهران أنه قال: ثلاثة المسلم والكافر فيهن سواء: "من عاهد فوفى بعهده ، فعليك أن تكون

وفياً معه مسلماً كان أو كافراً فإنما العهد لله. ومن كانت بينك وبينه رحم فصلها مسلماً كان أو كافراً، ومن ائتمنك على أمانة فأدها إليه مسلما كان أو كافرا"(تفسير المنار جـ١١ ص ٥٨).

(و) وقال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي عند تفسيره لهذه الآية:"دلت هذه الآية على جواز معاهدة الكفار لمصلحة، ووجوب الوفاء بالعهد إذا لم تظهر منهم الخيانه ، وإباحة نبذ العهد لمن يتوقع منهم المكر، وأن نعلمهم بذلك، لئلا يعيبوا علينا بنصب الحرب مع العهد"(تفسير القاسمي جـ ٧ ص ٢١ ٣٠ ).

(ز) هذا طرف من أقوال المفسرين لهذه الآية الكريمة ، وكلها تدل دلالة واضحة ، على أن شريعة الإسلام قد حرمت الغدر والخيانة ونقض العهود وأنه لا يصح لدولة مسلمة بينها وبين دولة أخرى غير مسلمة، عقد أمان، أن تفاجئها وتباغتها بالعدوان عليها ، واحتلال أرضها وديارها دون إعلامها وإخبارها بتحللها من تلك العهود التي بينهما.

(ح) ولقد طبق السلف الصالح تلك الأحكام والآداب تطبيقاً تاماً فقد ذكر أبو داود والترمذي في سننهما ، أنه كان بين معاوية وبين أهل الروم عهد، وكان يسير في بلادهم فلما انقضى العهد أراد أن يهاجمهم فإذا رجل على فرس وهو يقول الله أكبر وفاء لا غدر ، وإذا هو عمرو بن عبَسَةَ، فسأله معاوية ما شأنك ؟

فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" من كان بينه وبين قوم عهد ، فلا يَحلنَّ عهداً ولا يشدنه حتى يمضي أمده أي: وقته، أو ينبذ إليهم على سواء أي : أو يعلنهم بالحرب علماً واضحاً مكشوفاً حتى يأخذوا حذرهم فلما سمع معاوية ذلك رجع بالناس"( التاج الجامع للأصول :جـ ٤ ص ٣٧٤ الشيخ منصور علي ناصف ).

(ط) ولنا أن نتساءل. بعد كل هذه النصوص : إذا كان هذا هو حكم شريعة

الإسلام مع غير المسلمين ، ألا نقاتلهم حتى نعلنهم إعلاناً لا لبس فيه ولا خفاء ، أننا قد تحللنا من عهودهم ، وأن حالنا معهم قد تحولت من الأمان إلى الحرب ، لشعورنا بأنهم ليسوا صادقين في عهودهم.

أقول إن كان هذا هو حكم شريعة الإسلام مع غير المسلمين، فما ظنك بدولة مسلمة كبيرة هي العراق، تجتاح في بضع ساعات دولة مسلمة مجاورة لها هي الكويت، بدون سابق إنذار أو علم أو إشعار .. فتحتل أراضيها وتضمها إلى أراضيها ، وتجعل أهلها في حالة من الخوف والاضطراب، لا يعلمها إلا الله عز وجل.

وإذا لم يكن هذا الفعل الشنيع هو الغدر بعينه فماذا يكون الغدر ؟

وإننا نقول لكل غادر ، استمع إلى سوء مصيرك ، من هذا الحديث الصحيح الذي أخرجه الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، يرفع لكل غادر لواء ، فيقال هذه غدرة فلان ابن فلان ".

أي يقال هذه الرآية لفضيحة فلان ابن فلان ، الذي غدر وفجر، وخان الوعود ، ونقض العهود.

هذه آداب الإسلام التي نطقت بها آيات القران الكريم ، وأحاديث النبي ﷺ وطبقها السلف الصالح في سلمهم وحربهم، إذ كانوا لا يغدرون ، ولا يخونون، ولا يفاجئون عدوهم بحرب إلا إذا أعلنوه بذلك إعلاناً واضحاً مكشوفاً، بعد أن يتبين لهم أن العدو ليس صادقا في عهوده معهم.

بل إننا لنقرأ أن أخلاق العرب حتى في جاهليتهم ، كانت تأبى الغدر والخيانة ، وأخذ العدو على غرة وغفلة منه.

فقد ورد في أخبار العرب أن العربي القديم ، كان إذا التقى بعدو له ، وأراد أن يقتله فقال له : خذ حذرك فإني قاتلك ، ويعطيه المهلة الكافية لكي يستعد للمبارزة .. وتأبى عليه أخلاقه وشهامته أن يأخذ عدوه على غرة أو

غفلة منه .. وورد في كتب السيرة أن قريشاً لما أبرمت أمرها على قتل النبي ﷺ ليلة الهجرة ، ورتبت لذلك من كل قبيلة شاباً جلداً قوياً .

أحاط هؤلاء الشباب ببيت النبي ﷺ لكي يقتلوه عند خروجه من بيته، وأبت عليهم عاداتهم أن يقتحموا على الرسول ﷺ بيته ، لأنهم يعرفون أن هذا الاقتحام تأباه أخلاق العرب وعاداتهم وأعرافهم.

وروي أن بعضهم استأذن أبا جهل قائد هذه المؤامرة في أن يقتحموا الدار على النبي ﷺ فقال لهم: يا للعار ، تصبح العرب تتحدث وتقول:" امتطينا الدار على بنات العم . إن هذا لن يكون" .

هذا كلام فرعون هذه الأمة ، وهذه أخلاقه وعاداته التي ورثها عن قومه العرب !! فماذا يقول الذين يدعون أنهم من نسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومع ذلك أباحوا لأنفسهم، أن يحتلوا جارة لهم مسلمة في بضع ساعات ، دون سابق إنذار أو إشعار، وأن يقتحموا عليهم ديارهم، بدون مراعاة لدين أو خلق أو عرف أو شرف.

ومرة أخرى أقول: إذا لم يكن هذا هو الغدر بعينه فماذا يكون الغدر ؟ وإذا لم يكن هذا هو الظلم بذاته فماذا يكون الظلم؟!!

٣- كذلك من آداب الحرب في الإسلام: صيانة حقوق الذميين ، والمعاهدين , والمستأمنين ، الذين يعيشون معنا في بلادنا أو لا يعيشون معنا ، ولكن بيننا وبينهم عهود تقتضي حمايتهم.

وهؤلاء وإن كان لكل طائفة منهم أحكامها الشرعية التي فصلها الفقهاء، إلا أنهم جميعاً يشتركون في أمور من أهمها:

(أ) عدم إكراه أحد منهم على ترك دينه ، أو إجباره على اعتناق عقيدة معينة، لأن الله تعالى نهانا عن أن نكره أحداً على الدخول في الإسلام ، لأن التدين إذعان قلبي ، واتجاه بالنفس والجوارح إلى الله رب العالمين ، بإرادة حرة مختارة . فإذا أُكره الإنسان على الدخول في دين معين ،

ازداد كرهاً له . ونفوراً منه ، فالإكراه والتدين نقيضان لا يجتمعان، ولا يمكن أن يكون أحدهما ثمرة للآخر.

قال تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ [ **البقرة** : ٢٥٦ ].

(ب) أباحت شريعة الإسلام لهم ممارسة شعائر دينهم . فلا تهدم لهم دار عبادة ففي الحديث الشريف" اتركوهم وما يدينون".

بل إن شريعة الإسلام أباحت للزوجة الكتابية من الرجل المسلم أن تذهب إلى دار عبادتها ، ولا حق لزوجها في منعها من ذلك.

(ج) إقامة العلاقة معهم على البر والعدل وتبادل المنافع التي أحلها الله، ومعاملتهم بالتي هي أحسن ، ما داموا لم يسيئوا إلينا.

قال تعالى: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [ **الممتحنة** : ٨، ٩ ].

(د) إذا طلب أي فرد ولو كان من الأعداء المحاربين لنا الأمان من أجل الإقامة أو العمل في ديارنا ، أُعطي إياه ، وصار بذلك آمنا على نفسه وعلى ماله وعلى عرضه ، ولا يجوز الاعتداء على حق من حقوقه.

ويعد هذا الأمان نافذا بإقرار من ولي الأمر له أو من ينيبه في ذلك.

قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ** ﴾ [ **التوبة** : ٦ ].

أي: وان استأمنك يا محمدأحد من المشركين ، وطلب حمايتك وجوارك " فأجره" أي : فأمِّنْه وأجبه إلى طلبه" حتى يسمع كلام الله " أي لكي يسمع كلام الله ويتدبره" ثم أبلغه مأمنه أي : فإذا أمن بعد سماعه لكلام الله صار من أتباعك المسلمين ، وإن بقي على شركه وأراد الرجوع إلى قومه ، فعليك أن تحافظ عليه ، حتى يصل إلى مكان أمنه

واستقراراه.

وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة أن المستأمن لا يؤذى ، بل يجب على المسلمين حمايته في نفسه وماله وعرضه ، ما دام في دار الإسلام.

وقد حذر الإسلام من الغدر والخيانة أشد تحذير ومن الأحاديث التي وردت في ذلك ، ما أخرجه ابن ماجة وابن حبان في صحيحه عن عمرو ابن الْحَمِقِ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:" أيّما رجل أمن رجلاً على دمه ثم قتله ، فأنا بريء من القاتل، وإن كان المقتول كافراً".

وأخرج أبو داود في سننه عن صفوان بن سُلَيم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ" من ظلم 'معَاهَد أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه أي خصمه يوم القيامة ".

قال بعض العلماء عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: هذه الآية تشهد بسمو تعاليم الإسلام ، وسماحتها وحرصها على هداية الناس إلى الحق، وعلى صيانة دمائهم وأموالهم وأعراضهم من العدوان عليها. حتى ولو كان هؤلاء الناس من الأعداء.

ولقد كانت قمة عالية في السماحة تلك الاجارة لهم في دار الإسلام.

ولكن قمة القمم هذه الحراسة لهم وهمٌ مشركون وأعداء حتى يبلغوا إلى مكان أمنهم وموطنهم. خارج دار الإسلام.

فهذا الدين هو منهج الهداية، وإجازة للمستجيرين به، حتى ولو كانوا من أعدائه.

(هـ) يشمل عقد الأمان الأفراد الذين يعيشون في بلادنا، من أجل خدمة بلادهم كأعضاء السفارات الأجنبية ومن في حكمهم فهؤلاء وإن قامت بيننا وبين بلادهم حرب، لا يجوز لنا أن نعتدي على أموالهم أو أعراضهم أو أي حق من حقوقهم لأنهم بمنزلة الرسل الذين يحملون

الرسائل من دولهم إلينا، أو منا إلى دولهم، والرسل لا تُقتَل.

فقد أخرج أبو داود في سننه والإمام أحمد في مسنده ، عن نعيم ابن مسعود الاشجعي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لرسولَيْ مسيلمة الكذاب حين قرأ كتابه.

وفيه تكذيب للرسول ﷺ. ما تقولان أنتما ؟ قالا. نقول كما قال. فقال ﷺ." أما والله لولا أن الرسل لا تُقتَل لضربت أعناقكما".

وهذا لا يمنع من إن هؤلاء الأفراد الذين يعيشون في بلادنا من أجل خدمة بلادهم، إذا ثبت عليهم أنهم ارتكبوا ما يتعارض مع شريعتنا وقوانيننا، رفعت حصانتهم، وحوسبوا على أخطائهم وجرائمهم، ونالوا ما يستحقونه من عقاب عادل.

ومن كل ما سبق يتبين لنا إن ما نقرؤه هذه الأيام من أن بعض الدول، تتخذ أعضاء السفارات وأسرهم رهائن، أو تجعلهم كدرع بشري في حالة الحرب، أو تسيء معاملتهم بأي لون من ألوان الإساءة. كل ذلك من الأفعال التي لا تقرها شريعة الإسلام، بل تحرمها تحريماً قاطعاً.

**ثالثا:** إن حكم الله عز وجل وحكم رسوله ﷺ في عدوان دولة مسلمة، على دولة أخرى مسلمة، واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وليس فيه أي لبس أو خفاء.

أما حكم الله تعالى فنراه في قوله: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[ **الحجرات**: ٩، ١٠].

فالآية الأولي من هاتين الآيتين، بينت وقررت بأسلوب صريح محكم ثلاثة أحكام شرعية:

أولها: إنه إذا حدث نزاع أو قتال بين طائفتين من المؤمنين، فعلى

المسلمين بصفة عامة، وعلى حكامهم وأصحاب الحل والعقد فيهم بصفة خاصة، أن يتدخلوا للصلح بين الطائفتين المتنازعتين، عن طريق بذل النصح، وإزالة أسباب الخلاف، بكل إخلاص في النية، وبكل صدق في العزيمة.

ثانيها: أنه إذا بغت إحدى الطائفتين على الأخرى، وأصرت على عدم قبول الصلح، فعلى المسلمين وحكامهم أن يُجمعوا أمرهم على قتال الفئة الباغية، وان يقوموا بذلك بدون أي تردد أو تباطؤ أو تسويف.. حتى ترجع الفئة الظالمة الباغية إلى حكم الله - تعالى - وإلى قبول الصلح وترك القتال.

ثالثها: أنه إذا رجعت الفئة الباغية إلى الصلح، وأقلعت عن بغيها، فعلى حكام المسلمين وأهل الحل والعقد فيهم، أن يصلحوا بين الطائفتين المتقاتلتين، إصلاحاً متسماً بالعدل التام الذي لا تحوم حوله شبهة الظلم والمحاباة.

وقوله سبحانه: ﴿**إنما المؤمنون إخوة..**﴾ أي: إنما المؤمنون إخوة في الدين والعقيدة ، فهم يجمعهم أصل واحد وهو الإيمان ، كما يجمع الإخوة أصل واحد هو النسب ، وكما أن أخوة النسب داعية إلى التواصل والتراحم. فكذلك الأخوة في الدين تدعوكم إلى التعاطف والتصالح ، ومتى كنتم كذلك صرتم أهلاً لرحمة الله تعالى ومثوبته.

هذا ولنستمع إلى طرف مما قاله المفسرون، عند تفسيرهم لهاتين الآيتين الكريمتين:

(أ) قال الإمام ابن جرير: يقول تعالى : (وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا فأصلحوا أيها المؤمنون) بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل.

فإن بغت إحداهما على الأخرى يقول: فإن أبت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم الله ، وتعدت ما جعله الله عدلاً بين خلقه ، وأجابت الأخرى

منهما.

(فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) يقول: فقاتلوا التي تعتدي وتأبى الإجابة إلى حكم الله ، حتى ترجع إلى حكمه تعالى بين خلقه.

(فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل... ) يقول فإذا رجعت الفئة الباغية بعد قتالكم إياها إلى الرضا بحكم الله ، فأصلحوا بينهما وبين الطائفة الأخرى بالعدل، يعني الإنصاف بينهما، وذلك حكم الله في كتابه الذي جعله عدلاً بين خلقه.

ثم قال -رحمه الله -: وسنجد الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل: فعن ابن عباس أنه قال: أمر الله تعالى النبي ﷺ والمؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فان أجابوا حكم فيهم بكتاب الله حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغ، فحق على إمام المؤمنين، أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى حكم الله. (تفسير ابن جرير جـ ٢٦ ص ٧٣).

(ب) وقال الإمام القرطبي: قال العلماء: لا تخلوا الفئتان من المسلمين في اقتتالهما من أمو: إما إن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعاً أو لا، فإن اقتتلا على سبيل البغي ، فالواجب في ذلك إن يُمشى بينهما بما يصلح ذات البين، ويثمر المكافاة والموادعة . فان لم يتحاجزا ولم يصطلحا وأقامتا على البغي صيِر إلى مقاتلتهما.

وأما إن كانت إحداهما هي الباغية، فالواجب أن تقاتل هذه الفئة الباغية إلى أن تكف وتتوب.

فإن فَعلتْ أي: كفت وتابت عن بغيها أصلح بينهما وبين المبغي عليها بالقسط والعدل.

ثم قال - رحمه الله-: وفي هذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الإمام، أو على أحد من المسلمين.

ثم قال: وقال القرطبي: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرَب منه، ولزوم المنازل لما أقيم حد، ولما أبطل باطل، لوجد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسفك دمائهم والاعتداء على حرماتهم، بان يتحزبوا عليهم، فإذا كف المسلمون أيديهم عنهم، كان ذلك مخالفاً لقوله ﷺ:" خذوا على أيدي سفهائكم"(تفسير القرطبي جـ ١٦ ص ٣١٧ طبعة دار الشعب)

(جـ) وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: والأمر في قوله تعالى: ﴿ **فقاتلوا التي تبغي** ﴾ للوجوب، لأن هذا حكم بين الخصمين، والقضاء بالحق واجب لأنه لحفظ حق المحق، ولأن ترك قتال الفئة الباغية يجر إلى استرسالها في البغي، وإضاعة حقوق المبغي عليها في الأنفس والأموال والأعراض، والله لا يحب الفساد، ولأن ذلك يجرئ غيرها إلى أن تأتي مثل صنيعها فقتالها زجر لغيرها."(تفسير التحرير والتنوير جـ ٢٥ ص ٢٤١).

هذا، هو حكم الله تعالى في حكم الطائفتين المتقاتلتين من المسلمين كما جاء كتابه، وكما قرره العلماء المفسرون لكتابه الكريم.

أما حكم رسوله ﷺ فنراه في الحديث الصحيح، الذي أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما. قالوا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال: أن تحجزه أي: تمنعه عن الظلم فذلك نصره ".

هذا هو الحكم الشرعي من كتاب الله تعالى ، ومن سنة رسوله ﷺ في شأن نشوب قتال بين طائفتين من المؤمنين.

وهوكما قلت سابقاً حكم واضح وجلي، ولا يحتاج إلى عناء أو تفكير، متي سلمت النيات من الهوى، وصدقت العزائم في تنفيذه. وهذا الحكم فيه أمر صريح من الله تعالى للمسلمين وحكامهم، بأن يكلفوا جيوشهم بقتال الفئة الباغية المصرة على بغيها وظلمها.

ومن الواضح أيضا وضوح الشمس أن الفئة الباغية، هي تلك التي حشدت حشودها، ثم باغتت دولة مسلمة إلى جوارها، فاحتلت أرضها وديارها، وفعلت ما فعلت بأهلها، وتم ذلك كله في بضع ساعات وبدون سابق إعلام، أو إنذار، أو إشعار.

وإن المسلمين بصفة عامة وحكامهم بصفة خاصة، بتقاعسهم عن تنفيذ حكم الله الذي يقضي بقتال الفئة المصرة على بغيها وظلمها، يكونون معطلين لحكم الله تعالى ولحكم رسوله ﷺ.

ومن يعطل حكم الله ورسوله يستحق من الله تعالى لعقوبة التي لا يعلمها أحد سواه سبحانه.

**رابعا:** إن شريعة الله تعالى وهي شريعة الحق والعدل قد تركت مهمة اختيار الحاكم وتنصيبه وعزله، إلى أهل الحل والعقد في كل دولة.

فأهل كل دولة: هم وحدهم الذين يبايعون حاكمهم وإمامهم، ويلتفون من حوله إذا أحسن، وينصحونه إذا اخطأ، ويعزلونه إذا عم فساده.

وليس لأحد سواهم أن يتدخل في شئونهم التي تتعلق باختيار حاكمهم وإمامهم إذا الإمامة عقد مبايعة بين الحاكم، وبين أهل بلده.

قال الإمام الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية ص ٧ في تعريف البيعة:

( هي عقد مراضاة واختيار لا يدخله إكراه ولا إجبار )".

وبناء على ذلك، فإنه لا يجوز شرعاً، أن يأتي حاكم من دولة أخرى، فيفرض بالقوة الغاشمة، وبالعدوان الآثم، ولايته وسلطانه على غير دولته، ويعزل حاكمها الشرعي، وينصب مكانه حكاماً آخرين، دون إرادة أهل الحل والعقد في تلك الدولة، بل دون إرادة أبنائها جميعاً.

ولقد بلغ من حرص النبي ﷺ على تثبيت حق الحاكم الشرعي الذي اختاره أهل الحل والعقد في بلده ، أن أمر بضرب عنق كل من يريد عزله

ظلماً وعدواناً.

ومن الأحاديث التي وردت في هذا المعنى، ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فنزلنا فمنا من يصلح خِيامَه. أي: مكان إقامته ، ومنا من ينتضل أي: يسابق بالرمي بالسهام ، ومنا من هو في جَشَرة أي المكان الذي يبيت فيه إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة.

فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم. وإن أمتكم هذه ٱجعِلت عاقبتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة يرقق بعضها بعضا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه. فمن أحب أن ٱيزَحزَح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته مَنِيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليات إلى الناس الذي يحب أن ٱيؤتَي له.

ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر".

وفي صحيح مسلم أيضا عن عَرَفجة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنه ستكون هَنَاتٌ وهنَات أي: شرور وشرور فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائن من كان".

وفي رواية: من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد إن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه.

فهذه الأحاديث الصحيحة تحفظ للحاكم الشرعي حقه، وتأمر بقتل كل من يعمل على تفريق كلمة الأمة، وإثارة الفتنة بين صفوفها، بأن يصر على خلع الحاكم الشرعي الذي ارتضاه أهل الحل والعقد، وينصب غيره مكانه ظلماً وعدواناً.

ولقد أمرت شريعة الإسلام الوفاء بالعهود بصفة عامة، وبالوفاء بالبيعة

التي يبايع فيها الأفراد إمامهم بصفة خاصة، لأن في هذا الوفاء إشاعة لروح الأمان والاطمئنان بين أبناء الأمة، هذا الأمان الذي عن طريقه يكون الازدهار والرقي، والغنى والخير، ووفرة الإنتاج، والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

إذ من المعروف بين العقلاء ، أن أية أمة يشيع فيها نقض العهود، واضطراب الأحوال.. يكون أمرها فرطاً.

ومن الأحاديث التي أمرت بوجوب الوفاء بالبيعة ، ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت ، رضي الله عنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى ألا ننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم.

وفي رواية: وعلى ألا ننازع الأمر أهله، قال:" إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان ".

أي: بايعناه ﷺ على ألا ننازع الولاة في شيء، إلا إن رأينا منهم كفراً بواحاً، أي جهارا، فإن أمروا بمعصيته، فهنا لا سمع لهم علينا ولا طاعة، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

كما نهت شريعة الإسلام عن الخروج على الإمام العادل، بسبب الهوى أو العصبية، أو ما يشبههما من الرذائل، وتوعدت من يفعل ذلك بسوء المصير.

ومن الأحاديث التي وردت في ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال" من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ، مات ميتة جاهلية ، ومن 'قتِل تحت راية عُميّة أي : لا تعرف الحق من الباطل ، يغضب للعصبية ، ويقاتل للعصبية أي : للقرابة ولو كانت على باطل فليس من أمتي ، ومن خرج من أمَّتَي على أمتي يضرب بَرَّها وفاجَرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي بذي عهدها أي : ولا يفي بمن لهم عهد معه من أهل الذمة فليس مني".

ومن كل ما تقدم يتبين لنا ، كيف حرصت شريعة الإسلام ، على تثبيت الحاكم الشرعي في كل دولة، منعاً لتمزقها وتشتتها واضطرابها، وحفاظاً على وحدتها وأمنها واستقرارها ورقيها..

**خامساً**: إن شريعة الله تعالى قد أوجبت على حكام أي دولة إسلامية ، أن يتخذوا كافة الوسائل المشروعة ، لحمايتها من كل ما يضرها ، ولصيانة أرواح أهلها وأموالهم وأعراضهم ، من أي عدوان عليها..

إذ أن من اللازم ما يجب على الحاكم نحو رعيته ، أن يعمل كل ما يستطيع عمله ، لتوفير الأمن والطمأنينة لهم ، فاذا لم يوفر لهم ذلك كان مقصراً في أداء واجبه ، وفي الوفاء بالأمانة التي وضعها الله تعالى في عنقه.

وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. الإمام راع ومسئول عن رعيته. والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها. والخادم راع في مال سيده ، ومسئول عن رعيته. فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ".

ومن ألزم مظاهر الرعاية التي وضعها الله تعالى في أعناق الحاكمين نحو المحكومين : أن يعدوا ما يستطيعون إعداده من قوة ، للدفاع عن عقائدهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأوطانهم...

وإذا كانت هذه القوة التي أعدوها كافية ، لدحر المعتدين ، وتأديب الباغين ، وردع الظالمين ، وقطع دابر الغادرين... فبها ونعمت.

وإذا لم تكن كافية ، فمن الأوجب عليها، أن يستعينوا بإخوانهم المسلمين، من أجل دفع ظلم الظالمين ، وعدوان العادين.

فإذا ما تفاقم الخطر ، وعم البلاء ، وظهر الغدر لكل ذي عينين ، ورأى الحاكم وإخوانه وخبراؤه في أي بلد اسلامي، أن جيوشه، والجيوش التي

استعان بها من إخوانه المسلمين ، غير كافية في صد العدوان المتوقع من المعتدين ، الذين قامت الدلائل والقرائن والشواهد على أنهم لا أمان لهم..

ففي هذه الحالة من حق هذا البلد الإسلامي، أن يستعين بمن يشاء من المسلمين وغيرهم من أجل الدفاع عن كل ما يجب الدفاع عنه شرعا ومن أجل دحر العدوان المتوقع، ممن سبق منهم الظلم والبغي والغدر.

إذ من القواعد الشرعية المعروفة أن الضرر يزال، وأن الضرورات تبيح المحظورات ، وأن الضرورة تقدر بقدرها.

ولا شك أن الذين يقدرون هذه الضرورة وحدودها هم أولو الأمر في كل أمة ، إذ هم أعرف الناس بما ينفع أمتهم وما يضرها.

ثم إننا نسأل : من الذي تسبب في وجود هذه القوات الأجنبية في بعض الدول الإسلامية ؟

لا شك أن الذي كان سببا في ذلك ، هم الغادرون الذين ابتلعوا دولة صغيرة تجاورهم في بضع ساعات ، بدون سابق إنذار أو إشعار ، وبدون أي إشارة أو ما يشبه الإشارة إلى أن حرباً ستقع بين الدولتين.

ولم يكتفوا بذلك ، بل هددوا بعض الدول الإسلامية ، المجاورة لتلك الدولة الإسلامية التي ابتلعوها..

فاضطرت هذه الدول المهددة اضطراراً إلى الاستعانة بالقوات الأجنبية، كي تساعدها في صد الظلم والعدوان ، بعد أن عجزت الدول الإسلامية عن مواجهة الفئة الباغية.

ومما لا ينكره أحد من العقلاء ، أن هذه القوات الأجنبية ، لم يكن لها وجود قبل أن تغزو دولة العراق الكبيرة المسلمة دولة الكويت الصغيرة المسلمة ومما لا ينكره أحد من العقلاء - أيضا - أن القواعد الشرعية ، تقضي بأن المتسبب فيما يضر ويسيء ، يعاقب بالعقوبة التي تناسب ذلك..

فإن قيل: إن وجود هذه القوات الأجنبية ، خطراً على المقدسات

الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة !!

فالجواب: إن المملكة العربية السعودية التي تتشرف بوجود المقدسات الإسلامية فيها ، هي أحرص الناس ملكاً وحكومة وشعباً على صيانة هذه المقدسات من كل سوء ، وعلى إظهارها بأبهي وأجمل وأكمل صورة ، وعلى توفير الأمان والاطمئنان لكل زائر لهذه المقدسات.

والقوات المسلمة وغير المسلمة ، التي استعانت بها المملكة ، لضرورة تستلزم هذه الاستعانة ، بينها وبين الحرمين الشريفين مئات الأميال.

والمسلمون في مشارق الارض وفي مغاربها، على استعداد للدفاع عن الحرمين الشريفين بكل مرتخص وغال، وليسوا في حاجة إلى من ينصحهم بذلك ، خصوصاً اذا كان الناصح قد ظهر غدره وظلمه لكل عاقل في مشارق الارض وفي مغاربها أيضاً.

والحق أن الحرمين الشريفين بمكة المكرمة، والمدينة المنورة، بريئان كل البراءة من المتاجرين بهما.

ورب الحرمين الشريفين الذي يعلم السر وأخفى ، سيعاقب المتاجرين بدينه ؛ عقاباً أليماً ، يوم تنكشف الحقائق ، ويظهر ما خفي في البواطن.

فإن قيل: إن الدولة المسلمة التي يخشى منها الاعتداء لم تقم به بعد، على الدولة المسلمة التي استعانت بغير المسلمين لدفع العدوان المتوقع عليها. فالجواب تراه واضحاً من كلام فضيلة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء . .** ﴾.

فقد قال رحمه الله : "وإنما رتب سبحانه نبذ العهد على خوف الخيانة دون وقوعها، لأن شئون المعاملات السياسية والحربية، تجري على حسب الظنون ، ومخائل الأحوال ، ولا ننظر تحقق وقوع الأمر المظنون ، لأنه إذا تريث ولاة الأمور في ذلك ، يكونون قد عرَّضوا الأمة للخطر.

فلذلك علق سبحانه نبذ العهد بتوقع الخيانة ، ومن أمثال العرب: " خذ

اللص قبل أن يأخذك " أي : وقد علمت أنه لص. (تفسير التحرير والتنوير - جـ ١٠ ص ٥١).

والخلاصة أننا لا ننكر أن الاستعانة بغير المسلمين ، لدفع عدوان متوقع، فيها من الأخطار ما فيها، وفيها من الأضرار ما فيها.

ولكن الذي يتحمل نتيجة ذلك ، هو المتسبب في وجود هذه القوات الأجنبية ، التي يعرف القاصي والداني أنه لم يكن لها وجود ، قبل أن يبتلع حكام العراق دولة الكويت في بضع ساعات، بطريقة لا تقرها شريعة سماوية ، ولا قوانين وضعية، ولا أعراف دولية، ولا عقول إنسانية سليمة.

وبناء على ذلك فإن دار الإفتاء المصرية، ترى أنه من الأحكام الشرعية الصحيحة ، ما قام به علماء وقضاة المملكة العربية السعودية ، حيث أيدوا خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، فما اتخذه من إجراءات لحماية أمن المملكة ، ولمواجهة ما يتوقع من عدوان..

ومما قالوه في ذلك : "على ولي الامر أن يعمل كل ما يستطيعه . لكي يجنب أمته وبلاده الأخطار، وأن يوفر لها الاستقرار والأمن على مقدساتها، ودمائها وأعراضها وأموالها".

وهذا أمر متفق عليه بين من يعتد بفقههم ، وعلمهم ، وقولهم ..

ولقد كتب الكاتبون بحوثاً متعددة حول هذا الموضوع ، وعلى رأس الذين وفوا هذا الموضوع حقه من الناحية الشرعية ، فضيلة الأخ الكبير الأستاذ الشيخ مناع القطان المشرف على الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، فقد كتب فضيلته بجريدة الأهرام، الصادرة في ١٣ من صفر سنة ١٤١١هـ - ١٩٩٠/٩/٣، كتب مقالاً عنوانه" الاستعانة بغير المسلمين" قال فيه:

كان اجتياح العراق للكويت حدثاً مفزعاً على المستوى العالمي بعامة والمستوى الإسلامي والعربي بخاصة، والذين تابعوا الأحداث أصابهم الذهول

من هول الجريمة، وبشاعة آثارها التي لا يعرف لها مثيل في التاريخ إلا ما حكي عن نيرون، وهولاكو خان وهتلر ولم يستجب العراق لشفاعة أحد في المصالحة ولم تستطع القوى العربية والإسلامية أن تصنع شيئاً يردعه.

وما كادت السعودية والدول الخليجية توافق على وجود قوة عسكرية أجنبية في المنطقة بعد اليأس من قدرة العرب والمسلمين على كبح جماح هذا الصائل الشموس حتى تمسح بالسلام وهو من ألد أعدائه معتقداً وواقعاً ودعا المسلمين إلى تطهير الحرمين من الغزوالأجنبي وهما على بعد ألف وخمسمائة كيلو متر ليستثير العواطف الإسلامية الساذجة. وهي شنشنة نعرفها من أخزم فلطالما استغل الجبارون الإسلام ، ورفعوا شعار الإيمان في ساعة العسرة يقول تعالى في فرعون حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت.

والذي يحز في النفس أن بعض العاملين في الحقل الإسلامي استخفهم هذا الشعار وربما صادف هوى في نفوسهم فأغفلوا أصل الداء واستمسكوا بآثاره، وغاب عنهم أن هذا يشغلهم عن القضية الأم فنددوا بالوجود العسكري للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها على أرض إسلامية وفي مياه إسلامية، وقالوا: إن هذا يتنافى مع أحكام الفقه الإسلامي إذ لا يجوز الاستعانة بغير المسلمين وهو يؤدي إلى ضياع الخليج كما ضاعت الأندلس عندما استعان ملوك الطوائف بالفرنجة.

وأحب أن أوضح ما يأتي:

١- إن ظلم ذوي القربى من رؤوس الشر المتحكمين أشد من ظلم المحتلين والتاريخ خير شاهد على هذا في الواقع المرير الذي يعيشه عالمنا العربي إذا قيس بعهود الإحتلال الأجنبي.

٢- إن بغضنا للإحتلال الأجنبي لا ينبغي أن يحجب عنا الرؤية الصحيحة والعدالة في الحكم ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى وما كان لهذا الوجود الأجنبي أن يفد إلينا لولا الغزو

العراقي للكويت الذي قضى على الأخضر واليابس في ساعات.

٣- إن الاحتلال العسكري الأجنبي لم يعد مقبولاً في الوقت الحاضر، وهو يهيج مشاعر الشعوب لمقاومته حتى يزول شبحه ولكن تسلط أبطال القومية من أبناء جلدتنا، الذين يبسطون نفوذهم ويسحقون شعوبهم ويلبسون ثياب القادة المغاوير الأشاوس الذين خلصوا بلادهم من براثن الاستعمارأقول: لكن هذا أشد بأساً وأنكي إيلاماً وأبشع خطراً إذ لا تستطيع أن تقول في هؤلاء المتسلطين أنهم الأعداء الألداء والمغتصبون المستعمرون.

٤- إن لجوء السعودية ودول الخليج إلى القوى الأجنبية كان بعد اليأس الكامل من وجود قوة عربية إسلامية ضاربة تقف في وجه هذا الخطر الداهم، وترده على أعقابه خاسرا وقد فشلت جميع الجهود الدبلوماسية في الوصول إلى حل للأزمة.

وشتان بين هذه الحالة وما كان في الاندلس من حروب بين ملوك الطوائف الذين استولى كل واحد منهم على ناحية في البلاد بعد اضمحلال الخلافة الأموية الأندلسية والتجاء بعضهم إلى ملوك الفرنجة.

٥- إن استغلال هذا باسم الإسلام هو لصرف الأنظار عن فداحة الخطب في العدوان العراقي الذي التهم الكويت الجارة العربية له وفعل فيها الأفاعيل تجارة رخيصة للتلاعب بعواطف السذج، ومن المحزن ما سمعناه عن انسياق بعض المنتسبين إلى التيار الإسلامي المتحمس وراء هذا الخداع الذي يدغدغ الأحلام ، دون وعي فقهي وبصيرة نيرة لإبعاد ذلك الإتجاه فهو كلمة حق يراد بها الباطل.

٦- إن الاستعانة بغير المسلمين لدرء الشر، وتخفيف وطأته والكسر من حدته أمر جائز شرعاً عند الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها والحاجة

تنزل منزلة الضرورة والحاجة الآن ماسة لهذا وقد أعلنت السعودية ودول الخليج أن القوات الأجنبية ستعود أدراجها بعد انتهاء الحاجة التي دعت إليها.

٧- إن هذه الإستعانة الجائزة شرعاً في حالة الضعف شيء والموالاة المنهي عنها شيء آخر.

وفي هذه الآية إشارات ينبغي إدراكها: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين في موضع الحال، أي متجاوزين المؤمنين إليهم - فهو قيد مفهومه النهي عن تخصيص الكفار بالولاية والمودة وترك المؤمنين جانباً، أما إذا كان الود للمؤمنين والولاية لهم ولكن عجزوا عن النصرة، وادلهم الخطب، فحكم النهي لا يصدق على هذه الحالة ، وهي الحالة التي معنا في موقف السعودية التي حاولت مع بعض القادة العرب الوصول إلى ذلك وبذلت جهودها دون جدوى وصدرت قرارات المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية ومجلس الأمن ، فضرب بها حاكم العراق عرض الحائط.. إن شواهد السيرة النبوية تدل على جواز الاستعانة بغير المسلمين عند الحاجة.

اشتد إيذاء المشركين لصحابة رسول الله ﷺ ونزل بهم من البلاء ما لا يقدر رسول الله ﷺ على دفعه عنهم فقال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وهي أول هجرة كانت في الإسلام ولم يكن النجاشي ملك الحبشة مسلماً، وإنما كان نصرانيا فآوى المسلمين وحماهم.

واستجار بعض الصحابة بأفراد من المشركين لهم سلطة وشأن، فدخل منهم من دخل في جوارهم ليمنعوهم من أذى قومهم . فدخول المسلم في جوار... المشرك لحمايته يجوز عند الضرورة في حالة الضعف والعجز عن

دفع الظلم ورد العدوان.

ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ص من الأذى ما لم تكن ينال منه في حياة عمه الذي كان يحميه ، واشتد إيذاؤها لصحابته، وهم الأهل والعشيرة، فخرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه وعمد إلى نفر من سادتهم وأشرافهم وطلب منهم نصرته وهذه استعانة بغير المسلمين وإن كانوا قد ردوه رداً سيئاً.

وحين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، ومعه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، استأجرا عبد الله بن أريقط وكان مشركاً يدلهما على الطريق ، ودفعا إليه راحلتيهما وتواعدا أن يأتيهما بعد ثلاث إلى غار ثور ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما، ووافاهما في الموعد، وركب كل منهما بعيره ، ودلهما على الطريق ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخفى هجرته ووجهته.

وعاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود بالمدينة بعد هجرته وكتب بذلك الصحيفة المشهورة التي تسمى صحيفة المدينة، وتضمنت فيما تضمنته التعاهد بحماية المدينة ، وصيانة حرمة أهل هذه الصحيفة من المهاجرين والأنصار واليهود ، وأن يقاتل اليهود مع المؤمنين وينفقوا معهم في الحرب ولولا أن اليهود نقضوا العهد ما قاتلهم الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا تشريع يعمل به في حال الضعف.

ومن قواعد الفقه الإسلامي ما يدل على ذلك:

إذا تعارضت مصلحة ومفسدة قدم الأرجح منهما، ومصلحة المحافظة على أمن الخليج على الصعيد العالمي وعلى الصعيد المحلي، أرجح من الوجود العسكري الأجنبي المؤقت لما في ذلك من حماية النفس والعرض والمال.

إذا تعارضت مفسدتان ارتكب الأخف منهما، ومفسدة الاستعانة

العسكرية بالولايات المتحدة الامريكية وحلفائها الغربيين إلى حين ، أخف من مفسدة اجتياح البلاد وتشريد أهلها ونهب ثرواتها.

**سادساً**: كلمة إلى حكام المسلمين:

أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء المسلمين:

إن الله تعاليقد أخذ على العلماء عهداً، أن يبينوا للناس أحكام دينه، وآداب شريعته، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر.

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ**﴾ [**آل عمران**: ١٨٧].

وقال سبحانه: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [**آل عمران**: ١٠٤].

وأولى الناس بمعرفة هذه الأحكام وتلك الآداب: الحكام الذين هم قادة الأمة وقدوتها ورعاتها.

وأول ما ندعوكم إليه: هو طاعة الله تعالى ومراقبته في السر والعلن، والمحافظة على فرائضه، وعلى شعائر دينه ، وعلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والقيام بواجب الأمانة التي في أعناقكم نحو أمتكم..

ولقد فصلت شريعة الإسلام ما لكم على الأمة من حقوق، وما للأمة عليكم من حقوق.

أما حقوقكم على رعيتكم، فتتمثل في طاعتكم في غير معصية الله تعالى قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [**النساء**: ٥٩].

ومن الأحاديث النبوية التي صرحت بهذه الحقوق ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:" من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصي الله. ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن

عصى أميري فقد عصاني" ومنها ما جاء في الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال:"السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ، مالم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ".

ومنها ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عمررضي الله عنهما قال سمعت النبي ﷺ يقول: "من خلع يداً من طاعة أي؛ من خرج عن طاعة الإمام بدون سبب شرعي لقي الله تعالى ولا حجة له.."

وأما حقوق الرعية على حكامها: فعلى رأسها الرعاية لمصالحها، بكل أمانة وصدق ، وبكل قوة واجتهاد...

ومن الأحاديث الشريفة التي وردت في ذلك ، ما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. الإمام راع ومسئول عن رعيته...".

والمراد بالإمام هنا: الحاكم الذي يقوم بتصريف شئون المحكومين بالحق والعدل ، ومتى فعل ذلك كان مأجورا من الله تعالى، أما إذا قصر فسيحاسبه سبحانه على هذا التقصير.

ولقد بشر النبي ﷺ ولاة الأمر الذين يؤدون الأمانة التي في أعناقهم أداء يقوم على الحق والعدل، بجزيل الثواب، كما أنذر الذين يقصرون في أداء ما يجب عليهم نحو أمتهم بشديد العقاب...

ومن الأحاديث التي وردت في ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال إنما الإمام جنة أي: حام لرعيته ومسئول عنها يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل، كان له بذلك أجر، وإن يأمر بغيره كان عليه منه أي: كان عليه الوزر إن أمر بمعصيته.

وفي الصحيحين أيضا عن معقل بن يسار قال: سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول: "ما من وال يلي رعيته من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم ، إلا حرم الله عليه الجنة ".

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اللهم من ولي من أمر أمتي شئياً فشق عليهم أي شدد عليهم وظلمهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به" ولا شك أن دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم مستجاب عند الله فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم.

هذا جانب من النصوص التي وضحت ما يجب للحكام نحو رعيتهم، وما يجب على الرعية نحو حكامها..

والعاقل من الناس هو الذي يؤدي ما عليه من واجبات، قبل أن يطالب بما له من حقوق.

وندعوكم ثانياً إلى اختيار الأعوان الأقوياء الأمناء، الذين تسعد الأمم بآرائهم السديدة ، وأفعالهم الحسنة ، وسلوكهم الحميد.

وذلك لأن الحاكم مهما أوتي من علم وموهبة وقوة ، لا يستغني عن من يعينه ويساعده على أداء وظيفته ، وعلى القيام بالأعباء الجسام الملقاة على عاتقه.

وإذا كان سيدنا موسي عليه السلام تضرع إلى ربه أن يجعل له وزيراً من أهله ، هو أخوه هارون عليه السلام لكي يشدَّ أزره ، ويشركه في أمره، فقال كما حكى القرآن الكريم عنه: ﴿**ربي اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري**﴾.

أقول: إذا كان موسي٠ عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل قد التمس من ربه تحقيق ذلك فأولى ثم أولى بغيره من الحكام، أن يتضرعوا إلى خالقهم عز وجل أن يرزقهم الأعوان الصالحين.

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أنه ﷺ قال:"ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان والمراد بهما الأعوان والوزراء والأصفياء بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصمه الله".

وأخرج أبو داود في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ إذا أراد الله بالأمير خيراً، جعل له وزير صدق، إن نسي ذَكَّره، وإن ذكَر أعانه. وإن أراد له غير ذلك أي: شراً، جعل له وزير سوء، إن نسِيَ لم يذكره ، وإن ذكَر لم يعنه".

ولقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين ولاسيما العلماء والوزراء أن يخلصوا النصيحة للحكام ، وأن يكونوا أقوياء في الجهر بكلمة الحق، وحذرهم من الغش في النصيحة ، ومن الإعانة على الظلم، ومن النفاق والجبن.

ففي الصحيحين عن تميم الداري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنما الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتِهم.

وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن شر الناس ذو الوجهين ، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه".

وإذا كان النفاق قبيحاً مع كل الناس، فهو مع الحكام أشد قبحاً، لأن ضرره لا يعود على الحكام وحدهم وإنما يعود أيضاً إلى مصالح المسلمين. روى الترمذي والنسائي عن طارق بن شهاب رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله في الغَرْزِ أي هَمَّ بركوب دابته أيّ الجهاد أفضل ؟ قال كلمة حق عند سلطان جائر.

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن تسعة، فقال:" إنه سيكون بعدي أمراء، من صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم ، فليس مني ولست منه ، وليس بوارد عليَّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه ، وهو وارد على الحوض".

ففي هذه الأحاديث الشريفة تحريض عظيم للحكام أن يختاروا وزراءهم ومستشاريهم من ذوي الخلق الكريم، والرأي السديد.

وتحريض عظيم أيضاً للوزراء والعلماء، أن يخلصوا النصيحة، وأن يبتغوا بها وجه الله تعالى وخدمة الحق، ورعاية مصالح الأمة، وأن يجتنبوا الغش والنفاق في نصحهم.

وندعوكم ثالثاً أن تعلموا ، أن المدار في القبول عند الله تعالى، وعند العقلاء من الناس، إنما هو على العمل الصالح ، والقول الطيب ، والسلوك الحميد...

وليس على الانتساب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو إلى عترته الطاهرة،يحمِّل أصحابه مسئولية أعظم لأن من انتسب إلى الصالحين، وجب عليه أن يسلك سلوكهم، وأن يتأسي بهم في صدقهم ، وعدلهم ، وأدبهم، ومحافظتهم على العهود والمواثيق...

ولقد كرر القران الكريم هذه الحقيقة في آيات متعددة منها قوله تعالى: ﴿ **يايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباْ وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾.

أي: إن أكرمكم عند الله تعالى أكثركم قرباً من الله عز وجل بعمله الصالح وليس بنسبه أو حسبه.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر

إلى قلوبكم وأعمالكم".

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم فتح مكة فقال: يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبِّيَّةَ الجاهلية أي تكبرها وتعاظمها بآبائها وبأحسابها ثم قال صلى الله عليه وسلم: الناس رجلان: رجل بَرٌ تقي كريم على الله، ورجل فاجر شقي هيِّن على الله، وإن الله تعالى يقول: ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾.

وأخرج الإمام البيهقي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ" إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى مناديا ينادي، ألا إني جعلت نسباً وجعلتم نسباً، فجعلت أكرمكم عند الله أتقاكم فأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان خير من فلان ابن فلان فاليوم أرفع نسبي وأضع أي: وأهدر أنسابكم. أين المتقون".

وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" ومن أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه".

أي: إن من ترك الأقوال الطيبة، والأفعال الصالحة ، كالصدق ، والعدل، والعفاف، والرحمة، وحفظ العهود... واجترح الأعمال السيئة كالظلم والغدر ونقض العهود والإفساد في الأرض، ساءت عاقبته في الدنيا والآخرة، ولم ينفعه ما ادعاه من نسب شريف ، أو لقب وجيه بل صار كل ذلك وبالاً عليه..

وندعوكم رابعاً إلى أن تعملوا بكل ما أعطاكم الله تعالى من قوة وجاه وسلطان، على نشر السلام والأمان والتعمير وزيادة الإنتاج بين أبناء أمتكم.. وعلى تربيتهم على نبذ الغل والحسد والنزاع والغدر من بين صفوفهم.

فالله تعالى يقول: إنما المؤمنون أخوة.﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [ **الحجرات** : ١٠].

ويقول سبحانه: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [ **الأنفال** : ٤٦].

ولقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتعظيم حرمات المسلمين، ونهى عن انتهاكها في أحاديث كثيرة منها: ما أخرجه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله أي: ولا يترك نصرته، كل المسلم على المسلم حرام: عرضه وماله ودمه. التقوى ههنا ويشير ﷺ إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يَحقِر أخاه المسلم".

وفي رواية أخرجها الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا أي: ولا يعرض بعضكم عن بعض وكونوا عباد الله إخوانا ".

ولقد بلغ من حرصه ﷺ على حرمة المسلم ، وعلى صيانته من كل أذى، أن نهى عن أن يشير المسلم إلى أخيه المسلم بالسلاح.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده أي: يمسك عن الإشارة وإن كان أخاه لأبيه وأمه".

إن السلام والأمان إذا عم نورهما في الأمة، ازدادت غنى على غناها، وأحاط بها الخير من كل جانب.

أما الخوف والإضطراب إذا شاعا في الأمة، فإنهما يبعثان فيها الخراب والدمار ، والفقر والأحقاد والفتن...

والحكام العقلاء الأمناء هم الذين يحرصون كل الحر ص على نشر الخير والسلام في ربوع أوطانهم...

أما الحكام الجهلاء السفهاء الأغبياء، فهم الذين يصطنعون لأممهم المعارك الوهمية، التي تجعلهم دائماً كأنهم في حالة حرب، حتى تكون هذه الأمم عاجزة عن محاسبتهم على ظلمهم، وغدرهم، واستبدادهم، وسوء تصرفهم، وحتى تبقى هذه الأمم دائماً في حالة شديدة من الضعف والفقر..

وندعوكم خامساً أن تكونوا قدوة طيبة لأمتكم في التحلي بالفضائل، وفي اجتناب الرزائل، فإن الأمم في الأعم الأغلب تسير على النهج الذي يسير عليه ملوكها ورؤساؤها..

وعلى رأس الفضائل التي ندعوكم لاعتناقها: فضيلة العدل، إذ العدل كما يقولون أساس الملك.

وإذا كان فضيلة العدل واجبة على كل إنسان، فهي على الحكام أوجب وألزم لأن ثمارها ومنافعها تعود على الكثيرين من الناس.

العدل صفة من صفات الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ **وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [**الكهف**: ٤٩].

وأمر سبحانه رسوله أن يعدل بين الناس فقال: ﴿ **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [**الشورى**: ١٥].

والقران أمرنا بالعدل في الأحكام، وفي الأقوال، وفي الشهادة، ومع الأعداء.. واستمعوا معي إلى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾ [**النساء**: ٥٨].

وإلى قوله سبحانه: ﴿ **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ..** ﴾ [**الأنعام**: ١٥٢].

وإلى قوله عز وجل: ﴿ **وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ** ﴾ [**الطلاق**: ٢].

وإلى قوله تعالى: ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ..** ﴾ [**المائدة**: ٨].

وفضيلة العدل لا تنبع إلا من أصحاب النفوس النقية، والقلوب الشجاعة التي جبلت على إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وفطرت على التمسك بالمبادئ الشريفة، التي لن تتنازل عنها مهما كان الثمن.

أما غيرهم من أصحاب الأهواء والمنافع والجبن الخالع... فعلى استعداد أن يبيعوا فضيلة العدل بأي ثمن.

ولقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم الحكام بأسمى البشارات وأعظمها، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم عن أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...".

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرورضي الله عنهما قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن المقسطين أي: العادلين عند الله على منابر من نور: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا".

وإذا كانت فضيلة العدل في الدرجات العليا من السمو والكمال، فإن رذيلة الظلم في الدرك الأسفل من الإنحطاط والنقصان.

ويكفي أن الله تعالى قد حرم الظلم على نفسه، ففي الحديث القدسي:" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا.. أي : فلا يظلم بعضكم بعضاً"

وقد نهانا القران عن الظلم لأنه يؤدي إلى خراب الديار فيقول: ﴿ **فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا..** ﴾ [ **النمل** : ٥٢ ].

وتارة يخبرنا بأن أشد الناس خيبة يوم القيامة هم الظالمون فيقول: ﴿ **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا** ﴾ [ **طه** : ١١١ ].

وتارة ينهانا عن الاقتراب من الظالمين فيقول:﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَ** ﴾ [ **هود** : ١١٣ ].

ولقد أمرت شريعة الإسلام أتباعها، أن يقفوا في وجه الظالم حتى ينكسر، وأن يقفوا إلى جانب المظلوم حتى ينتصر، وبينت لنا أن اللعنة تنزل على من في قدرته أن يدافع عن المظلوم ، ولكنه امتنع عن ذلك.

ففي الحديث الشريف:" لا يقفن أحدكم موقفاً يُضرب فيه رجل ظلماً

فإن اللعنة تنزل على من حضره حتى يدافع عنه".

وفي حديث آخر: "من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه، ثبت الله قدميه على الصراط ، يوم تزل الأقدام".

كذلك الفضائل التي ندعوكم إلى أن تكونوا قدوة طيبة فيها لشعوبكم وأمتكم ، فضيلة الصدق مع الله تعالى أولاً ثم مع أنفسكم ثانياً.. لأنكم عندما تكونون كذلك تظفرون بالثقة والاحترام، من غيركم..

ومن مظاهر الصدق مع النفس: أن يكون الإنسان ولا سيما الحاكم عنده من الشجاعة والصراحة والصدق، ما يجعله يعبر عن مقصده بدون نفاق أو التواء، أو غدر،أو كتمان للحقيقة..

خصوصاً في هذا الزمن الذي اتسعت فيه وسائل الإعلام ، وتنوعت، وارتقت لدرجة أصبح معها رجل الشارع العادي، من الصعب أن تخدعه أو تزيف له الحقائق.

فمثلاً: من الصدق مع النفس أن يقول حكام الدولة الكبيرة ، التي اجتاحت وابتلعت جارتها الصغيرة، غدراً وبغياً في بضع ساعات.

إننا فعلنا ما فعلنا: طمعاً في أموالها ، أو إرضاءً لمطامعنا، أو إظهاراً لقوتنا، أو إرهاباً لغيرها... الخ.

لو قالوا ذلك: لكانوا صادقين مع أنفسهم ومع الناس.

أما أن يقولوا: إننا فعلنا ما فعلنا لأن لنا حقوق تاريخية، فهذه الدولة جزء منا. فهذا القول هو المغالطة والكذب بعينه، لأن الحقوق التاريخية، الحصول عليها يكون عن طريق القنوات الشرعية، كجامعة الدول العربية أو المحافل الدولية... ولا يكون عن طريق الغدر والمباغتة والخيانة.

وندعوكم سادساً إلى سؤال العلماء الأمناء، في كل ما يتعلق بالأحكام الشرعية ، فالقرآن الكريم يقول: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [**الأنبياء**: ٧].

وأهل الذكر في كل فن وعلم هم الخبراء فيه..

ولا شك أن الفقهاء هم أعرف الناس بالأحكام الشرعية التي تتعلق بالعقائد والعبادات، والمعاملات، والأموال، وغير ذلك.

اسألونا مثلاً عن الحكم الشرعي للشوري في الإسلام... نجبكم بأن شريعة الإسلام أوجبت على ولي الأمر، أن يستشير أهل الخبرة الأمناء، فيما يتعلق بشئون أمته..

وقد أمر الله تعالى نبيه بذلك فقال: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [ **آل عمران** : ١٥٩ ].

ومدح سبحانه المؤمنين الصادقين، وجعل من بين صفاتهم الطيبة ، أنهم يتناصحون ويتشاورون فيما بينهم فقال: ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [ **الشورى** : ٣٨ ].

والحكام العقلاء هم الذين لا يستبدون برأيهم، وإنما يستشيرون غيرهم ولا سيما في الأمور التي يترتب عليها مصير الأمة..

أما الأغبياء والمغرورون... فهم الذين يقولون: أنا الدولة والدولة أنا.

اسألونا مثلاً عن الحكم الشرعي في دولة اجتاحت دولة أخرى تجاورها، ليس بينهما حرب وإنما الذي بينهما هو رابطة الإسلام التي تجعل المؤمنون أخوة...

نجبكم بأن هذا الفعل باطل شرعاً وقانوناً وعرفاً... وكل ما نرتب عليه فهو باطلا، لأن كل فعل يأتي عن طريق الغدر أو الظلم أو الإكراه والإجبار فهو مهدر..

ويجب أن يعاقب من يفعل ذلك بالعقوبة العادلة، التي تردع الظالمين وتعيد إلى المظلومين حقوقهم المغتصبة.

اسألونا مثلاً عن الحكم الشرعي في توزيع الثروة...

نجبكم بأن الله تعالى قد بين لنا في كتابه: أن سنته قد اقتضت أن يفضل بعض الناس على بعض في الرزق ، فقال: ﴿ **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ..** ﴾ [ **الرعد**: ٢٦ ].

وإنه سبحانه قد أوجب على الأغنياء حقوقاً في أموالهم للفقراء، على رأس هذه الحقوق فريضة الزكاة. قال تعالى:﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا..** ﴾ [ **التوبة**: ١٠٣ ].

وقال سبحانه :﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ..** ﴾ [ **المعارج**: ١٩ – ٢٥ ].

وقد فصلت شريعة الإسلام الطرق المشروعة لجمع المال، وبينت أنه متى جُمِع المال بالطريق الحلال، وأدى صاحبه حق الله تعالى وحق المجتمع فيه، كان ماله مالاً مباركاً ومصوناً من أن تمتد إليه يد باغية.

وفي الحديث الشريف: "نعم المال الصالح للرجل الصالح".

وقد حرمت شريعة الإسلام تحريماً قاطعاً كل وسيلة غير شريفة لجمعه أو انفاقه. حرمت السرقة، والنصب، والغش... والإسراف والتبذير..

قال تعالى: ﴿ **وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [ **الأعراف**: ٣١ ].

وقال سبحانه : ﴿ **وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** ﴾ [ **الإسراء**: ٢٦ ، ٢٧ ].

وقد أوجبت شريعة الإسلام على أولياء الأمور في كل دولة، أن يتخذوا جميع الوسائل المشروعة، لجمع المال من وجوه الحلال، وإنفاقه في الوجوه الحلال...

كما أوجبت عليهم أن يحاسبوا بالطرق المشروعة أيضاً عن طريق

القضاء أو ما يشبهه ، كل من تحوم حوله الشبهة أنه جمع أمواله بوسائل غير سليمة ، أو أنفقها بطريقة تدل على سفاهته وطيشه.

أما أن تؤخذ الأموال من أصحابها بغياً وظلماً وعدواناً وإكراهاً، تارة باسم عدالة توزيع الثروة ، وتارة بغير ذلك من الحيل الذميمة.

فهذا ما لم تقل به شريعة سماوية، أو عقول إنسانية سليمة.

**سابعاً** : كلمة إلى أهل العلم والفتوى:

١- لقد شرف الله تعالى العلماء تشريفاً عظيماً، ومن مظاهر ذلك:

(أ) أنه سبحانه قرنهم بملائكته في الشهادة له بالوحدانية، فقال: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ** ﴾ [**آل عمران** : ١٨].

(ب) وأنه قصر خشيته والخوف منه عليهم ، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [**فاطر** : ٢٨].

(ج) وبين سبحانه أنهم وحدهم الذين يعلقون ما يضربه للناس من أمثال، فقال: ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ** ﴾ [**العنكبوت** : ٤٣].

(د) ونفى عز وجل التسوية بينهم وبين غيرهم فقال: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [**الزمر** : ٩].

(هـ) ورفع درجاتهم عنده فقال تعالى: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ..** ﴾ [**المجادلة** : ١١].

٢- ثم جاءت أحاديث النبي ﷺ فأكدت هذا التشريف والتكريم...

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن معاوية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين".

وروى أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:"من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً، سهل الله له طريقا إلى الجنة... وإن العلماء ورثة الأنبياء أي : ورثتهم في تبليغ شريعة الله

وهداية الناس وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به، أخذ بحظ وافر".

٣-وهذا التشريف والتكريم للعلماء ، قد حملته شريعة الإسلام في مقابلة أمانة التبليغ ، وأوجبت عليهم أن يبينوا الحكم الشرعي للناس دون أن يخشوا أحداً إلا الله، وأن يعملوا بكل قوتهم على إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإن عجزوا عن التنفيذ، فلن يعجزوا عن التبليغ والتبيين.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ** ﴾ [**آل عمران** : ١٨٧ ].

وفي الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"ليبلِّغ الشاهد أي: الحاضر منكم الغائب، فإن الشاهد عسي أن يبلغ من هو أوعى له منه".

وأخرج البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (بلِّغوا عني ولو آية... ).

وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" من سئل عن علم فكتمه ، ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة".

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"لا حسد أي: لا غبطة ولا سرور إلا في اثنتين أي: في خصلتين اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق أي: فوفقه لإنفاقه في وجوه الخير، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها على نفسه بالعمل بها، وعلى الناس ، بأن يعلمها لغيره".

٤- ويجب على العلماء أن يسخروا علمهم لخدمة دين الله تعالى وأن يجعلوه خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينزهوه عن شائبة الرياء، أو التباهي، أو الميل مع الهوى...

فقد روي أبو داود وابن ماجة في سننهما عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله أي: من شأنه أن يُقصد به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضاً أي مالاً من الدنيا، لم يجد عرف أي: رائحة الجنة يوم القيامة".

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من تعلم علماً لغير الله، وأراد به غير الله أي: غير وجهه وخدمة دينه فليتبوأ مقعده من النار".

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من طلب العلم ليجاري به العلماء أي : ليجري معهم مناظرة وجدلاً للتباهي أو ليماري به السفهاء أي: ليخاصمهم ويغالبهم لا من أجل الوصول إلى الحق. وإنما لأغراض فاسدة ، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار".

٥- وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن من علامات فساد الزمان، أن يكثر عدد الذين يفتون بغير علم، أو يتكلمون عن جهل، أو ينقادون وراء المطامع والأهواء، أو يؤولون الأحكام الشرعية تأويلاً ما أنزل الله به من سلطان...

أخرج البخاري ومسلم والترمذي ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد أي: لا يرفعه بنزعه من صدورهم ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء أي: بموتهم حتى إذا لم يَبْقَ عالم ، اتخذ الناس رءوساً جهالاً، فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا أي: في أنفسهم، وأضلوا أي: غيرهم".

٦- ومنذ أن اندلعت أحداث الخليج في اليوم الحادي عشر من شهر المحرم سنة ١٤١١هـ، الموافق الثاني من أغسطس سنة ١٩٩٠م، وترتب عليها ما ترتب من فتن كقطع الليل المظلم، ومن تشريد للآمنين، ومن تمزيق

لكلمة المسلمين.. بسبب احتلال العراق للكويت منذ ذلك الوقت، وتضاربت الفتاوي، وتطاول السفهاء على العقلاء، وأفتى البعض بما يوافق هواه وشهوته وحقده، وليس بما يوافق الحق أو العدل.

٧- ونحن نهيب بالعلماء وبأهل الفتوى،أن يتحروا الحكم الشرعي الصحيح في فتواهم وفي أقوالهم.

فإن الفتوي أمانة سيسألون عنها يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

إن المفتي قائم في الأمة مقام النبي صلى الله عليه وسلم لأن العلماء ورثة الأنبياء، فعلى من يتصدي للفتوى أن يعرف ذلك، وأن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في عدله وورعه وإحقاقه للحق ، وإبطاله للباطل.

إن خطر الفتوى عظيم، لهذا اشترط العلماء في المفتي أن يكون فقيهاً ، ورعاً، تقياً، نقياً، فاقها للأحكام الشرعية..

روى أبو داود وابن ماجة في سننهما: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"من أُفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه أي: من أفتاه شخص بغير علم، فعمل هذا الشخص بالفتوى كما سمعها، وكان فيها ذنب، فهو على المفتي، لا على العامل بالفتوي لجهله بحكمها الصحيح، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره ، فقد خانه".

٨- نهيب بالعلماء والفقهاء والمفتين، أن يكونوا أعزة ولكن بدون خيلاء، وأن يكونوا قدوة لغيرهم في العفاف وفي الطهر وفي النقاء، وفي كل ما يؤدي إلى اعتناق الفضائل ونبذ الرزائل...

ورحم الله القاضي على بن عبد العزيز الجرجاني عندما قال :

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما

ولم أقض حق العلم إن كان كاما بداطمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل من لاقيت أرضاه منعما
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
أنهها عن بعض ما لا يشينها مخافة أقوال العدا فيما أو لما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

٩- بعد: فهذا هو الحكم الشرعي في أحداث الخليج، تعلنه دار الإفتاء المصرية.

**وخلاصته**: أن غزو العراق للكويت باطل شرعاً، وكل ما ترتب عليه فهو باطل، لأن ما بني على الباطل فهو باطل...

ودار الإفتاء المصرية تتوجه إلى أصحاب الجلالة والفخامة، رؤساء الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية...

هذا الرجاء ندعوهم فيه أن يختار كل واحد منهم المفتي الرسمي لدولته، وأن يجتمع هؤلاء المفتون في أقرب وقت ، وفي أي مكان، تختاره الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، لكي يعلنوا الحكم الشرعي في أحداث الخليج، بعد أن كثر عدد الذين يفتون بغير علم، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ...

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا جميعاً ممن يقولون فيعملون، ويعملون فيخلصون، وأن يجنبنا الزلل في القول والعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،

القاهرة ١٨ من صفر ١٤١١هـ- الموافق ٨ من سبتمبر سنة ١٩٩٠م .

■ الأهالي في طابور .. في انتظار المياه ■

■ مصادر الزيت تشتعل في المنصات البحرية ■

# مأساة الغزو العراقي
# وواجب العرب والمسلمين

لفضيلة الدكتور/ أحمد عمر هاشم
نائب رئيس جامعة الأزهر - القاهرة

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

ففي هذا البحث، بيان للحكم الشرعي في الغزو العراقي لدولة الكويت، وواجب المسلمين حياله، وما تستوجبه عقيدة الإسلام، وأخوة الإسلام تجاه كل من الظالم والمظلوم.. وتوضيح تحريم الخروج على الجماعة، وبيان الحكم الشرعي في الإستعانة بقوات دولية ، وأدعو الله تعالى أن يجمع كلمة العرب والمسلمين، وأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

وأن ينصروا المظلوم برد الظلم عنه، وإعادة الحق إليه، وأن ينصروا الظالم بالأخذ على يده، وكفه عن ظلمه. وبالله التوفيق...

**المأساة الدامية وواجب العرب والمسلمين**

إنها لمأساة دامية ، فجرها النظام العراقي، قبل أن تجف دماء المأساة السابقة بينه وبين إيران !!

فكم من روح أزهقت ، وكم من دماء بريئة أريقت ، وكم من أموال عربية استنزفت عبر ثماني سنوات قضت على الحرث والنسل .. واليوم تتجدد المأساة حين يتعرض الكويت الشقيق إلى عدوان عراقي ظالم ، ما سمعنا بمثله من قبل.

لقد اجتاح الجيش العراقي دولة الكويت على حين غفلة، انقض عليهم في مضاجعهم، فشرد شعباً، ونهب أمواله، وأخرجه من دياره، وانتهك حرماته.. وهذا العدوان العراقي الغاشم يتنافى مع الإسلام ومبادئه التي تقول: ﴿**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا..**﴾.

و أصبح العراق بهذا العدوان معتدياً باغياً، والقرآن الكريم يقول: ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما..** ﴾، وهنا اقتتلت فئة وهي العراق وهي التي قامت بالقتال دون الأخرى، ومدت سائر البلاد العربية والإسلامية يد الصلح ، وابتدأت معالم هذا الصلح في مؤتمر قمة طارئ دعا إليه السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية ، ولكن العراق لم يستجب، وتمادى في غيه وبغيه والآية الكريمة تقول: ﴿ **فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله** ﴾ وقد بغت العراق لدرجة أن احتلت الأرض ونهبت الأموال وانتهكت الحرمات، ومع هذا العدوان كله فلم تقاتل البلاد العربية والإسلامية العراق رغم ظلمه وعدوانه، بل إن جميع البلاد تناشد العراق الحل السلمي، حتى لا يضرب عربي عربياً، وحتي لا يقاتل مسلم مسلماً، حقناً للدماء، ورأبا للصدع، وجمعاً لكلمة العرب والمسلمين. أما كفى العراق وقادته استنزافاً وضياعاً، ثماني سنوات ؟ استنزف فيها دماء المسلمين في حربه مع إيران، وورط الأمة العربية بجواره، زاعماً أنه يدافع عن العرب ، ومدعياً أنه سيدافع عن أي بلد عربي، ما باله يغتصب الكويت وهي الدولة العربية المسلمة المجاورة له، إنه لم يرع حرمة الإسلام، ولا حق الجوار، ولا ما امتدت به يد الكويت إليه من معونات سابقة ، لقد قابل صنائع المعروف من الكويت بالغدر وقابل إخوتهم بالخيانة وانتهاك الحرمات وسفك الدماء ، ما سمعنا بهذا في شريعة الغاب، ولا عند عباد الأصنام أو اعداء الإسلام!!

لقد خدم النظام العراقي بهذه الهجمة الشرسة والتحدي السافر للضمير العالمي الإسلامي، خدم أعداء الإسلام والعروبة... وقامر بمصير أمة، وغامر بالعراق في تفجير المنطقة العربية ، وإشعال حرب لا يعلم نهايتها إلا الله.

أما أحس العراق بالخطر الداهم الذي يتهدده ويتهدد مستقبله؟

أما علم العلماء في العراق : أن هذه الهجمة الشرسة على الكويت لا

يقرها الإسلام؟ إننا الآن في عالم متحضر، وفي عصر مستنير، تحكمه المواثيق الدولية والنظم العالمية ، والعهود التي بين الدول يجب الوفاء بها، فليس من حق دولة أن تتسلط على الأخرى لتسقطها وتخرج أهلها من ديارهم وأموالهم بغير حق.

لقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهود، وحذر من نقضها، وشبه الذين ينقضون العهود، ويعصفون المواثيق، شبه من كان كذلك بالمرأة الحمقاء التي كلما غزلت غزلها نقضته قطعاً وأوصالاً.

قال تعالى: ﴿ **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاْ إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاْ تتخذون إيمانكم دخلاْ بينكم أن تكونوا أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون** ﴾ وقد نقضت العراق كل العهود والمواثيق وأوقعت الدول العربية في خداع أفلا يدرك شعب العراق خطورة هذا الموقف ؟

أليس لديهم برلمان، أو رأي للشعب، ليقولوا كلمة الحق لرئيس هذه الدولة ؟ فمن المستحيل أن يوافق الشعب، وعلماء العراق والمثقفون، والجيش على هذه المخاطرة المهولة، التي يلقون فيها بأنفسهم إلى التهلكة؟ ويعادون فيها العالم العربي والإسلامي، ويعزلون أنفسهم هذه العزلة التي لم تحدث من قبل.. إننا نناشد العراق حكومة وشعباً، وعلماء ومثقفين والبلاد العربية والإسلامية، أن ينصروا الكويت المظلوم بدفع الظلم عنه وأن ينصروا العراق الظالم بالأخذ على يديه ورده عن ظلمه.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً ؟ فقال: « تأخذ فوق يديه ») رواه البخاري.

ونصرة الظالم بكفه عن الظلم، وحجزه عنه، والأخذ على يديه، والتعبير

في الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم: (تأخذ فوق يديه) بالفوقية إشارة إلى الأخذ بالاستعلاء والقوة، وهذا التوجيه يحمل الأمة الإسلامية متضامنة مغبة ما يؤول إليه تفريط الظالم، وأنه يجب على الجميع أن يأخذوا على أيدي الظالمين وأن يقهروهم ليردوهم عن ظلمهم، لأنهم إن لم يفعلوا استشرى شرهم ، وتفاقم خطرهم وعم بلاؤهم الأمة بأسرها. إن أخوة الإسلام تستوجب على كل المسلمين في كل الأرض أن يوقفوا العدوان العراقي الغاشم عند حده، وأن يعيدوا للمنطقة العربية أمنها واستقرارها وإن لم يفعلوا فقد باءوا بإثم عظيم.

فواجب المسلم على المسلم ألا يسلمه ولا يظلمه ولا يخذله.. قال رسول الله ﷺ : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته...) رواه البخاري ومسلم .وفيما رواه مسلم بسنده: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) إن على الأمة العربية والإسلامية، أن تتدارك الموقف قبل أن ينفجر ، وتلتهب المنطقة كلها، إذ ليس من المعقول أن ينفرد شخص واحد في توريط أمة بأسرها، وإشعال حروب لا يدري مداها إلا الله، نتيجة استبداد فرد برأيه، ولو رجع لرأي الجماعة لما وقع فيما وقع فيه، ولا ورط الأمة على هذا النحو المخزي المتردي.

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به.. رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

كيف يترك فرد ليتصرف بمصير أمة؟! أين المواثيق الدولية ؟! كيف يعصف فرد بمقدرات أمة ومصائرها ؟ ويحشد جيشه على حدود الدولة الآمنة، حامية الحرمين والقائمة على رعاية المقدسات وهي المملكة العربية السعودية.. إنه بهذا التحدي والتحرش يقامر بحياة شعبه وجيشه أولاً ثم يشعل الحروب في العالم العربي بأسره.

إن واجب العرب والمسلمين أن يوقفوا هذا العدوان الغاشم والتحدي السافر وأن يخرجوا هؤلاء المعتدين من الكويت الشقيق وأن تعود إليه شرعيته وحكومته، وأن تنسحب الجيوش المحتشدة على الحدود بين المملكة العربية السعودية والكويت تلك الحشود العراقية الباغية التي وجب ردها بقوة المسلمين جميعاً، وإن لم يجتمع المسلمون على قلب رجل واحد لصد هذا العدوان فهم جميعاً آثمون ومشاركون في الظلم، وسيحاسبهم الله حساباً عسيراً.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يقفن أحدكم موقفاً يضرب فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدافعوا عنه) رواه الطبراني.

لقد أصبحت وحدة العرب والمسلمين فرض عين لمواجهة هذا الطغيان الذي يحاول تطويق المنطقة ، ويتستر بالإسلام شكلاً، ليستثير عواطف الدهماء من الناس، وحاول النظام العراقي أن يشغل الرأي العام بقضايا أخري مبتعداً عن القضية الأساسية في الموقف وهي احتلاله للكويت وتشريده لشعب وانتهاكه للحرمات..

واجب الأمة أن تتحد وألا تختلف ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاْ ولا تفرقوا**﴾.

وألا يختلفوا أو يتنازعوا ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾.

لقد حكم الإسلام على الذي يعتدي على إخوانه المسلمين فرداً كان أو جماعة أو دولة، حكم عليه بالبعد عن الإسلام وطريقه الصحيح ومنهجه الذي يدعو أتباعه للأمان والسلام، وعدم الرعب والخوف والفزع وتبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يحمل السلاح على المسلمين ويهددهم ويروعهم كما صنع النظام العراقي بالكويت ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(من حمل علينا السلاح فليس منا) رواه البخاري ومسلم.

بل إن مجرد إلقاء الرعب والخوف حتى بدون حرب حرمه الإسلام وجعل الذين يخيفون غيرهم وينشرون الرعب بينهم أن يحرموا من نعمة الأمان فقال صلى الله عليه وسلم: (من أخاف مؤمناً كان حقاً على الله ألا يؤمنه من الفزع يوم القيامة) رواه الطبراني.

**تحريم الخروج على الجماعة**

وإن الإسلام هو دين الوحدة والألفة، يدعو أتباعه أن يكونوا على قلب رجل واحد ، وأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ويحذر الإسلام من الخروج من الطاعة ، ومفارقة الجماعة ومن الاعتداء والبغي، ومن اعتداء فرد على فرد أو جماعة على جماعة، أو دولة على دولة أخرى ومن كان كذلك، بأن اعتدي على الغير ، وخرج على الجماعة، وضح الإسلام نهايته، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، لايتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه). رواه مسلم.

إن الإسلام يدعو أن نكون أمة واحدة (وإن هذه أمتكم أمة واحدة) لقد دعاهم أن يتحدوا بدين الله تعالى وألا يتفرقوا، فقال سبحانه ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ وهذا الأمر الإلهي موجه للأمة بأسرها، حتى يكونوا كالجسد الواحد، وكالبنيان المرصوص وحذر أشد التحذير من الفرقة والاختلاف والتصدع الذي يترتب على الخروج عن هذه الوحدة، قال رسول الله ﷺ (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية) أي مات على صفة أهل الجاهلية من حيث هم فوضى لا إمام لهم، ولا وحدة تجمعهم، ولا دين يعصمهم من الفرقة والضلال والفتنة، كما بين أن الذي

يقاتل تحت راية عمية أي تحت قيادة لا يتضح فيها وجه الحق والصواب فأمرها أعمى لا يستبين فيه وجه الحقيقة كمن يتقاتلون لعصبة، وشهوة نفسية تعصباً لقومهم وهواهم، فلم يسألوا عن الحكم، ولم يتأكدوا من شرعية هذا القتال بل قاتلوا تعصباً لقومهم وقيادتهم وإن كانت ظالمة وعلى الباطل.

وخطورة مثل هذا القتال أنه يؤدي إلى هدم الحياة، وطمس معالم الحق، وتشريد الشعوب، ونهب الأموال وانتهاك الحرمات باسم العصبية العمياء. ومن خرج على هذه الأمة، يضرب برها وفاجرها، غير مكترث بمن يقاتله، براً كان أو فاجراً، ولايخشى مغبة ما يؤول إليه أمره.. لا يتحاشى من مؤمن هذه الأمة ولا يفي لصاحب العهد عهده، مثل هذا يبرأ منه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (فليس مني ولست منه) وهكذا يدعو الإسلام إلى وحدة المسلمين وتكاتفهم وتضامنهم، ويحذر من الفرقة والاختلاف والانقسام، والاندفاع في العدوان، واعتداء الناس بعضهم على بعض، أفراد كانوا أو جماعات، أمماً كانوا أم شعوباً.

ومن حاول تفريق الأمة الإسلامية، أو عمل على تصدع الأمة فإن حكم الإسلام أن يُضرب بالسيف حتى لا يتفاقم شره ، ولا يعم أذاه ، قال عليه الصلاة والسلام: (ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان) رواه مسلم.

وهذا الحديث يكشف عما سيحدث من فتنة ومن أمور حادثة (ستكون هنات) وهي: جمع هنة وتطلق على كل شيء والمراد بها هنا الفتن والأمور المحدثة، وقد يتسبب عن هذه الفتن أو الأمور الحادثة أن يتعصب قوم أو جماعة أو دولة لنفسها بدافع العصبة وليس بدافع الحق، وقد يندفع البعض لعمل فيه تفريق كلمة هذه الأمة وانقسامها وفرقتها واختلافها (فمن أراد أن يفرق بين أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان).

وفي هذا التوجيه النبوي الحكيم، دلالة على مقاومة الخارجين الذين يريدون تفريق كلمة المسلمين، إنهم ينهون عن ذلك أولا، فإن لم ينتهوا، ولم يندفع شرهم إلا بالقتل فقتلوا، كان القتل هدراً.. إنه الحرص الأكيد من الإسلام على وحدة الأمة، وإن الذي يكون سبباً في تفريق كلمتها يستحق هذه العقوبة، لأنه يترتب على تفريقها الضياع والانهيار، فتصبح لقمة ( سائغة) لأعدائها، ولذا حذر القران الكريم من التنازع، لأنه سبب الفشل والضياع، قال الله تعالى: ﴿**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾ وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من قتال المسلمين بعضهم لبعض ، فهذا القتال من صفة غير المسلمين، قال عليه الصلاة والسلام: (ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) رواه الترمذي.

**الحكم الشرعي في الاستعانة بغير المسلمين**

منذ اجتاح الغزو العراقي دولة، دولة الكويت الشقيقة، على حين غفلة، ومنذ حشد النظام العراقي جيوشه على حدود المملكة العربية السعودية، وتطلع إلى باقي دول الخليج منذ ذلك الحين، استعانت المملكة العربية السعودية بقوات دولية من العرب وغيرهم، ومن المسلمين وغيرهم. ومنذ تواجد هذه القوات ، وقد انطلقت دعاوى مغرضة حاول العراق أن يبثها بين صفوف الأمة، زاعماً أنه يريد تحرير المقدسات وتوزيع الثروات وتنادت خلفه بعض أصوات ضعيفة الإيمان وانخدعوا بتلك المقولة الرخيصة التي لا يركن إليها ذو عقل ودين.

وزعموا أن الاستعانة بتلك القوات غير جائزة شرعاً، فكان لزاماً أن نوضح الحكم الشرعي في ذلك، وبيانا لحقيقة الأمر، فإن المملكة العربية السعودية لم تستعن بتلك القوات إلا للضرورة القصوى. حيث رأت الخطر الذي يتهددها، محاولاً استخدام أسلحة الدمار الشامل المحرمة شرعاً، والممنوعة دولياً، وأمام هذه الضرورة تبرز القاعدة الشرعية: الضرورات تبيح

المحظورات.. ثم إن هذه القوات إما مسلمة، وإما معاهدة، وقد جاءت لا لحرب المسلمين، بل لرد العدوان الذي يهددهم به العراق، والدفاع عن النفس واجب، بكل ما يستطيع الإنسان أن يدافع به ، والاستعانه بتلك القوات الدولية ، إنما هو قائم على أسس من المواثيق الدولية ، واتفاقيات ومعاهدات بين الدول بعضها مع بعض.

والاستعانة بغير المسلمين جائزة، قال الإمام الشافعي وغيره من العلماء: إن كان الكافر حسن الرأي في المسلمين، ودعت الحاجة إلى الاستعانة به استعين به أ.هـ (نقلاً من شرح النووي على صحيح مسلم).

كما روى الإمام أحمد بن حنبل ما يدل على جواز الاستعانة بالمشرك عند الحاجة وفي السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي مشاهد صادقة، تحمل أوضح الدلائل على جواز الاستعانة بغير المسلمين، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت عمه أبو طالب، وزوجته خديجة، وكان عام الحزن الذي أظلمت فيه فجاج مكة من فجار الشرك والوثنية، راح إلى الطائف يلتمس العون، فلما وجد منهم الإسراف في إيذائه، والإمعان في اللؤم والفجو، غادر الطائف وهو مهموم وعند جبل صغير انقطع عن آخر كبير يسمي بقرن الثعالب، فرفع رأسه فاذا هو بسحابة قد أظلته فنظر فاذا فيها جبريل، قال: فناداني فقال:إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم ، قال: فناداني ملك الجبال، وسلم عليَّ ثم قال: يا محمد إن الله قد بعثني إليك وأنا ملك الجبال لتأمرني بأمرك فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (هما جبلا مكة أبو قبيس ومقابله) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شئياً) رواه البخاري ومسلم. وفي رواية أخرى فقال له ملك الجبال: أنت كما سماك ربك (رؤوف رحيم).

ولما عاد إلى مكة ذهب إلى حراء، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره فاعتذر، ثم بعث إلى سهيل بن عمرو ليجيره فاعتذر، فبعث إلى المطعم بن

عدي ليجيره فقال: نعم ، وأجاب في نخوة وشجاعة وكرم عربي أصيل، فذهب اليه رسول الله ﷺ ،فبات عنده ليلة فلما أصبح خرج هو وبنوه ستة أو سبعة متقلدي السيوف جميعاً فدخلوا المسجد، وقال لرسول الله: طف واحتبوا بحبائل سيوفهم في المطاف، فأقبل أبو سفيان ابن حرب إلى المطعم، أمجير أم تابع ؟ قال : بل مجير قال: إذا لا نخفر ذمتك أي لا نغدر بعهدك وقال: قد أجرنا من أجرت ، وجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه، فلما انصرف انصرفوا معه . وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ استعان بكافر ودخل مكة في جواره ، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في المواسم: من يؤيني حتى أبلغ رسالة ربي)؟

وواضح أن رسول الله ص هو أعظم المتوكلين على الله وخير الذين يوقنون برعاية الله ونصره، ولكنه مع هذا استعان بغير المسلمين حين احتاج الأمر إلى ذلك، وهو مشرع وله أصحاب سيتعرضون لصنوف الأذى والعذاب فلو لم يكن أسوة لهم بفعله وتصرفه، لتعرضوا للفناء والهلاك..

ففي هذا التصرف النبوي دلالة على الاستعانة بغير المسلمين عند الحاجة.

وفي مسيرة الهجرة النبوية المباركة استأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً يسمى عبد الله بن أريقط كان ماهراً بمعرفة الطرق الخفية، ولم يكن مسلماً بل كان على دين كفار قريش ، ولكنهما أمناه.

ومما يدل على جواز الاستعانة بغير المسلمين أيضا، ما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم من معاهدة وادع فيها أهل الكتاب وعاهدهم على المناصرة، وأصبح اليهود ملزمين بمعاونة المسلمين إذا ما دهم المدينة عدو، وبعدم مساعدة المشركين ومناصرتهم ضدهم، لولا أنهم خانوا عهدهم.. ففي إبرام مثل هذه المعاهدة وتلك الوثيقة معهم دلالة على جواز الاستعانة بغير المسلمين إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

وفي غزوة حنين خرج في جيش المسلمين ثمانون من المشركين، منهم: صفوان بن أميه ، وسهيل بن عمرو ، وذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن عند صفوان بن أمية دروعاً وسلاحاً ، فلما عزم الأمر أرسل إليه، وهو يومئذ مشرك ، فقال : بل عارية مضمونة ، فأعاره مائة درع بما يكفيها من السلاح ، وسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم من حملها ففعل ، فلما تمت الموقعة جمعت دروع صفوان فوجدوا أن بعضها فُقد ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له ، فأبى وقال : أنا اليوم في الإسلام أرغب.

وفي هذه الواقعة دلالة أخرى على جواز الاستعانة بغير المسلمين جنوداً مع المسلمين ، وبالاستعانة بأسلحتهم .

وأما ما ورد من بعض الأحاديث التي تفيد خلاف ذلك كحديث الرجل جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقال: جئت لأتبعك فأصيب معك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا ، قال فارجع فلن أستعين بمشرك. ثم مضى، وأعاد عليه مرة أخرى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة فقال لا قال: فارجع فلن أستعين بمشرك قال: فرجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة تؤمن بالله ورسوله ؟ قال: نعم فقال له: (فانطلق ). رواه أحمد ومسلم.

وقد ذكر الشوكاني هذا الحديث الذي يفيد منع الاستعانة بالمشرك، وذكر بعض الأحاديث الأخرى التي تفيد جواز الاستعانة بالمشركين مثل: عن ذي مخير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ستصالحون الروم صلحاً تغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم) رواه أحمد وأبو داود. والجمع بين هذه النصوص على أن النبي صلى الله عليه وسلم تفرس الرغبة في الذين ردهم فردهم رجاء أن يسلموا فصدق الله ظنه، أو أن الامر إلى رأي الإمام، أو أن الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها. قال بعض العلماء هذا أقربها وعليه نص الشافعي.

ومما يدل على جواز الاستعانة بالمشركين أن قزماً خرج مع أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو مشرك فقتل ثلاثة من بني عبد الدارحملة لواء المشركين، حتى قال ﷺ: (إن الله ليآزر هذا الدين بالرجل الفاجر) كما ثبت ذلك عند أهل السير، وخرجت خزاعة مع النبي صلى الله عليه وسلم على قريش عام الفتح. وذكر الإمام الشوكاني عن أبي حنيفة وأصحابه أنه يجوز الاستعانة بالكفار والفساق حيث يستقيمون على الأوامر، واستدلوا على استعانته ﷺ بناس من اليهود.. ثم ذكر جواز الاستعانة بالفساق على الكفار إجماعاً، وعلى البغاة، لاستعانة على رضي الله عنه بالأشعث.

هذا مع ملاحظة أن هذه القوات التي بالمملكة العربية السعودية هي قوات دولية لم تقتحم الحمى بل استدعاها أولو الأمر لدفع الخطر، ولتتكأفا الأسلحة والقوات.

وإنها أيضاً لم تأت لتحارب العراق، بل جاءت لتشارك مع غيرها من القوات في رد أي عدوان وفي ردع أي هجوم على البلاد.

ولدول هذه القوات وحكوماتهم مواثيق دولية واتفاقيات وعهود على دفع الأخطار.

ومن العجب أن القوات الدولية ، وفت بمواثيقها، والعراق خرق كل المواثيق الدولية، وخالف كل العهود واتفاقيات الدفاع المشترك، ولم يستمع لنداء العقل والسلام والإسلام ، بينما هو يتمسح بالإسلام ودعوته.!

وإننا لندعو العراق رئيساً وحكومة وشعباً، أن يستجيب لدعوة الإسلام أدخلوا في السلم كافةً ودعوة العقل والسلام وأن ينسحب من الكويت، وأن تعود الشرعية إليه ، فإن أساس المشكلة هي الغزو العراقي الظالم للكويت.

كيف يتمسح بالإسلام وقد شرد دولة، واجتاحها ؟ !

كيف يتظاهر بتوزيع الثروات وقد نهب ثروات الكويتين وأموال جميع

الأجناس والعاملين فيها ؟!

ألا فليعد النظام العراقي إلى رشده وصوابه، وليستجيب لدعوة الإسلام إلى السلام، كفى عناداً ومكابرة !!

كفي استنزافاً لأموال العرب ومقامرة بمصائر الأمم والشعوب.

أدعو الله تعالى أن يهدي صداماً، وأن يعيد إليه الرشد، وأن يجمع الله كلمة العرب والمسلمين . وبالله التوفيق .

**وطن الحرمين في رعاية الله وواجب على المسلمين الحفاظ على أوطانهم**

بسم الله الرحمن الرحيم

إن المملكة العربية السعودية، هي وطن الحرمين الشريفين، سعدت بجوار الكعبة المشرفة، وبمثوى خاتم الأنبياء والمرسلين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، والمملكة تقوم بخدمة الحرمين خير قيام ولا تدخر جهدا في بذل أقصى ما في الوسع الإنساني لخدمة الحرمين وخدمة ضيوف الرحمن، وزوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل المملكة يعيشون حياة طيبة آمنة،طبقوا فيها شريعة السماء، وتخلى عاهل السعودية، عن وصفه بجلالة الملك، واستحسن أن يلقب بخادم الحرمين الشريفين، كما أن المملكة أصبحت مضرب المثل في الأمن والرخاء والاستقرار فكيف تسول الأطماع لزاعميها دعاوي مغرضة حولها؟!

إن ما حدث من الغزو العراقي لدولة عربية إسلامية جارة للعراق، صاحبة أياد بيضاء عليه ، شيء مخزي ومتردي وإن ما يحدث من الحشود على حدود المملكة خادمة الحرمين وخادمة الحجيج لأمر لا يقره دين ولا عقل...

أما كان أولى بجيش العراق أن يُوجَّه لتحرير فلسطين ولنصرة الأقليات الإسلامية وللدفاع مع بلاد المسلمين وعن المقدسات الإسلامية؟!

إن لدينا حقيقة قرآنية كبرى، ذكرها القران الكريم في سورة (الفيل)

أنبأ فيها الحق تبارك وتعالى برد جيش أبرهة على أعقابهم خاسرين وجعلهم كعصف مأكول، حين أرادوا بيت الله بسوء، وعندما طالب عبدالمطلب أبرهة بإبله وسأله ومجد آبائك؟ فأجاب عبد المطلب بكلمته المشهورة الشجاعة، أما الإبل فهي لي وأما البيت فله رب يحميه.

فبنص القرآن الكريم سيحمي الله البيت وأهل البيت ومن يخدمه ويجاوره، فمنذ زمن بعيد عندما خرج سيدنا ابراهيم عليه السلام وترك ولده الرضيع إسماعيل مع أمه وذهبت الأم بعدما نفد ما لديها من ماء تبحث عن الماء وقطعت سبعة أشواط، حتى جاء الملك وبحث في الأرض فتفجرت زمزم عندئذ قال جبريل لها كما جاء في الأحاديث الصحيحة : _لا تخافوا الضيعة فإن هاهنا بيتاً سيبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله فهذا حديث صحيح يثبت أن الله تعالى مع أهل هذا الوطن العظيم وأن هذه التهديدات، وتلك التحرشات سيبوء بها أصحابها فقد قال صلى الله عليه وسلم في يوم الفتح (إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة).

كما صان الله تعالى مدينة رسوله صلى الله عليه وسلم وحفظها من كل سوء ومن كل معتد أو مغير ، فقال صلى الله عليه وسلم (من أراد أهل هذه البلدة بسوء (أي المدينة) أذابه الله كما يذوب الملح في الماء) وفي حديث سعد بن أبي وقاص عن أبيه (ولا يريد أهل المدينة أحد بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء) رواه مسلم.

وفيما رواه البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يكيد أهل المدينة أحد الا انماع كما ينماع الملح في الماء) أي أذاب. وفيما رواه النسائي من حديث السائب بن خلاد رفعه (من أخاف أهل المدينة ظالماً لهم أخافه الله وكانت عليه لعنة الله).

إنها نصوص صحيحة وصريحة في رعاية الله تعالى لوطن الحرمين

الشريفين.. ولكن ليس معنى هذا أن يتكل المسلمون بل عليهم أن يأخذوا حذرهم، وأن يكافح المسلمون عن أوطانهم وأن تبذل الأمة الإسلامية متضامنة أقصى ما في الوسع الإنساني لدرء الخطر . وأن يكونوا على أتم الاستعداد لرد البغاة الظالمين.

وقد آن الأوان ليسارع العرب والمسلمين، وينهضوا على قلب رجل واحد، ليتمكنوا من أداء دورهم الذي تمليه عليهم عقيدتهم ودينهم في مواجهة هذه الأزمة قبل أن يستفحل خطرها، وقبل أن يتفاقم شرها.

لقد دعت الحاج الملحة الآن... إلى التضامن الإسلامي لإيقاظ مشاعر الإخاء والتواصل في سائر أرجاء الوطن الإسلامي، ليهب الجميع عن بكرة أبيهم متعاطفين متساندين متعاونين على البر والتقوى.. وفي التضامن الإسلامي قوة في جميع المجالات ، حتى يتحقق المجتمع المؤمن الآمن، لأن شعار المجتمع المؤمن هو الأمان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والمؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم).

وليس العدوان من سمات المجتمع المؤمن، وليس الغدر من سمات المجتمع المؤمن، بل إن الخيانة والغدر والفجور في الخصومة من سمات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان) وفي بعض الأحاديث والروايات الأخرى: (وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) فالغدر بالعهود والغدر بالأمم والفجور في الخصومة من سمات المنافقين.

ندعو الله تعالى أن يحفظ البلاد الإسلامية من شر المنافقين، ومن شر من يشايعهم، وأن يهدي هذه الأمة إلى سواء السبيل، وأن يرد من أرادها بسوء خائباً مخذولاً، وأن يجمع الكويت الشقيق بوطنه وأن يعيد الله له شرعيته وأن يحفظ على وطن الحرمين الشريفين نعمة الأمان والرخاء والاستقرار.

■ أحد المباني التي أصابها الدمار ■

■ الكويت .. خراب في كل مكان ■

# بحث ..
# لمعالي الدكتور/ محمد معروف الدواليبي

## رئيس المجلس التنفيذي لمنظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي ببغداد، وعضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد برابطة العالم الإسلامي

أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [**البقرة**: ٢٥١].

وقال تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [**الحج**: ٤٠]

حضرات السادة العلماء وأصحاب المعالي الفضلاء والإخوة الكرام المحترمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

وبعد... فمنذ نحو أربعة أشهر تعالى صوت الرئيس العراقي صدام حسين بالدعوة السريعة المستعجلة الخاطفة إلى مؤتمر قمة عربية استثنائية في بغداد، ليتخذ القادة العرب ملوكاً ورؤساء الموقف التضامني الجماعي تجاه تهديدات الكونجرس الأمريكي واقتراحاته بفرض عقوبة اقتصادية ضد العراق ، وذلك بسبب ما كان أعلنه العراق نفسه حينذاك فقال:

**أولا**: إن العراق اليوم هو غير العراق عام ١٩٨١ الذي اعتدت فيه إسرائيل على المفاعل النووي الوحيد في العراق، وهدمته بدون استنكار من العالم الدولي لعدوانها، في حين أن إسرائيل تملك عدداً من أمثاله.

**ثانياً**: إن العراق بعد اليوم سيأخذ بقاعدة "السن بالسن، والعين بالعين" إذا قامت إسرائيل بعدوان جديد على العراق...

هذا ولم يلبث راديو إسرائيل نفسه أن أذاع قائلاً: إن اللجنة العسكرية الأمريكية الإسرائيلية هي مجتمعة اليوم لبحث إمداد إسرائيل بالأسلحة المتطورة التي هي في حاجة إليها... وإذا بالملوك والرؤساء العرب قد أخذوا يتدافعون بسرعة للنزول في بغداد ، استجابة لنداء الرئيس صدام.. وكان

في مقدمتهم الجاران الشقيقان رئيس الدورة الأخير لمنظمة المؤتمر الإسلامي الدولية سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت، وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية.. وكان لكل منهما اليد السخية المفتوحة لمساندة الرئيس صدام طوال حربه في سنواتها الثمانية مع إيران، وخاصةً خادم الحرمين الشريفين الذي أبى عليه الرئيس صدام إلا أن يمنحه أعظم وسام عراقي يمنح لرئيس دولة، وذلك قبل عدة أشهر فقط من استنجاده الأخير بمؤتمر القمة العربية الاستثنائية الذي دعا لعقده في بغداد عاصمة البلد الذي هدده الكونجرس الأمريكي وإسرائيل... وقد أبى الرئيس صدام في مرسوم منح ذلك الوسام العظيم لخادم الحرمين الشريفين إلا أن يكشف فيه عن فضل الملك فهد على العراق، وكشف فيه ما يجوز وما لا يجوز كشفه من أيدي الملك العظيم عليه، وفي صفحات مطولة غير معهودة في مراسيم منح الأوسمة... وكان خلاصة ما جاء في مرسوم مَنْحِ الوسام كما جهر به الرئيس العراقي: **ان الملك فهد لم يتأخر في منحه للعراق كل شيء طلبه منه صدام: مالاً، وبترولاً، وسلاحاً، وخاصة المتطور منه، الذي آثر به الملك فهد العراق على مملكته، وفضلاً عن تقديمه ٢٥ مليار دولار لدعم الجيش العراقي وبنائه** الذي جاء صدام ليحتل به الكويت اليوم ويهدد المملكة العربية السعودي !!! هذا وليس بسر نفضحه اليوم: بأن المملكة كانت أسرع الإخوة الذين استجابوا لنداء صدام إلى مؤتمر القمة العربية في بغداد للوقوف إلى جانبه فيما تعرض له العراق من تهديد من الكونجرس وإسرائيل... بل أخذ الملك فهد على نفسه يدعو مع صدام إلى وجوب تلبية نداء الرئيس صدام...

وهكذا انعقد مؤتمر القمة العربية الاستثنائية في بغداد، وكانت هناك قبلات حارة وعناق طويل يوم اللقاء في بغداد: ما بين الرجلين الكريمين: الملك فهد وسمو الشيخ جابر الأحمد، وبين صاحب الدعوة الرئيس صدام وصدرت القرارات التاريخية في دعم صدام... ووقف الجميع إلى جانبه أمام

التهديدات، وكذا مع حقه في تملك التكنولوجيا المتطورة... وانفجر يومئذ غيظ شامير رئيس حكومة إسرائيل، كما نقلته وكالات الأنباء العالمية، حين قال متألما:"إن الرئيس العراقي استطاع أن يجمع كلمة العرب حوله!!!" .

غير إنه يا للأسف... وأكرر الأسف ألف مرة... إنه لم يمض شهر واحد على قبلات الرئيس لضيفيه في بغداد سمو الشيخ جابر الأحمد أمير دولة الكويت وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد ملك المملكة العربية السعودية حتى اجتاحت في صباح يوم الخميس، وفي اليوم الثاني من شهر آب (أغسطس)١٩٩٠، ثلاث فرق مدرعة أرض دولة الكويت الصغيرة في حجمها، والعظيمة بشعبها.. وبدون إنذار!!! وبكثافة ألف وخمسمائة دبابة!!! وبأكثر من مائة ألف جندي مما لا تتحمله هذه البقعة المتواضعة... ورابطت فوق ذلك وفي الوقت نفسه، أربعة فرق مدرعة على حدود المملكة السعودية، وبكثافة ألفى دبابة !!! تلك الكثافة التي تجعل من البلاهة أن لا يفهم اتجاهها من كان في مقابلها من الطرف الآخر في الأراضي السعودية...

هذا، وقد تم الاجتياح بكل أسف على الرغم من تأكيدات الرئيس صدام السابقة، وبنحو أقل من ثمانية وأربعين ساعة من اجتياحه المباغت لدولة الكويت !!! حيث كان الرئيس العراقي قد أكد لكل من الملك فهد والرئيس المصري حسني مبارك ، وذلك على أثر مخاوفهما مما قد تم رصده عالمياً من تحركات عسكرية عراقية كبيرة مريبة على حدود الكويت والسعودية، **وقال لهما مؤكداً إنه لن يهاجم الكويت !!! وإن بينه وبين المملكة السعودية معاهدة عدم اعتداء!!!** وكان الرئيس صدام هو الذي عرض على الملك فهد توقيعها قبل عدة أشهر فقط من هذا الاجتياح ، وذلك يوم منح الرئيس صدام للملك فهد أعظم وسام عراقي تقديري... ولم يكن الملك في ريبة من أمر الرئيس صدام يومذاك... وخاصة بعد أن كان آثره الملك فهد على نفسه، وذلك بتسليحه بالسلاح المتطور ، وجعل المملكة ممراً لجميع أسلحة صدام..

هذا.. ويؤسفنا أن ذلك الاجتياح الكبير لدولة الكويت، وفي ساعات معدودة، ومن غير إنذار.. ومع تطويق صدام أيضا وفي نفس الوقت لحدود المملكة مع العراق بتلك الفرق الأربعة المدرعة الأخرى، على الرغم من ميثاق الجامعة العربية أولا.. ثم ميثاق الأمم المتحدة ثانيا.. وأخيرا ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي!!! ومن المعلوم أن كل هذه المواثيق تربط العراق وجارتيه الموقعتين معه عليها بميثاق عدم اعتداء وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى... ولذلك كله فإن من لم يحترم كل هذه المواثيق فسوف لن يحترم أية معاهدة جديدة أخرى معه.. خاصة وإن اجتياحه للكويت قد صادر به دولة كاملة ومستقلة ، وذات سيادة معترف بها منه قبل أسابيع بقبلات حارة في بغداد!!!.

وهذا ما عطل جلسة الصباح من يوم ذلك الخميس لجلسات مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد ليومه الرابع في القاهرة ، وتوالت الاتصالات منذ ذلك اليوم مع مختلف العواصم العربية، وانعقدت فور ذلك دورة استثنائية لمجلس وزراء الجامعة العربية في القاهرة، ثم مؤتمر قمة عربية عاجلة خلال أربع وعشرين ساعة في ضيافة مصر في القاهرة أيضا، وقد دعا الرئيس صدام لعرض قضيته مع الكويت في ظل مظلة عربية، أو إسلامية، فرفض كل ذلك رفضاً باتاً... وأبى إلا فرض إرادته وحده على العالم أجمع... وهذا ما قد أخضع القضية اضطراراً إلى التدخل الدولي بفعل الرئيس صدام وحده ، وذلك عملاً بأحكام منظمة الأمم المتحدة الدولية التي يرتبط بها جميع أطراف القضية... خاصة وقد اضطرب معها السلام العالمي...

وهذا ما جعل الرئيس العراقي يخرج اليوم عن صوابه... ولم يوقر أحداً من إخوانه وشركائه في المنظمات الدولية الثلاثة، وذلك بتجريحه وبالتهجم عليه، وخاصة المملكة العربية السعودية... وما ذلك إلا لاستعمال المملكة حقها الشرعي الإسلامي العالمي والدولي الواجب اليوم بموجب شريعة

الإسلام الدولية... ذلك الحق الذي شرعه رسول الإسلام نفسه عليه الصلاة السلام، وذلك حين قال:"**لقد دعِيت إلى حلف الجاهلية - قبل الإسلام - ولو دعيت إلى مثله في الإسلام لفعلت**" وكان ذلك الحلف هو حلفاً بنصرة الظالم على المظلوم... بل كان رسول الإسلام قد وضع لذلك بنفسه أول حجر لأساس هذا الحلف الدولي، وذلك حين صاغ بنفسه، وبإملائه الكريم"**أول نظام حياة عالمية إنسانية : يقوم على التعاون والتكافل والتحالف فيما بين جميع بني الإنسان وعلي اختلاف الأعراق و الأجناس والأديان**"... وذلك حين صاغ أول دستور عالمي مخطوط، ولأول دولة من دول **الإسلام لينسج المسلمون على منوالها، وذلك في دولة "المدينة المنورة" وعلى اختلاف مواطنيها في الأديان، من مسلمين ويهود ومشركين، وعرف ذلك الدستور باسم"صحيفة المدينة**"حيث جاء فيها القول الفصل في ذلك كله، إذ أملى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

١- هذا كتاب من محمد النبي رسول الله:

(أ) بين المؤمنين والمسلمين: من قريش وأهل يثرب (أي أهل المدينة المنورة)...

(ب) ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، وهم حلفاؤهم في المدينة من تسع قبائل من اليهود ومن مشركي المدينة...

٢- ثم أعلن أولا، وفي صدر الصحيفة:" إنهم أمة واحدة من دون الناس"، وذلك تمتيناً للروابط فيما بينهم، خاصة وقد أصبحوا على عداء سافر مع مشركي قريش في مكة..

٣- ثم ذكر طوائف المؤمنين من المهاجرين من قريش، ومن أهل يثرب (المدينة )، وقد عدد الطوائف، ووزع فيما بينهم الأعباء المالية في حالتي الحرب والسلم، أعلن أن كل طائفة مسئولة أولاً فيما بينها مالياً في هاتين الحالتين (حالتي تحمل الديات ، وفداء الأسرى)، وذلك على أساس من "التكافل بالمعروف (أي من دون إرهاق، والعدل بينهم)...

٤- ثم عمم هذا "التكافل المالي في شئون الحياة" بين الجميع، بقطع النظر عن طوائفهم عند الاقتضاء، إذ أضاف رسول الله على حالتي تحمل الديات، وفداء الأسرى حالة: "المدين المعسر" المثقل بالهموم وأعباء الحياة من أي طائفة كانت...

٥- ثم أوجب على المؤمنين كافة أن يكونوا يداً واحدة على من اعتدى منهم أو ظلم، أو أراد فساداً بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم...

٦- كما أعلن أن ذمة المؤمنين واحدة، وأنهم يجير عليهم أدناهم" أي أن من دخل في أمان أحدهم فقد دخل في أمان جميع المؤمنين، وأن" المؤمنين بعضهم موالي بعض"أي أحلاف بعض.

٧- ثم أعلن أنه من تبعنا من اليهود، فإن "لهم النصر والمساواة بالمسلمين، غير مظلومين، ولا متناصر عليهم"...

٨- ثم أعلن فيما يتعلق " بمشركي يثرب (المدينة) ممن شملته هذه الصحيفة،" أنه ليس له أن يجير مالاً لقريش، ولا نفساً".

٩- وأنه "لا يحل لمن أقر بما في هذه الصحيفة أن ينصر مرتكب جناية أو يؤويه"...

١٠- ثم أعلن أن"اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين"...

١١- وأخيراً ذكر طوائف اليهود التي التحقت بهذه الصحيفة، وعددها بأسمائها طائفة فطائفة حتى بلغت تسعاً أيضاً مع من تبعهم من حلفاء، وقال فيهم جميعاً، إنهم أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، إلا من ظلم فإنه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته، وإن عليهم المناصرة على من حارب هذه الصحيفة، وإن عليهم النصح والبر (أي الوفا)... هذا، ولم يلبث القرآن الكريم أيضاً بعد صلح الحديبية مع مشركي مكة في السنة السادسة من الهجرة، أي بعد ست سنوات من دستور المدينة،

أن دعا إلى التعاون معهم وقال في ذلك: ﴿**ولا يجرمنكم** (أي لا يحملنكم) **شنآن قوم** (أي بغضكم السابق لسبب) **أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾.

ويتضح مما أسلفنا من النصوص النبوية والقرآنية، وهي قليل من كثير، أن الإسلام قد كان أول من دعا إلى التعاون والتكافل، بل والتحالف مع من لا يدين بالإسلام، وذلك كلما اقتضته ودعت إليه مصالح الحياة.. وهذا من مفاخر الإسلام وعالميته وخيريته للناس أجمعين، حيث قال الله سبحانه: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله**﴾ وأي عمل هو أعظم خيرا للناس من التعاون فيه والتحالف عليه من التحالف على نصرة المظلوم وردع الظالم. وهو مصداق أخيراً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾.. وهذا ما يوجب اليوم إدخال" مبحث عالمية أحكام الإسلام في شئون الحياة " على مختلف الأعراق والأجناس والأوطان والأديان كمادة مستقلة من أبحاث الفقه الإسلامي وذلك تأكيداً على المعاني الأساسية لأنها من مفاخر الإسلام، وإليها يتطلع اليوم الناس أجمعون.. وهكذا فإن ما قد قامت به المملكة من السرعة في الدعوة إلى التعاون مع القوى من مختلف الجنسيات، والأديان لصيانة السلام كان عملاً مشروعاً ومشكوراً، ويستحق خادم الحرمين الشريفين، وولي الأمر في المملكة العربية السعودية على ذلك أعظم الشكر مع أعظم الإعجاب، إذ لولا سرعة المبادأة بما قام به لكان مسئولا مسئولية كبري عند الله ثم عند الناس ولكان حظ الخراب والدمار والشتات في المملكة العربية السعودية اليوم أسوأ بمئات المرات مما قد حل في الكويت البلد الآمن على حين غفلة من سلطان الضمير لدى الذين خططوا له وهم (الإخوة الأقربون في الأرض ويحسبون أنهم مهتدون): ﴿**قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاْ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاْ**﴾.

هذا ولا يسعنا في هذا المقام وقبل ختام كلمتنا إلا أن نسجل حقيقتين

مرتين لزعيمين كبيرين وصديقين للعرب في الغرب، وأن نشكرهما عليهما، وذلك **بتسجيل مسئولية العراق في الأولى.. وتسجيل مسئولية الأمم المتحدة في الثانية...**

**أما الأولى**: فقد نقلتها المصادر السوفيتية الإعلامية عن الزعيم السوفيتي غورباتشوف حيث قال:"إن الأزمة العربية في الكويت قد نشأت هذه المرة من ممارسات دولة عربية حجبت بها مشكلة الشرق الأوسط بكاملها عن مجال الرؤية، بما في ذلك القضية الأساسية :قضية فلسطين.. وإنه على الجانب العربي يتوقف اليوم الكثير من جوانب تفادي الانفجار العسكري في كل أرجاء المنطقة، وما قد يترتب عليه من عواقب وخيمة على العرب، وعلى العالم أجمعين"..

**وأما الحقيقة الثانية**: فقد سجلها الزعيم الفرنسي الرئيس ميتران، وذلك حول تقصير الأمم المتحدة حيث قال:"إن فرنسا تعلن تصميمها الشديد على فرض القانون الدولي العادل، والذي هو من مهمة الأمم المتحدة: **إذ أنه صحيح أن المجموعة الدولية لم تنفذ حتى الآن كل قراراتها التي أصدرتها، وخاصة في هذه المنطقة من العالم في الشرق الأوسط وهو ما نأسف له**".. ويعني الرئيس متران بذلك بكل وضوح: مسئولية الأمم المتحدة بصورة خاصة في عدم تنفيذ القرارات الصادرة سابقاً بالإجماع على إسرائيل في هذه المنطقة، والموجبة على إسرائيل الجلاء عن جميع الأراضي التي احتلتها بالقوة في فلسطين وفي الجولان، وفي لبنان... خاصة وقد ضَمَّت أكثرها بقوانين إلى إسرائيل، كما ضمت اليوم العراق دولة الكويت إلى العراق، ولم تتحرك لها المجموعة الدولية حتى اليوم ، وكان عليها تطبيقا لهذه القرارات الإجماعية التي لم تنفذها إسرائيل أن تعمد فوراً إلى المادة /٤/١/من ميثاق الأمم المتحدة كما فعلته اليوم بحق، حيث تقول هذه المادة : "لمجلس الأمن أن يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير لتنفيذ قراراته... ويجوز أن يكون من بينها وقف الصلات الاقتصادية، والمواصلات الحديدية، والبحرية، والجوية،

والبريدية، والبرقية، واللاسلكية، وغيرها من وسائل المواصلات، وقفاً جزئياً، أو كلياً، وقطع العلاقات الدبلوماسية..."ولو أن الأمم المتحدة استخدمت هذه المادة قبل اليوم على إسرائيل، لما تجرأت بعدها دولة بالخروج على قرارات الأمم المتحدة.

وأخيراً نعود إلى الرئيس صدام حسين، ونناشده بالله ورسوله من هذا الملتقى الإسلامي العالمي الكبير، كما نناشده بعد ذلك بالرحم العربي، أن ينزل اليوم عند حكم الله ورسوله، وذلك "بالجلاء الفوري عن الكويت لتعود إليها السلطة الشرعية كما كانت، احتراماً للمواثيق والعهود التي تربطه جميعها بمقررات الجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومنظمة الأمم المتحدة، وأخيراً نتوجه اليوم بهذا النداء الإسلامي العالمي الذي استنجدت به أنت، وكلهم ممن كانوا أيدوك بالأمس، وهم اليوم يعلنون رأيهم بالإجماع حول موقفك من الكويت والمملكة العربية السعودية، ويقولون لك بكل صراحة،: إن تنفيذك لحكم الله ورسوله ، ثم لجميع تلك المقررات الملزمة لك عملاً بارتباطك بمواثيق منظماتها، إنما هو خير لك ولوطنك، ولشعبك، وقد قال الله سبحانه وتعالي في كتابه العزيز:

﴿ **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً** ﴾.

ولا ننسى في هذا المقام أن نردك إلى ما قد عاهد به رسول الله ربه فقال:" **والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله، ويسألونني فيها صلة الرحم، إلا أعطيتهم إياها**"...

ونرجو منك يا سيادة الرئيس أن تستجيب لنداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تعظم حرمات الله وترد الأمانة إلى أهلها ولكل حادث بعد ذلك حديث ﴿ **والله يعلم ما تصنعون** ﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

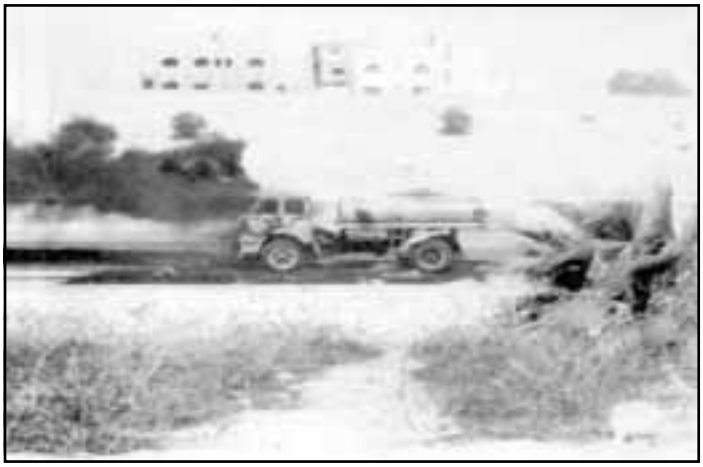

■ من عمليات المقاومة الكويتية ضد الاحتلال ■

■ أكبر عملية تلوث بيئي في التاريخ ■

# كلمة
# للشيخ السيد / محمد عبد القادر آزاد

## رئيس مجلس علماء باكستان
## وخطيب المسجد الملكي بلاهور

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ولا رسول بعده، ولا أمة بعد أمته وعلى آله الطيبين وأصحابه المتقين وأزواجه وبناته وأتباعه من يومنا هذا إلى يوم الدين وبعد:

سيادة رئيس المؤتمر،

معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي والسادة العلماء،

أيها الحضور الكريم،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

فأتقدم بالشكر لأمانة رابطة العالم الإسلامي عن نفسي ونيابة عن جميع أعضاء مجلس علماء باكستان وعن حكومة باكستان وعن الشعب الباكستاني على عقد هذا المؤتمر الإسلامي في هذا الجو في رحاب بيت الله الحرام وفي بلد الله الحرام، وأنا أرجو من الله سبحانه أن يكون لمؤتمرنا هذا آثاراً عميقة في المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية بل وفي أنحاء العالم كله، فهذا عظيم الفخر والاعتزاز للأمة الإسلامية، وهذا يوم مشهود أن ينعقد هذا المؤتمر في مكة المكرمة وفي رحاب بيت الله الحرام الذي هو مركز الهداية والدعوة الإسلامية وسوف أوجز كلمتي هذه إن شاء الله تبارك وتعالى.

**أيها السادة الأعزاء الكرام،**

قال لينين الذي هو من كبار رجال الشيوعية في كتابه (لينين المشرق) "فعلينا أن نزرع في قلوب المسلمين وأفكارهم التشكيك والريب وأن نشتت جمع الأمة الإسلامية ووحدة المسلمين وكلمتهم" والأمة الإسلامية وصلت إلى هذه النتيجة بعد تسع سنوات بأن صدام البعثي الذي هو من أتباع ميشيل عفلق هو الذي أسس حزب البعث ومشى على خطوات لينين وسعى أن يفرِّق

الوحدة الإسلامية، وصدام البعثي بدأ الحرب بين إيران والعراق وقتل فيها مليونان من المسلمين وضاعت فيها قوات الأمة الإسلامية وأموالها وآلاتها الحربية.

وحينما أدرك صدام البعثي تلميذ لينين في آرائه وأفكاره بأن الأمة الإسلامية صارت قوية والمسلمون أجمعوا على كلمة واحدة توقف الحرب بين العراق وإيران وبسط يد الموافقة والصداقة إلى إيران وتسليم شط العرب إلى إيران.

والحقيقة أن الصدام البعثي أثبت أنه هو الخارج وهو البادئ في العدوان والإثم والظلم، والآن هو احتل الكويت وهي الدولة، وخوَّف الجيران وهدد الإخوان ويريد أن يتسلَّط على جميع الإمارات العربية الإسلامية الخليجية، وهذه الإرادة إرادة لا تجوز بوجه ما قانوناً وإحساناً وديانة.

**أيها السادة:**

قال الله عز وجل ﴿ **فأصلحوا بين أخويكم** ﴾، قام للصلح جميع الحكومات الإسلامية والمؤتمر الإسلامي وأصدرت الأمم المتحدة قرارات، ولكن الصدام البعثي رفض القرارات واستمر في البغي والعدوان والآن هو ينظر بنظر سوء إلى الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، فعلى الأمة الإسلامية وعلماء الإسلام وقادة الفكر الإسلامي أن تقوم جميعاً حكومة وشعباً ومنظمة بحسب قول الله عز وجل: ﴿ **وإن بغت إحداهما فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله** ﴾.

**أيها القادة السادة:**

حسب الاعلام الدولية فإن الصدام البعثي كان يريد أن يسيطر على الإمارات العربية والمملكة العربية السعودية في أيام عديدة ولا سمح الله له، ولكن خادم الحرمين الشريفين عرف بمن الله وكرمه إرادته السيئة والشنيعة وساعد حكومة الكويت المظلومة وأيقظ الأمة الإسلامية والملة الإنسانية على

صد العراق الجارح وهذه خاصة لخادم الحرمين الشريفين.

والآن الحمد لله مليون ومائة ألف من المسلمين قاموا منعاً على مخالفة صدام البعثي والأمة الإسلامية توافق جميعاً ما اتخذ من الإجراءات في هذا الشأن خادم الحرمين الشريفين وهو يدافع عن المقدسات الإسلامية والأعراض الإنسانية والمواطنين والمقيمين في ظل المملكة العربية السعودية.

وأذكر على سبيل المثال بعض ما قام به خادم الحرمين الشريفين في خدمة قضايا الأمة الإسلامية:

إن خادم الحرمين الشريفين ساعد لتحرير أفغانستان وكشمير والقدس وفلسطين وإريتريا والفلبين ونصر جميع الحركات الدينية الإسلامية التي قامت في أي ناحية من أنحاء العالم وبنى عدة مراكز ومساجد في جميع أنحاء العالم وزين مسجد القبلتين والحرمين الشريفين ومسجد قباء وصرف عليها ملايين الريالات إرضاءً لله وخدمة للمعتمرين والحجاج، وعلى الأمة الإسلامية أن توافق الحكومة الرشيدة السعودية حسب التعليمات الشرعية والقرآنية والسُنة النبوية.

**أيها السادة:**

يقول بعض الناس أن الصدام البعثي قام لحماية الإسلام والحرمين الشريفين، وأنا ألقي عليهم سؤالاً: هل يطبِّق الصدام البعثي القوانين الشرعية في العراق وبغداد وكربلاء؟ والحال أن بعد كل عشرة دكاكين دكان للخمر والمسكرات، وهو يريد أن يكون جو البقاع المقدسة مثل جو الحكومة العراقية فحشاً وسوءً.

**أيها القادة:**

هل قال الصدام البعثي جملة واحدة لحماية جهاد الأفغان في ثمانية سنوات؟ وما قال شيئاً لتحرير كشمير، بل هو يوافق جميع ما فعلته حكومة الهند في كشمير المحتلة وهنأ وزير الشؤون الخارجية الهندية كجرال على ما

قامت به حكومة الهند من المظالم والمذابح.

إن مجلس علماء باكستان والشعب الباكستاني وحكومة باكستان دائماً يوافق المملكة العربية السعودية وخادم الحرمين الشريفين وهذه فريضة دينية أخلاقية.

أخيراً أجيب سؤالاً هاماً وهو أن السعودية لم تطلب المساعدة من أمريكا في الحقيقة هذا الطلب حسب الإقدامات التي قام بها سيد الأنبياء والرسل محمد رسول الله عند حلف الفضول وميثاق المدينة والهجرة إلى الحبشة.

وأيضاً يُقال إن عساكر أمريكا وأوروبا تعينت للمحافظة على الحرمين الشريفين وحقيقة الحال أن عساكر أمريكا بعدت عن البقاع المقدسة تقريباً ١٥٠٠ ميل وما جاءت والله إلا لمساعدة الجيوش الإسلامية للضرورة إلى ذلك ولأنهم أعضاء في الأمم المتحدة، والسعودية كذلك عضو في هذه المؤسسة العالمية.

ثم هذا صدام وزير خارجيته مسيحي وقد طلب البابا شنودة وغيره من رهبان وعلماء المسيحية عندما كانت الحرب بين العراق وإيران قائمة، فهل كان ذلك حلالاً وهذا حرام؟

ويجب على مؤتمرنا هذا أن يتخذ قراراً يظهر به الحق حسب ما جاء في كتاب الله وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويدفع به ما يتقول به أهل الزيغ لإشعال نار الفتنة بين المسلمين.

وندعو الله عز وجل أن يوفقنا على قول الله عز وجل: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾ وأن يبعدنا عن الظلم والعدوان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق للجميع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

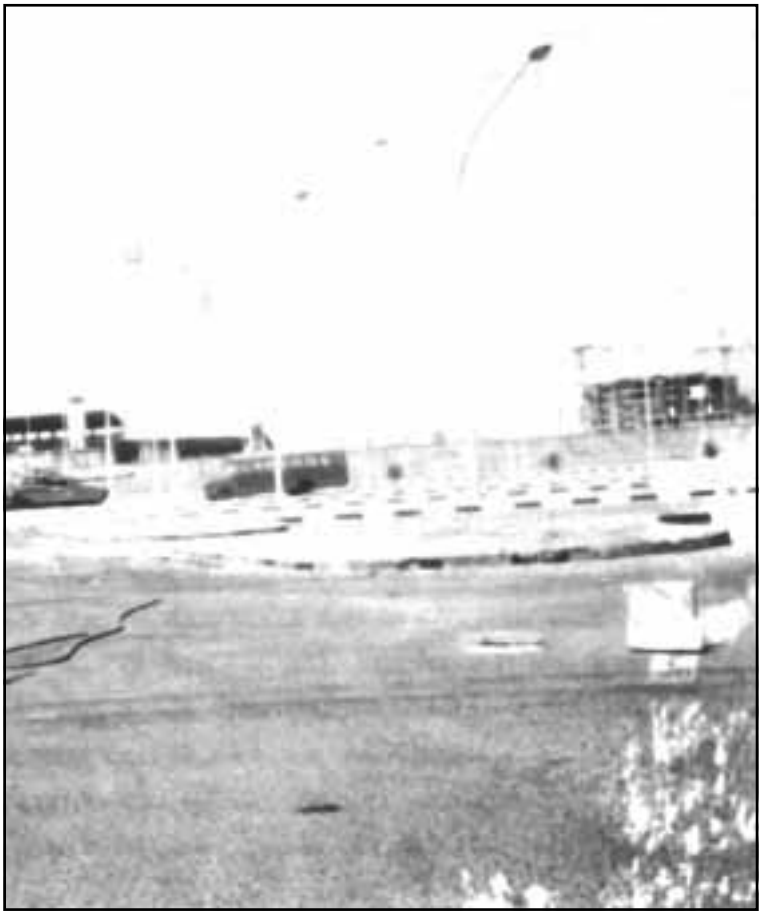

■ رعادة بناء الكويت سيتم بمشاركة شركات خليجية ■

# أبيض

# كلمة...
# لسماحة العلامة الشيخ
# أبي الحسن علي الحسن الندوي

## رئيس ندوة العلماء في الهند وعضو المجمع الفقهي
## الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

# المأساة الأخيرة في العالم العربي
# دراستها من الناحية الدينية والخلقية
# والمبدئية والدعوية وتحليل أسبابها وانعكاساتها

الحمد لله وحده ،والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده،

وبعد فقد كان أعمال حركة "رسالة الإنسانية"(بوسائل وإمكانيات محدودة) ترى بنشاط، وتتوسَّع آفاقها إلى نهاية شهر يوليو١٩٩٠م، وقد كان مؤتمر دلهي التاريخي المنعقد في١٧ مارس ١٩٩٠م، واجتماع لكهنئو الناجح الذي انعقد في ٢ يوليو ١٩٩٠م خير مثال للقبول والشعبية التي كانت تنالها هذه الحركة، وتأثيرها على النفوس، ومما يدل على هذه الشعبية المتصاعدة، الخطابات التي انهالت على مكتب الحركة ، والطلبات التي تلقاها المسؤولون بعقد هذه الاجتماعات في المدن الهندية الأخرى وكانت هذه الوسائل تشفّ عن حرص المواطنين على تصعيد هذه الحركة وتعميمها، وعن رغبتهم الملحة في حضور مثل هذه الاجتماعات، وكان مما يبعث على التفاؤل الكبير أن هذه الحركة بدأت تنال تأييد المثقفين وأصحاب الأذهان الخالية من العصبية الطائفية من السياسيين ، وأصحاب الضمائر الحرة من المواطنين من غير المسلمين، وسترعى استجابتهم لدعوتها استجابة حارة ، أخذت هذه الدائرة تتوسَّع، ولمع بريق الأمل على أفق الهند بأن الضمير الوطني سينتصر نهائياً، وإنه يمكن معالجة هذا الوضع غير الطبيعي الذي يهدد سلامة البلاد في شكل الاضطرابات الطائفية، وسفك دماء الأبرياء ،وأن القوى الفاعلة ستدرك الخطورة ، وتتصدى لها، وتبذل مجهوداً مركزاً موحداً لتغيير هذا الوضع.

بجانب هذه التطلعات برز هناك عامل استبشار آخر لا يقل عن انتصار ( بالنسبة للملة الإسلامية في الهند ، حاضرها ومستقبلها ) وهو أن المسلمين في هذه البلاد بدأوا مرة أخرى يشعرون بضرورة العودة إلى تمثيل دورهم كدعاة للحق ، وحماة الإنسانية ومعلِّمي الأخلاق ، وبدأوا يفكرون من هذه الزاوية ، فكان هذا الشعور معقد الأمل بأن المسلمين سيستعيدون في هذه البلاد مرة أخرى دورهم القيادي بجدارة واستحقاق وأنهم سيكسبون ثقة المواطنين كمجدَّفين لسفينة البلاد وكمنقذين لها من الشقاء والدمار، ويعتقد الناس أن جبهة خدمة الإنسان والإخلاص في حبّ الوطن كانت قد أصبحت مكشوفة غير محروسة منذ زمن بعيد، وأن المسلمين الذين يؤمنون بأن الله"رب العالمين" وأن محمداً رسول الله"رحمة للعالمين" هم أجدر وأحق بأن يتولوا هذه الزعامة، وكان يتوقع إن هذه الحركة الإنسانية، والمجهود الأناني سيؤدي إلى إزالة سوء التفاهم وعدم الثقة والكراهية بين المسلمين وغيرهم من الطبقات، ويكشف زِيف الدَّعايات والأباطيل الشائعة عنهم، والتي ألقى ظلالها الكثيفة التاريخ المزوَّر، والمصالح السياسية، وبالتالي تنجو البلاد من الخطر المحدق بها نابعاً من الاضطرابات الطائفية، وإراقة الدماء والأعمال والأفعال التي تثير غضب الله وسخطه، وتجلب عقابه.

كذلك كان مما يبشر بخير، ويبعث على التفاؤل الكبير، أن العالم العربي الذي كان الداعي الأول إلى الإسلام، والذي يشمل المقامات المقدسة المباركة، وهو الحارس الأمين لها، وهو المختبر الأول لاحترام الإنسانية، العدل والمساواة، وهو مهد الدعوة إلى الأمن والسلام ، يعيش منذ مدة بأمن وسلام وثقة متبادلة، ورفاهية ورخاء، واحترام للإنسانية ، وهو في موقف لتوجيه الدعوة إلى العدل والإنصاف، واحترام الإنسان والتعايش السَّلمي، إلى العالم الخارجي، وأن يقدَّم له واقع الحياة فيه نموذجُ وقدوة، وهو يحمل كفاءة لأن يحتل المنصّة العالمية لتوجيه هذه الدعوة ويتولَّى مرة أخرى منصب الإمامة والقيادة الإنسانية.

كان هذا هو الوضع السائد إلى أخر يوليو١٩٩٠م، فكانت الآمال معقودة، وكان العاملون في مجال الدعوة والإرشاد متفائلين، رافعي الرأس، وكان في عيونهم بريق الأمل، فإذا بالعالم يهتزُّ في٢ أغسطس١٩٩٠م بحادثة مروعة لم تنكس رؤوس الدعاة إلى العدل والاحترام الإنساني فحسب، بل نكست رأس الملة الإسلامية بكاملها (داخل الهند وخارجها) وغضَّت بصرها وتندَّى لها جبينها، وإني كدراس متواضع للتاريخ الإسلامي ومؤلف فيه، لا أذكر أنَّ المسلمين من حيث الملة أصيبوا بمثل هذه الصدمة العنيفة التي أدت إلى خجل وذلة ومهانة منذ قرون عديدة، وتزيد هذه المأساة شدّة ووطأة، أنها وقعت في منطقة عربية مجاورة للمنطقة التي كان منها الإشعاع الأول لاحترام الإنسان، والعدل والإحسان وجزاء الإحسان بالإحسان، والكرامة ونجدة المظلوم والضعيف، وتطوَّر هذا الإشعاع إلى حركة عالمية ودعوة طبقت الآفاق، أعني بذلك الغزو العراقي المفاجئ للكويت، الذي أذاعته محطات الإعلام ووسائل الإعلام العالمية كصاعقة.

إنّ خطورة هذا الحادث المؤلم، وضخامته وتأثيره السئ على الضمير الإسلامي والإنساني، ترجع إلى أسباب عديدة منها:

١- إن غزو بلد عظيم كالعراق لبلد صغير كالكويت بعد أن حقَّق ذلك البلد انتصاراً على بلد عظيم واسع الأطراف كإيران، يقدَّم مثالاً سيئاً لا يتطابق مع التعاليم الإسلامية الخلقية، والتقاليد الإسلامية فحسب، بل إنه يتنافى مع الضمير الإنساني، ومبادئ الأخلاق العامة ، ويعتبر إجراء مذموماً، ومرادفاً للقرصنة، ومما يزيد الأمر خطورة أن كِلا البلدين المعتدي منهما والمُعتدى عليه، بلد مسلم وعربي، ثم إنه اعتداء لبلد على بلد كانت له مِنَّةٌ وفضل عليه في العهد القريب وفي وقت المحنة والبلاء وكان قد أجزل العطاء عليه، ولم تكن له جريمة يستحقُّ بها هذا العقاب.

٢- تعاقبت بعد غزو العراق للكويت واستيلائه عليها الأعمال والتصرفات الشنيعة والمخزية التي لا يوجد لها نظير إلا في تاريخ الغزاة والفاتحين

الجبابرة المستبدين في تاريخ الحروب والفتوح المماثلة.

٣- ثم أن القائد العراقي الرئيس صدام حسين قام بنسخ كل ما سجله من بطولات وانتصارات وتضحيات خلال حربه مع إيران بالصلح مع إيران على شروط إيران من طرف واحد وطرح بذلك جانب الحائط ما خاضه من معارك ضارية معها لرفض هذه الشروط وما ضحى به شعبه من نفوس غالية تبلغ مئات الألوف وما تسببت منها من خسائر جسيمة، وكان تنازله بمثابة إساءة إلى تلك الأرواح الغالية ، وذهبت دماء خيرة الشباب ومعاناتهم سدى، واستحق أن يسأل: ﴿ **بأي ذنب قتلت** ﴾(١).

إننا كّنا نقرأ هذه الآية الكريمة :

﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً** ﴾[ **الفرقان** ٢٣ ]. فكنا نعتقد (وتلك حقيقة) أن الله تبارك وتعالى وصف في هذه الآية الكريمة عاقبة الأعمال في الآخرة، وإنه ذكر مصير بعض النفوس التي لم تصدر منها الأعمال الصالحة لنيل رضا الله، وإنما كانت لغرض من أغراض الدنيا فحبطت أعمالها، وبهذه التجربة مع الرئيس العراقي في صدد التضحيات التي بذلت في الحرب مع إيران، علمنا مصداقية هذه الآية على الحياة الدنيا كذلك، وإن صاحب العمل نفسه يعامل أحياناً بالنسبة لأعماله هذه المعاملة ، ويلجأ إلى موقف مضاد أو معكوس تحبط به أعماله الجليلة فتصبح منجزاته هباءً منثوراً.

٤- كان الرئيس صدّام يعقد به الأمل في بعض الأوساط المتفائلة أنه قد يكون مؤهلاً لملء الفجوة التي كانت تلمس في قيادة العالم العربي أو يوفّقه الله تعالى للاجتهاد من أجل توحيد الصفوف وترصيفها لمواجهة إسرائيل.

---

(١) وقد تساءل وزير خارجية بريطانيا: ماذا كانت جريمة هؤلاء القتلى الذين قتلوا في الحرب ، أليس ذلك ظلماً وإساءة إليهم ؟!.

ولكن خابت هذه الآمال والتطلعات ، ولم تلبث هذه الأماني إلا قد انقلب هذا "البطل المغوار"على إخوته وأشقائه وفتح جبهة جديدة داخل البلاد العربية ، فزحزح كل ما يعقد به المسلمون من أمل وثقة ، بل بتعبير أصحَّ إنه حطم جميع هذه الآمال المعقودة به، وخابت به الظُّنون.

٥- إن غزو العراق للكويت، وعدم إصغائه إلى نداء القادة والعرب والمسلمين وعدم إنصاته لنصيحتهم، وتماديه في موقفه ، وتغاضيه عن جميع المخاطر التي تترتبُ من مثل هذا الموقف الطائش، قد أثارت شبهات ومخاوف بأنه لا يسوقه طمعه أو طموحه -لا قدر الله- إلى التعرض للجزيرة العربية وعلى أخصّها المملكة العربية السعودية التي تتولى خدمة الحرمين الشريفين وحفظهما وصيانتهما والاحتفاظ بقداستهما، والتي أنجزت تلك الخدمة التاريخية التي لا يوجد لها نظير في تاريخ القرون الماضية في تأمين الأمن والسلامة للأماكن المقدسة، ورعاية ضيوف الرحمن وحسن وفادتهم وتوفير وسائل الراحة والأمان، وخاصة توفير مياه الشرب والمواصلات، فلا يطمع في المساس بها فتقع هذه المنطقة المحروسة عُرضةً لمطامعه وهوسه للقيادة والحُكم الذي لا يستبعدُ من أي قائد كان في نشوة الإنتصار العسكري، أو كانت وراءه قوة عسكرية قاهرة، وقد أشار شاعر الإسلام العلامة محمد إقبال في شعر له إلى هذه الحقيقة التي يُصدّقها غزو العراق للكويت، يقول:

(هذه رسالة التاريخ الخالدة، إن نشوة القوة تنذر بخطر جسيم)

كانت هذه المخاوف والشُّبُهات التي لا تُعتبر من المستحيل في تاريخ القوى الطامحة، هي التي حملت حكومة المملكة العربية السعودية على الاستعانة بالولايات المتحدة وبريطانيا لتهيئة الوقاية العسكرية ، وكم تمنَّى المسلمون في العالم، وخاصّة المسلمون في القارة الهندية (الذين تجرَعوا مرارة السلطة الأوربية) لو كانت إحدى الدول الإسلامية قادرة على الدفاع بنفسها عن جزيرة العرب، والحرمين الشريفين بمساعدة

المملكة العربية السعودية عسكرياً في هذه الفرصة الغالية، وتعتبر الدِّفاع عن هذه الأماكن المقدسة، أكثر شرفاً وسعادة واعتزازاً من الدفاع عن بلدها وتعدُّه وسيلة للقربي عند الله تعالى، ونيلِ رضاه.

٦- ولو قيل في تبرير غزوالعراق للكويت، وطمعه في البلد العربي الآخر، أن هذه البلدان العربية، والإمارات الخليجية كانت تستدعي مثل هذه الإجراءات التأديبية منذ زمان وأنه كان نتيجة لحياة الترف والبذخ فيها وأن القران الكريم أشار إلى نتائجها السيئة وأنذر منها، فإني أقول باعتذار ، وأرى نفسي مضطراً إليه أنه لم يتجرأ أحد، وليس في بلاد العجم بل في العالم العربي كله في نقد الأحوال السائدة في هذه المناطق كما وفق الله تعالى لذلك هذا العبد الضعيف في الفترة الزمنية التي تمتد على شطر القرن الميلادي١٩٤٠م وقد صرح ذلك في كتاباته وكلماته التي ألقاها في مناسبات عديدة ويرى ذلك من واجبه الديني.[١] أقول إن علاج هذه الأوضاع لم يكن طريقه الصحيح أن يغزو بلد كبير بلداً صغيراً غزواً مباغتاً ويستولي عليه بلا هدف معين للدعوة والإصلاح وتصحيح الأمور، وإنما كان علاجها الدعوة الإسلامية والحركة الهادفة للإصلاح، والمجهود المخلص والجدي لإحياء الدين، والجهد لإنشاء نظام إسلامي صحيح في البلاد ومنهج إسلامي للحياة، وإنشاء نظام صالح للتعليم والتربية (يقوم بصياغة ذهن الشباب والنشء الجديد وإيجاد مجتمع إسلامي مثالي، وبيئة إسلامية صالحة، تجذب القلوب وتؤلَّف النفوس وتكون قدوة للآخرين ومثال لهم يُقتدي به).

ولكن مع الأسف الشديد أن البلد الغازي، العراق - كما تدلُّ عليه معلوماتي ودراستي- لا يتصف بأيّ وصف من هذه الأوصاف أو أي سمة من

(١) لتصديق هذا البيان يراجع كتاب " العرب والإسلام " " إلى إسلام جديد " " المسلمون وقضايا فلسطين " " كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب " " اسمعوها مني صريحة أيها العرب" " اسمعي يا مصر" اسمعي يا سوريا" " اسمعي يازهرة الصحراء الكويت" " والكلمة الأخيرة التى ألقاها في جدة " حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي مثالي فاضل "..

هذه السمات، فلا مبرر له شرعياً ولا خلقياً لاقتحام مثل هذه المجازفة، لقد أقلق هذا الحادث ذهني وفكري، وأقضَّ مضجعي إلى حد لا أذكر أنى تأثرت مثله قبل حدوث هذه الفاجعة في حياتي، لأني- ذلك فضل الله وتقدير العزيز العليم- منذ أن تطوَّرت في القدرة على الكتابة، والخطاب والدراسة، كرست ما كنت أملكه من قدرة محدودة للتعبير، وما توفّر لي من وقت، على قضايا العالم العربي، وكانت الأمة العربية والدول العربية مجال عملي وشغلي الشاغل، وموضوع دراستي، وخطابي، وكانت معظم مؤلفاتي وكتاباتي باللغة العربية أصالة، ثم نقلت هذه المؤلفات إلى اللغات الأخرى، وأستعير هنا ما قاله شاعر الإسلام محمد إقبال تحديثاً بالنعمة، وتعبيراً عن حقيقة الحال؟

(وإن كان مزماري أعجمياً، فإن الحاني عربيةٌ، ونغمي عربي).

ولصلتي بهذه المنطقة قلبياً وفكرياً، كان من الطبيعي تألُّمي بهذه الحادثة المفجعة، وما يتَّرتب عليها من أخطار، وتهديدات للدول العربية المجاورة وخاصة أرض الجزيرة العربية المحبوبة إلى النفس، والأماكن المقدسة، والحرمان الشريفان فقد عشت فيها قلبيّاً وذهنيّاً في الحقيقة والأحلام.

إذ ما يتعلق بالجزيرة العربية، والحجاز المقدس، والحرمين الشريفين - زادهما الله شرفاً وحرمة - وما يتعلق بمستقبلها وحرمتها وكرامتها، وقداستها ووقايتها من المكروه بطرق غيبيّة حقيقة من حقائق التاريخ، فإنها مهبط الوحي، ومطلع الدين الأخير الخالد، والملجأ الآخر له، ويشهد القرآن، ويشهد التاريخ أنها بقيت مصونة ومأمونة منذ حادثة الفيل وغزو جيش أبرهة، وحتى بعد زوال الخلافة العثمانية التي كان سلطانها وخليفتها يعدُّ ذلك من شرفه وسعادته أن يصف نفسه بخادم الحرمين الشريفين، وبعد استيلاء الدول الأوربية الإستعمارية لمعظم البلدان العربية والإسلامية بقيت على كرامتها وحرمتها، وظلَّت هذه الأماكن في عيون المسلمين أغلى وأثمن وأكرم من أوطانهم، ولا يزال يرنّ في أذني ما قاله العلامة محمد إقبال:

فليتحد المسلمون في العالم لحماية الحرم،
من ساحل النيل إلى سفوح كاشغر

إني واثق برحمة الله تعالى التي أحاطت دائماً بهذا الدين الأخير، والدين المقبول عند الله وهو الإسلام، ويشهد التاريخ به، أن هذه السحب المتراكمة ستنقشع وستزول المخاوف والشبهات، وسيطلع من خلال هذه السحب الكثيفة، والظلام الحالك ضوء جديد، ينير الطريق ، ويبعث على الطمأنينة، ويعيد الشَّرف والعزة والكرامة، والدعوة إلى الحق وإنقاذ الإنسانية، وسيقول ممثل هذه الإنسانية التائهة البائسة للدعاة الأولين إلى الإسلام والحاملين للقران، وحراس الحرم.

لقد دمَّرت القوي الطاغية الأفرنجية هذا العالم، فانهض يا عامر الحرم وابدأ بتعمير عالم جديد.

ولكن هذا الهدف لا يتحقَّق، وهذا الحُلم لا يتحول إلى حقيقة إلا بإحداث انقلاب في الحياة والسيِّرة والسلوك، والأخلاق، ليس في العالم العربي وحده بل في سائر أنحاء العالم الإسلامي، وفي المُجتمعات الإسلامية إنه يتحقق بصياغة الحياة صياغة إسلامية، وسكبها في بوتقة التعاليم الإسلامية السمحة، إنه يتطلب إعادة الإيمان بصدق الإسلام وكونه منهجاً أبدياً للحياة والدعوة إليه، واتباعه في الحياة، وإيجاد حماس وعاطفة له في القلوب، إنه يحتاج إلى اتباع حياة وعد الله تعالى النصر عليها، والرحمة، والفضل، وتجنُّب ما يُسخِطُ الله من أعمال وعادات وسلوك، وصدق الله العظيم :

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠].

■ أحد أفراد المقاومة الكويتية ينقل جريحاً من سيارة صغيرة ■

# أبيض

# كلمة..
# لفضيلة الدكتور
# الشيخ محمد رشيد قباني

## قائم مقام مفتي الجمهورية اللبنانية وعضو المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وأصحابه واتباعه ومن اهتدى بهداه، أيها السادة الكرام،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

ففي بداية كلمتي، أحب أن أوجه التحية أولاً، إلى المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله، لرعايتها الدائمة لكل قضايا العرب والمسلمين.

كما أود أن أوجه الشكر ثانياً، إلى رابطة العالم الإسلامي لمبادرتها إلى عقد هذا المؤتمر الإسلامي العالمي، لمناقشة الأوضاع الحاضرة في الخليج.

إن مؤتمركم هذا أيها الإخوة ، يكتسب اليوم أهمية قصوى، لانعقاده في ظروف مصيرية وخطيرة، تمس حاضر أمتنا ومستقبلها ومصيرها.

وتعلمون أيها الإخوة، إنه منذ أكثر من ستة أشهر تقريباً بدأت هجرة يهودية واسعة من سائر أقطار العالم إلى فلسطين المحتلة.

ومنذ ثلاثة أشهر أيضاً دعا رئيس حكومة العدو الصهيوني إلى قيام دولة إسرائيل الكبرى لاستيعاب المهاجرين الجدد. وفي نفس الوقت تصاعدت انتفاضة أبنائنا المباركة في فلسطين المحتلة، ضد العدو الصهيوني الغاصب، الذي يستخدم في وجه أبنائنا شتى وسائل القمع والإرهاب.

وبينما أمتنا مشغولة بكل هذا أيها الإخوة ، وتتطلع إلى توحيد جهودها، لمواجهة هذه الأخطار الداهمة، إذا بها تفاجأ باجتياح العراق لدولة الكويت هذا الاجتياح الذي تسبب في شق الصف العربي الإسلامي، وزاده شتاتاً على شتات، وفرقة على فرقة، وتحولت به المواجهة بين العرب ودولة اليهود في فلسطين، إلى مواجهة بين العرب أنفسهم ، وصرفهم ذلك عن قضاياهم الأساسية والمصيرية.

وهنا يحق لنا أن نتساءل:

أين أصبحت الانتفاضة داخل الأرض العربية في فلسطين المحتلة، وأين أصبحت قضية لبنان الذي يعاني منذ أكثر من خمسة عشر عاماً من أزمة مستعصية، أودت بشعبه واقتصاده ومؤسساته ، هذه القضية التي كانت برعاية عربية كريمة، وكادت تبلغ حد إحلال الأمن والسلام في ربوع لبنان؟

وأين أصبحنا من التحديات والأخطار الصهيونية التي تهدد وجودنا وكياننا الإسلامي في كل مكان.

كل ذلك أيها الإخوة بات أمراً ثانوياً إن لم يكن قد أصبح نسياً منسياً في ظل المؤامرة الحالية التي تستهدف العرب والمسلمين، في وجودهم ووحدتهم وتضامنهم ورسالتهم، ذلك أن هذا الاجتياح أدى إلى انعكاسات ونتائج خطيرة، لعل أهمها:

**أولا**: الإنشغال عن الخطر الصهيوني المتمثل في مخططات إسرائيل العدوانية والتوسعية والاستيطانية.

**ثانياً**: إلهاء العرب والمسلمين في حروب وصراعات جانبية، تشكل تهديداً لأمنهم ومصالحهم الحيوية.

**ثالثاً**: استنزاف ثروات العرب والمسلمين، ومواردهم المادية، وطاقاتهم الإنسانية، وإعاقة استثمارها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وإبقائهم في حالة من الفقر والتخلف.

**رابعاً**: تفكيك أواصر الأخوة العربية والإسلامية، والقضاء على كل فكرة لوحدة العرب والمسلمين.

وقد تكشف ذلك كله أيها الإخوة، باجتياح العراق لدولة الكويت ، وهذا العمل هو عمل مدان ومستنكر، لأنه نقض العهود والمواثيق، أنكر حقوق الإخوة والجوار التي نادى بها الإسلا.

فأين هذا العمل من قوله صلى الله عليه وسلم (**المؤمن للمؤمن كالبنيان**

**المرصوص يشد بعضه بعضاً)؟**

وأين هذا العمل من قوله صلى الله عليه وسلم (**المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه**).

**أيها الإخوة الأعزاء:**

إن هذا العمل غير المبرر، الذي أقدم عليه العراق، بما خلفه من آثار، وما ترتب عليه من نتائج، هو بحجم الكارثة.

وقد كان طبيعياً ومشروعاً، أن تستنفر المملكة العربية السعودية، كل قواها وقدراتها وطاقاتها، وإمكاناتها لوقف هذه الكارثة الرهيبة ، لا سيما بعد التهديدات المباشرة التي وجهت إليها قولاً وعملاً.

وقد أيد مؤتمر القمة العربي في القاهرة، ومجلس الأمن الدولي ،ما اتخذته المملكة العربية السعودية في ذلك من إجراءات للمحافظة على أمنها وسيادتها سلامة أراضيها، وقد كانت الإجراءات ضرورية ولابد منها للجم الكارثة، ووقفها عند حد معين، وإننا رغم كل ما حدث أيها الإخوة ، لا زلنا نأمل في إيجاد مخرج لهذه الأزمة الكارثة، باعتماد الحلول التالية:

**أولاً**: انسحاب القوات العراقية من الأراضي الكويتية.

**ثانياً**: إعادة السلطة الشرعية في الكويت إلى أصحابها الشرعيين.

**ثالثاً**: فتح حوار بناء بين العراق ودولة الكويت حول جميع القضايا العالقة برعاية عربية إسلامية.

وإننا أيها الإخوة الأعزاء، ما زلنا نعتقد أنه ما زال بالإمكان تجنب المنطقة العربية الإسلامية، خطر حرب مدمرة ، قد تهدد الأمن والسلام والاستقرار ، وتؤدي إلى حدوث تغييرات إقليمية لا يعرف مداها إلا الله.

وأنتم يا علماء المسلمين ومفكريهم لكم دور كبير في المساعدة على الخروج من هذا الوضع الخطير.

وكلمتكم في هذا الشان، ليس لها قوة شرعية فقط، بل لها قوة معنوية أيضا لا يستهان بها.

ولسنا هنا أيها الإخوة ، لنشغل أنفسنا بإدانة المعتدي فحسب ، بقدر ما يجب علينا أن نساعد في وقف التدهور، ومنع الانجرار ، في حرب مدمرة بين الإخوة ، لن يكون فيها رابح ولا منتصر، بل الكل فيها خاسر، والعدو الصهيوني وحده هو الذي سيجني ثمرة ما سيكون من دمار وخراب، ولن نحصد إلا المرارة والحسرة والندامة.

وإننا نرى أن يتوجه مؤتمركم الإسلامي العالمي في مكة المكرمة، بكلمة حق يدعو فيها العراق، أن يعود عن خطئه الفادح، الذي ارتكبه في حق أمته ودينه ومجتمعه.

وما زلنا نعتقد أيها الإخوة ، أن العودة عن الخطأ سبيلاً إلى الإنقاذ، هي فضيلة الرجل الذي يتحلى بالجرأة والشهامة، ولا زلنا نعتقد أيضا أن إقدام المسئولين في العراق على خطوة جريئة، بالعودة عن خطئهم، من خلال اتخاذ قرار تاريخي بالانسحاب من دولة الكويت الشقيق سيكون له صدى طيب، أكبر بكثير من الصدى السيئ الذي تركه اجتياح العراق لأرض الكويت، وسيذكر التاريخ دائماً، وسيؤكد من جديد مدى الأصالة والشهامة التي عرف بها العرب والمسلمون.

وإننا من هذه الأرض المقدسة في مكة المكرمة ومن جوار بيت الله الحرام نسال الله عز وجل أن يلهمنا سبيل الخير والرشاد، وأن يحفظ هذا البلد الذي جعله بلداً آمناً، وأن يحفظ سائر بلاد العرب والمسلمين، وإننا لعلى يقين بأن الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ، هما في أيد أمينة مخلصة، محفوفة برعاية الله وحفظه، آملين أن يجمعنا الله وإياكم في المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين في القدس الشريف، وما ذلك على الله بعزيز، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

# كلمة..
# لفضيلة الدكتور/ التهامي نقرة
## رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالجمهورية التونسية

أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

سعادة رئيس الجلسة.. أصحاب الفضيلة العلماء الأجلاء...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

نحمد الله تبارك اسمه على ما أنعم على هذا البلد الأمين من الخير والأمن والتمكين، ونشكره على آلائه التي لا تحصى، ونسأله سبحانه ونحن مجتمعون حول حرم بيته العتيق الذي جعله مثابة للناس وأمناً أن يوفق هذا المؤتمر العالمي الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي مشكورة، إلى الحكمة والسداد، والاهتداء إلى الطرق السليمة الناجعة التي تضع حداً لإنهاء مأساة الخليج العربي التي هي مأساة المسلمين حيثما كانوا امتثالاً لأمر رب العالمين في كتابه المبين ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين**﴾ ومن شياطين الإنس من يتعاونون مع شياطين الجن على إثارة الفتن وقطع ما أمر الله به أن يوصل وإزهاق الأرواح البريئة روى ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو قال:

"رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول ما أطيبك وما أطيب ريحك، ما أعظمك وما أعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم من حرمتك".

ومن يستطيع أن ينكر أن اجتياح الكويت ظلم وعدوان وسابقة في العالم الإسلامي لا يجوز تبريرها أو تمريرها بل يجب مقاومتها حتى يعود الحق السليب إلى ذويه ولا نجرئ المعتدين بقوتهم على فعل مثله.. إنه لا يجوز لمسلم أن يستمرئ هذا العدوان أو يهمسه في غمرة إنكاره للاستعانة بغير المسلمين وهو السبب الرئيسي للمأساة التي حصلت والتي يجب استخلاص العبرة مما يكمن وراءها من عوامل خفية تقتضي التجديد والإصلاح ولكن

الاعتبار لا يقع في النفوس موقع التأثير إلا بعد رفع المظلمة بانسحاب الجيش العراقي من الكويت نهائياً.. وإن ما نتمناه ونسأل الله سبحانه أن يعيننا جميعاً على بلوغه هو التوصل إلى حل سلمي عادل يقي الأمة العربية خاصة والأمة الإسلامية عامة شر حرب مدمرة لا يعلم أخطارها وخطوبها إلا الله علام الغيوب.

ندعو الله مخلصين له الدين أن يقي العالم الإسلامي شر الفتن والمحن وأن يخرج به من هذه الزوبعة الهوجاء إلى شاطئ النجاة والسلامة إنه سميع النداء مجيب الدعاء.. ألم يقل رب العزة في محكم تنزيله:

﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة..**﴾ ألم ينهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حمل السلاح لقتال إخواننا المسلمين إذ قال" **من حمل علينا السلاح فليس منا**".

فمرجعنا في حل مشاكلنا وإنهاء خصوماتنا من أجل ما اختلفنا عليه هو الكتاب والسنة إن كان تمسكنا بالإسلام حقا كما قال تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاْ**﴾.

ولقد نهانا الله عن العدوان حتى على الذين يقاتلوننا بغياً فقال تعالى: ﴿**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾.

فالدفاع عن الحق المغتصب بالسطو والاعتداء لإرجاعه إلى أصحابه الشرعيين لا يكون في مدى قوته إلا بالقدر الذي يتحقق به الهدف المطلوب ولا يزيد عليه فإذا عاد كل شيء إلى مكانه الأصلي بالتفاوض السلمي فأمامنا ما يشغلنا وهو إبطال مخططات إسرائيل ضد العروبة والإسلام وتأصيل الفكر الإسلامي الذي لم يزل يشكو الهزال والوهن.. إن خادم الحرمين الشريفين يدرك أبعاده في المستقبل البعيد وهو الذي عرفه العالم العربي كما عرفه العالم الإسلامي موئلاً يرجع إليه في المهمات والملمات

وحسم الخلافات التي تنشب من حين لآخر في العالم الإسلامي فيتدخل بالحسنى ويسعي للصلح ولا يتوانى عن إيجاد الحلول المرضية وتقديم المساعدات والإعانات التي يرأب بها الصدع ويجمع الشتات ويمحو الحزازات . وإنا لنأمل دوماً ممن يحب العدل أن يسنده ويذود عن الحق أن ينصره ويجنح للسلم العادل رغم أنه لم ينكث عهداً ولم ينبذ معاهدة إخاء وذلك عملاً بقول تعالى:

﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم** ﴾.

وهذا داخل في مشمولات المسؤولية العظمى التي حملنا إياها ربنا جل جلاله لنسدي النصيحة لعامة المسلمين وخاصتهم وأئمتهم ولا نسكت على باطل ولا ندعو إلى الحرب وويلاتها.. ومسؤولياتنا ليست في كلام بليغ نقوله ثم نفترق على غير موعد متجدد ويمضي كل منا إلى وطنه ثم يسدل الستار.. بل يجب أن يكون لنا إسهام هام في حل هذه الأزمة التي توشك على الانفجار وإنارة سبيل الساسة لتكون رؤيتهم للقضية واضحة من جميع جوانبها بحيث لا يطغى جانب على آخر أو على جوانب أخرى من الأهمية بمكان وكذلك تكوين رأي عام إسلامي يكون له تأثيره الفعال على الاتجاهات. ومجريات الأحداث والشر كل الشر في غياب الإسلام عن ساحتنا الإسلامية عموماً.. فمن واجبنا في هذا العصر أيها السادة العلماء أن نجمع بين صدق الكلمة وقوة الفعل وهو ضرب من ضروب الجهاد وليس تحقيقه بالأمر الهين وقوى الشر في العالم تتربص بنا الدوائر وليكن رائدنا ونحن ندعو إلى الإسلام ونزكيه وننميه قول النبي صلى الله عليه وسلم" **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يقتله.. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**" وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** ﴾.

وهنالك نقطة هامة يجب الاهتمام بها وقد أشارت إليها الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي**

**أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾.**

فإن هذه الحملات الإعلامية المسعورة التي تقوم بها مختلف وسائل الإعلام كلما جرت على الساحة العربية أحداث ليست من الحكمة في شيء لأنها تصعد الخلافات وتجعل الحلول السلمية مستبعدة وهو أسلوب عقيم في علاج المشاكل قد تجاوزه عصر المخططات والتكتلات والأحلاف.. فعلماء الإسلام يصونون ألسنتهم عن اللعن والثلب وكل ما يثير غريزة الغضب والعناد ويكون له تأثير عكسي بل يتوخون منهجاً مقنعاً علمياً في تبليغ كلمة الإسلام والدعوة إلى الحق والعدل والخير وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يكون المسلم إمعة يتبع الناس فيحسن إن أحسنوا ويسيء إن أساءوا وصدق الله ذو الجلال والإكرام إذ يقول في كتابه العزيز: ﴿ **يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** ﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

■ سحب الدخان تتصاعد من مصدر التلوث بعد إيقاف تدفق النفط من قبل القوات الدولية ■

■ محطة تحلية المياه المدمرة ■

# أبيض

# كلمة..
# فضيلة الدكتور/ يوسف القرضاوي

## عضو المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي
## وعميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
## بقطر - الدوحة

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد الذي أرسله ربه رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. ورضي الله عمن دعا بدعوته واهتدى بسنته وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً. نحمدك اللهم على كل حال ونعوذ بك من حال أهل النار. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

أيها الإخوة الأحبة خير ما أحييكم به تحية الإسلام الخالدة

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

فكم كنت أدعو الله تبارك وتعالى أن يقر أعيننا بأن نحتفل بنصر كبير للمسلمين بتحرير أفغانستان من براثن الحكم الشيوعي أو بتحرير المسجد الأقصى وفلسطين من براثن الاحتلال اليهودي. كنا نتمنى أن نجتمع لنحتفل بنصر تقر به أعيننا فإذا بنا نجتمع لنبحث في مأساة وكأنما كُتب علينا نحن هذا الجيل والجيل الذي قبلنا أن نظل في مأساة وراء مأساة ونخرج من كارثة لنقع في كارثة. فتن يرفق بعضها بعضاً كما جاء في الحديث، (كل فتنة تجعل الفتنة التي قبلها هينة ورقيقة وبسيطة) وهكذا قدر علينا نحن المسلمين أن نعيش هذه المأساة.

جئنا أيها الإخوة لنبحث في مأساة الخليج، مأساة الكويت، مأساة الظلم الذي وقع، و الظلم الذي وقع ظلم لا شك فيه وهو مأساة بكل المقاييس، مقاييس الدين أو الخلق أو الفكر أو العرف أو القانون. مأساة نعيشها نحن المسلمين، واشد ما جعل هذه المأساة تتضاعف آثارها أن ينقسم أبناء المسلمين في شأنها وكأنها قضية تقبل الاختلاف.

ما كنت أظن أبداً أن هذه القضية سينقسم الناس فيها هذا الانقسام الذي نراه، فالأمر فيها واضح وعلماؤنا قالوا قديماً أن توضيح الواضحات من المشكلات أن نقيم الأدلة على شيء واضح بارز هو من البديهيات هذا أمر متعب، ولكن هكذا قدر علينا.

أصبحنا الآن نُعيَّر من العلمانيين واللا دينيين والماركسيين وغيرهم، بعضهم يقول إنكم تقولون إن عندنا النصوص الإلهية هي التي تحكمنا عندما نختلف وتحسم القضايا ويرجع الناس إليها فإذا بهم على أمر جميع فما بالكم قد انقسمتم هذا الانقسام واختلفتم هذا الاختلاف.

وقال بعض كبار العلمانيين المعروفين قال إن هذا دليل على أن النص الإلهي لا يحل المشاكل الكبرى فقضية كهذه القضية الكبرى لم نجدكم قد اتحدتم على الحكم فيها. وبعضهم اتخذ من ذلك وسيلة للطعن في علماء الإسلام وقال ها نحن نرى العلماء في كل بلد تبعاً للسلطة التي يعيشون في ظلها. العلماء في العراق تبعاً للعراق والعلماء في الأردن تبعاً للأردن والعلماء في مصر تبعاً لمصر والعلماء في السعودية تبعاً للسعودية وهكذا أصبحت أعراضنا نحن العلماء مجالاً للغمز والطعن والتجريح وكأننا نزمع أن نقول ما يرضي هذا أو يرضي ذاك، ولهذا يجب علينا أن نفهم أن مهمتنا هي البيان (لتبيننه للناس ولا تكتمونه). مهمتنا كما جاء في كلمة خادم الحرمين الشريفين التي قرأها الدكتور عبد الله التركي أن نقوم بالشهادة لله. أن نقول الحق لا نخاف في الله لومة لائم. هذه مهمة العلماء سواء أن رضي عنها زيد أو سخط عنها عمرو.

ومن في الناس يرضي كل نفس وبين هوى النفوس مداً بعيداً
إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبان عليّ لئامها

رضى الناس غاية لا تُدرك ولذلك يكن همنا إرضاء الله تبارك وتعالى نقول الحق، قد يكون الحق موافقاً للمملكة أو مخالفاً لها، لا نكون كالذين حكموا بالظلم ليشتهروا بالعدل. هنالك بعض القضاة قضوا على بعض السلاطين أو الخلفاء ظلماً ليقال أنهم شجعان وأنهم حكموا بالعدل. هذا لا يجوز نقول الحق لا نبالي والحق واضح في قضيتنا. قضية ظالم ومظلوم ومعتدٍ ومعتدى عليه.

الإخوة تحدثوا عن الظلم وإن الظلم واضح وهو ظلم مضاعف لأنه ظلم من ذوي القربى، الشاعر العربي قديماً طرق بالعدل وقال:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

فكيف إذا كان هذا الذي ظلمك هو من كنت ترجو نصرته، من وقفت تسانده بنفسك ومالك، إنه يظلمك ويقاتلك بالسلاح الذي اشتريته له بحر مالك، يقاتلك بهذا السلاح، هذه هي المصيبة.

وإخواني حسبتهموا دروعاً فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهمو سهاماً صائبات فكانوها ولكن في فؤادي

ظلم بكل المقاييس. الكويت تعرِّض أمنها للخطر من أجل مساندة هؤلاء وتعرضت مؤسساتها للتفجير وتعرض أميرها للاغتيال في نفسه وكل هذا لم يكف فجاءوا أخيراً ليعتدوا على الأرض والعرض والمال وكل مقدس. وللأسف يوجد هناك من يهون هذا الأمر والقرآن الكريم يقرر أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً. نفس واحدة فكيف بأنفس وكيف بآلاف. النبي صلى الله عليه وسلم قد كان مع بعض

أصحابه في سفر فطفق رجل على راحلته - أخذته سنة من النوم - فأخذ بعضهم حبلاً منه يداعبه يمزح معه فانتبه الرجل ففزع فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (لا يحل لمسلم أن يروع مسلما) ولو كان ذلك على سبيل المداعبةأو المزاح، أخذ منه الحبل من تحته ففزع فزعة صغيرة وفي الحديث الآخر: (لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم) هؤلاء روعوا الآلاف وعشرات الآلاف ومئات الآلاف، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فعسى أن ينزع الشيطان في يده أو يقرع في يده فيقع في حفرة من حفر النار) مجرد الإشارة وقال: (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة لا تزال تلعنه حتى يرجع) الإشارة فكيف بما هو أكبر من الإشارة؟ قال: (من سل علينا السلاح فليس منا) لقد عدنا إلى عهد الجاهلية.

وأحـــيـــاناً على بكر أخـــينـا إذا لـــم نـجـــد إلا أخـــــانـا

ولكنا نجد الكثيرين يمكن أن نغير عليهم، كان عليهم أن يغيروا على إسرائيل أو على غيرهم من أعداء الإسلام. ولكنهم تركوا إسرائيل وأغاروا على الكويت ثم هددوا هذه الأرض المقدسة. هل يشك أحد في أن هذا ظلم وعدوان يجب استنكاره ومقاومته بكل ما نستطيع من قوة. أنا أعجب أن يختلف الناس في هذا وأن يحاول بعضهم ترك الأمر الأصلي. هذه الجريمة النكراء التي ترتب عليها من الآثار ما ترتب، ترتب عليها من الآثار الأشياء الكثيرة آثار اقتصادية وآثار اجتماعية وآثار سياسية وآثار أخلاقية وآثار نفسية نعاني أثرها وستظل أجيالاً تعاني آثارها.

بعد هذه الغزوة الهمجية بعد هذا العدوان الغادر لكل المعايير نجد من يهون لهذا الأمر ويركز على شيء واحد هو الوجود الأجنبي ومن منا يحب الوجود الأجنبي لقد عشنا أعمارنا نحارب الوجود الأجنبي في أرض المسلمين.

ولكن إذا لم يوجد إلا هذا. هذا أثبت في حياتنا الإسلامية خللاً لم نستطع أن نزيل هذا الخلل للأسف. ليس عندنا محكمة عدل إسلامية تفصل بين المسلمين بعضهم مع بعض. ليس عندنا قوة ردع إسلامية تنفذ قول الله تعالى (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) لا يوجد عندنا للأسف هذه القوة التي تردع كثيراً مما ذكروا الإخوة (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما) ولكن هنا ليس هناك فئتان تقتتلان حتى نصلح بينهما إنها فئة تقتل وتنهب وتغتصب وتنتهب كل حرمة وفئة تقتل وتنتهب وتغتصب فئة واحدة لا توجد فئتان حتى يصلح بينهما فئة باغية.

هذا أدخل ما يكون في باب الحرابة وقطع الطريق أو باب ما ذكر في الفقه باسم دفع الصائل المعتدي من دخل عليك دارك يعتدي عليك في نفسك وأهلك ومالك كما جاء في الحديث (أرأيت يا رسول الله إن دخل علي يريد أخذ مالي قال فلا تعطه مالك قال فإن قاتلني قال فقاتله قال فإن قتلني قال فأنت شهيد قال فإن قتلته قال فهو في النار) هذا لدفع الصائل المعتدي هذا موقفنا أن نقاتل المعتدي لم يوجد عندنا للأسف نحن المسلمين قوة ردع لهذا المعتدي فاستعنا بغير المسلمين والاستعانة بغير المسلمين أمر بحثه الفقهاء واختلفوا فيه، ولكن عندما تحتم الضرورة أن تستعين بغير المسلم فلا محل للخلاف؛ إذ وقد استعان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشركين في غزواته بالمدينة واستجار بالمطعم بن عدي في مكة إلى آخره.

الضرورة هنا تحتم أن تستعين بغير المسلم، سنة التدافع (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) عرفنا ونحن في الريف أناساً بلطجية يحاولون أن يفرضوا أتاوات على بعض الأثرياء وإلا أحرقوا زروعهم وسموا بهائمهم وهدموا عليهم ديارهم وفعلوا وفعلوا. ماذا يفعل هؤلاء الناس إذا كان هؤلاء لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم؟ يستأجرون للبلطجي بلطجياً مثله وهكذا.

هكذا ينتقم الله من ظالمٍ بظالم ثم ينتقم من كليهما. سنة التلاحم.إن

هذا ليس الوضع الأمثل. الوضع الأمثل أن يوجد عندنا نحن المسلمين من يستطيع أن يردع الظالم المعتدي وهذا ما يجب أن نفكر فيه وأن نعد العدة للمستقبل وهذا من عبر المحنة التي يجب أن نتحدث عنها، من عبر هذه المحنة لا بد أن نراجع أنفسنا ونخطط لمستقبلنا ونبحث وضعنا كأمة إسلامية ذات رسالة في هذه الأرض. الأمر الذي لا شك فيه أننا مضطرون أن نستعين بغير المسلمين والضرورات تبيح المحظورات.

ولكن هذه القاعدة الشرعية تكملها قاعدة أخرى هي أن ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها وكذلك لا نتوسع في استعمال الضرورة ولا نستسلم للضرورة حتى تصبح قاعدة.

هذ استثناء ولهذا نحن نؤكد ما أكده خادم الحرمين الشريفين وما أكده المسؤولون هنا في هذا البلد أن هذه القوات جاءت لهدف معين لتضغط على العراق حتى ينسحب فإذا انسحب فلا بقاء لها وهذا ما يجب أن يؤكده هذا المؤتمر. إن هذه القوات لا يجب أن تظل بصفة دائمة ولا أن تتخذ لها قواعد ولا أن يكون لها وجود ثابت ومستمر في هذه المنطقة وإلا فسنكون نحن أول من نقاومها وسندعو الناس لقتالها. هذا أمر واضح ولذلك نحن نعجب حقيقة لمن يريد أن يركز على على الوجود الأجنبي وينسى الجريمة الأصلية، الوجود الأجنبي شر ولكن الذي يتحمل وزره هو المعتدي الغاصب الذي أدخلنا في هذه المتاهة وفي هذه الدوامة وعيشنا هذه المأساة، هو الذي يحمل وزره دينياً وقومياً وتاريخياً لسنا نحن المسؤولين وعلينا أن نناديه باسم علماء المسلمين نناديه أن ينسحب حتى لا يوجب أي مسوغ أو مبرر لبقاء هذه القوات إن كان يريد الخير للمسلمين حقاً وإن كان يكره وجود هذه القوات فعليه أن ينسحب.

لقد كان جريئاً حين بدأ هذا العدوان فليكن شجاعاً وينهي هذا العدوان وقد رأيناه تنازل عن أمور أكبر من هذا الأمر، حارب من أجلها ثمان سنوات أكلت الأخضر واليابس ودمرت البلاد وضيعت العباد ثم تنازل عنها بجرة

قلم، فلماذا لا يتنازل ويكون شجاعاً وينسحب بدل أن يقول هؤلاء سنقاتل مع الظالم، نقول له انسحب ولا تدع فرصة ولا مسوغاً لهذه القوات.

**يا ايها الإخوة:**

أنا أعجب في الحقيقة من هذه الأمور التي يختلف فيها الناس وهي واضحة وبعض الناس يقولون كيف تجيزون حصار العراق؟ أتريدون تجويع الشعب العراقي؟ سبحان الله العظيم، إن هذه وسيلة من وسائل الضغط. عندنا القاعدة الشرعية اختيار أهون الشرين وارتكاب أخف الضررين إذا لم يكن بديل للحصار الاقتصادي إلا الحرب. الحرب المدمرة وهي حرب غير الحروب الماضية. حرب النجوم، حرب الأسلحة المتطورة، وهذه وراءها ما وراءها من خراب ودمار فلكي.

نتجنب الحرب فهذه وسيلة من وسائل الضغط لكي يرى هذا الرجل إن كان عنده حب لشعبه وحرص عليه حتى لا يجوع، يحاول أن يفهم القضية وينسحب أو الشعب نفسه يثور عليه كما قال أحد السلف: عجبت لمن لا يجد القوت في بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه؟ فلا شك إنها وسيلة من وسائل الضغط.

لا نريد أن يجوع شعب العراق ولا نريد بالعراق شراً ونحن في الواقع لسنا ضد الشعوب. الشعوب مظلومة ومقهورة ولكن: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾.

**يا أيها الإخوة:**

إننا في محنة وفي فتنة تذر الحليم حيران، ولكننا لو رجعنا إلى أصولنا وإلى مصادرنا وإلى كتاب ربنا وإلى سُنة نبينا لوجدنا الأمر واضحاً لا شك فيه.

أن نقاتل الظالم ونأخذ بيد المظلوم وقتالنا للظالم هو نصر له كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنعه من الظلم فذلك نصر له، إنك تنصره

على نفسه وتنصره على شيطانه. نحن نمنع الظالم ونقف مع المظلوم والظلم هنا واضح لا شك فيه، إننا في مأساة كبيرة وهي إحدى المآسي التي مرت بهذه الأمة وليست أول مأساة، هناك محنة الردة وهناك محنة الغزو الصليبي وهناك محنة الغزو التتاري وهناك محنة الغزو الاستعماري الحديث وهناك محنة اغتصاب فلسطين، هناك محن كثيرة ولكن نرجو إن شاء الله أن نخرج من هذه المحنة.

خرج الإسلام من المحن الماضية أصلب عوداً وأشد قوة وأصفى جوهراً. لو فقهنا درس المحنة لو استفدنا منها استفدنا من يومنا لعدنا وخططنا لأنفسنا وملأنا الفراغ الموجود وسددنا الخلل الذي أحسسنا به. إننا كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام ومهما نتلمس العزة بغيره أذلنا الله. لا ملجأ لنا إلا الإسلام.

الذي حدث إنما حدث في غيبة الإسلام الصحيح. في غيبة النظام الإسلامي غيبة الوحدة الإسلامية غيبة الخلافة الإسلامية. ألغيت الخلافة ألغاها العلمانيون المتآمرون حطم هذا النظام نظام الخلافة ولم يوجد بديل له. لم يوجد بديل للخلافة الإسلامية ولذلك بقينا حيارى في أول تجربة لم نستطيع أن نعمل شيء، وكذلك لا بد أن ندرس الأمور ونعرف الأسباب التي أدت إلى هذا ونتوب إلى الله تعالى كما قال الأخ عبد رب الرسول سياف لا بد من توبة إلى الله أفراداً وجماعات وحكومات، نتوب إلى الله ونرجع إليه ونحكم كتابه ونطبق شريعته في كل شؤون الحياة، ليس تطبيق الشريعة فقط بتطبيق قانون أو قانون العقوبات، تطبيق الشريعة في الحياة كلها، تطبيق الشريعة في الإعلام، تطبيق الشريعة في التربية، تطبيق الشريعة في التقاليد الاجتماعية، تطبيق الشريعة في إقامة الشورى، تطبيق الشريعة في احترام حقوق الإنسان المسلم تطبيق الشريعة في كل مجالات الحياة.

إننا هنا ينبغي أن نحرص على أمرين لا شك فيهما ولا جدال فيهما: العدوان على الكويت عدوان ظالم وعدوان غادر لا بد أن يُدان وأن يُستنكر

ويُقاوم بكل قوة إذا لم يستجب حكام العراق ونظام العراق إلى صوت العقل ونداء الضمير ونداء المسلمين في كل مكان فليس هناك إلا القوة ونرجو أن لا نلجأ إلى القوةنرجو أن تجنب هذه المنطقة آثار الحروب والدمار. وإدانة العدوان أمر لا يختلف فيه اثنان ولا تنتطح عليه عنزان كما يُقال.

الأمر الثاني: عودة السلطة الشرعية إلى الكويت، لا ينبغي أن يُسمع ما يُقال إنه ينبغي أن يكون هناك استفتاء، ما معنى استفتاء. الشعب الكويتي وقف كله عن بكرة أبيه وراء السلطة الشرعية وضد العدوان ولم يختلف في ذلك أحد المؤيدين والمعارضون لم يجدوا واحداً يؤيد هذا الاستفتاء، ولذلك الذين يقولون يبحث الأمر ويستفتي، لا لا استفتاء تعود الأمور إلى ما كانت عليه ولا ينبغي أن يترتب على هذا العدوان أثر.

هذان أمران ينبغي أن يصدرا في في المؤتمر ولا خلاف عليهما: الانسحاب، إدانة العدوان والمطالبة بالانسحاب وبدون قيد أو شرط ولا تأخير. الأمر الآخر أن تعود السلطة الشرعية في الكويت إلى ما كانت عليه. هذه أمور ينبغي أن تتضح ولا نختلف عليها، وبعد ذلك يبقى الأمر الآخر أن نستفيد من هذه الأزمة ونعتبر بهذا الدرس وبهذه المحنة ونأخذ منها لغدنا ومستقبلنا عسى أن يكون من وراء ذلك خير.

ورب ضارة نافعة وكم من منحة في طي محنة وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل لهذه الأمة من ضيقها فرجاً ومن همها مخرجاً ومن عسرها يسراً وأن يجعل بعد هذا الليل فجراً إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا أيها الإخوة واستغفر الله لي ولكم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

■ الدخان يتصاعد من داخل الحدود الكويتية بعد غارة ناجحة على موقع للقوات العراقية المحتلة على مرأى من القوات السعودية المتأهبة ■

■ معارك مع الحرس الجمهوري داخل العراق ■

# كلمة..

## لفضيلة الدكتور/ محمد رأفت عثمان

### عميد كلية الشريعة والقانون بطنطا
### وأستاذ الفقه بجامعة الأزهر

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

# اعتداء صدام على الكويت منكر يجب إزالته مع صحة الاستعانة بقوات من غير المسلمين

لا أظن أن أحداً من المسلمين متجرداً عن الهوى والغرض يمكن أن يشكك في أن اعتداء حاكم العراق على أرض الكويت هو اعتداء على مال المسلمين ، واعتداء على دم المسلمين ، واعتداء على زوجات المسلمين ، وقد بين لنا رسول الله ص أن المعتدي على شيء من ذلك آثم من حق المعتدى عليه أن يقاتله ، فقال عليه الصلاة والسلام: (**من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد**) قال الترمذي هذا حديث صحيح(١).

وجه الدلالة من هذا الحديث الشريف أنه لما بين أن من يقتل دفاعاً عن هذه الأمور البينة يكون شهيداً فإن هذا يدل على أن المعتدي آثم ومن حق المعتدى عليه بل يقول بعض العلماء من واجب المعتدى عليه أن يدفع هذا الاعتداء عنه ولو بقتله إذا اقتضى الأمر ذلك ولم يكن بد من دفعه إلا بهذا كما كان الذي يقاتل المشركين المعتدين شهيداً إذا قتله المشركون ولهذا جاز له أن يقاتلهم.

قال ابن العربي عند شرحه لهذا الحديث الشريف (المؤمن المسلم بإسلامه محترم في ذاته كلها ، ديناً ودماً وأهلاً ومالاً، لا يحل لأحد أن يتعدى عليه فيها فإذا أريد شيء من ذلك جاز له الدفع أو وجب عليه - فيه اختلاف بين العلماء - بما يراد منه من دم أو مال أو دين أو أهل)(٢).

وإذا كان اعتداء حاكم العراق على أرض الكويت وأهلها منكراً فإن تغيير هذا المنكر أصبح واجباً لقوله صلى الله عليه وسلم (**من رأى منكم منكراً**

(١) صحيح الترمذي بشرح أبي العربي جـ ٦ ص ١٩١.
(٢) المصدر السابق نفس الجزء ونفس الصفحة.

**فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).**

وعن أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾ وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه**)[١].

وإذا كان من حق المسلم - بل من واجبه - أن يزيل المنكر بأي وسيلة يستطيعها فإن من حقه كذلك أن يستعد بوسائل الدفاع الممكنة لصد أي اعتداء محتمل ولا يقال له انتظر حتى يقع الاعتداء أو يشرع المعتدي في تنفيذ غرضه وإلا كان ذلك أقرب إلى البلاهة التي تصان عنها عقول المسلمين.

وولي الأمر في الدولة هو المخاطب الأول بأن يفعل ما فيه مصلحة المسلمين وأن يسلك كل السبل المشروعة التي تؤدي إلى صيانة حياة الناس وأعراضهم وأموالهم من أن ينتهكها معتد غاشم لا يرعى في الله إلا ولا ذمة.

وهنا يرد السؤال:

هل يجوز لولي أمر المسلمين أن يستعين بغير المسلمين في دحر اعتداء واقع أو رد اعتداء وشيك الوقوع ؟

والإجابة بكل اطمئنان:

نعم يجوز الاستعانة بغير المسلمين في الدفاع عن المسلمين ما دامت حاجة المسلمين داعية إلى هذه الاستعانة وسنذكر بمشيئة الله تعالى ما يدل على ذلك ونرد على ما يمكن أن يستند إليه من يخالف هذا الرأي :

---

(١) حلية الأبرار وشعار الأخيار للنووي جـ ٦ ص ٣٢٩.

**الدليل الاول :**

عن ذي مخبر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**ستصالحون الروم صلحاً وتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم**). رواه أحمد وأبو داود(١).

وقال الشوكاني: وحديث ذي مخبر أخرجه أيضاً ابن ماجة وسكت عنه أبو داود والمنذري ورجال إسناد أبى داود رجال الصحيح(٢).

**الدليل الثاني :**

ما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعان بصفوان بن أمية يوم حنين قبل أن يسلم (٣).

بل لم يكن صفوان بن أمية وحده مع المسلمين بل كان صفوان ضمن ثمانين من المشركين خرجوا مع جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتفصيل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن هوازن وثقيف يستعدون لمحاربته عزم على أن يقابلهم بجيشه وخرج معه اثنا عشر ألف غاز منهم ألفان من أهل مكة والباقون أتوا معه من المدينة وكان ممن خرج مع هذا الجيش ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمر.

ويدل حوار جري بين صفوان بن أمية وأخ له أن صفوان بن أمية كان متحمساً لجيش رسول الله ص فإن المسلمين لما تقهقروا قال أخ صفوان الآن بطل السحر. فقال له صفوان وهو على شركه : اسكت فض الله فاك والله لأن يرثني رجل من من قريش خير من أن يرثني رجل من هوازن(٤).

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٤٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق وصحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ ص ١٩٨.
(٤) نور اليقين في سيرة المرسلين للشيخ محمد الخضري ص ٢٣١.

**الدليل الثالث:**

دخول النبي صلى الله عليه وسلم في جوار كافر والكافر هنا المطعم بن عدي وتفصيل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى استهانة قريش به أراد أن يتوجه إلى ثقيف بالطائف رجاء أن يجد عندهم التأييد لما يدعو إليه ونصرته على قومه وكما ذهب إلى ثقيف وقابل رؤساءهم وعرض عليهم ما يريد كان ردهم عليهم رداً قبيحاً وأغروا به سفهاءهم وغلمانهم فوقفوا في وجهه ورموه بالحجارة حتى أدموا عقبه الشريفة.

وبعد عودته صلى الله عليه وسلم من الطائف بهذه الحال لم يتمكن من أن يدخل مكة بعد أن علم أن قريشاً علمت بتوجهه إلى الطائف طالباً النصرة عليهم فأرسل صلى الله عليه وسلم إلى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يخبره انه يريد أن يدخل١١ مكة في جواره فاستجاب مطعم لرغبة النبي صلى الله عليه وسلم وتسلح هو وبنوه وصحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المطاف وسأل بعض المشركين المطعم أمجير أنت أم تابع ؟ فقال: مجير. قالوا :إذن لا نخفر ذمتك(١).

وهذا الموقف الكريم من مطعم بن عدي حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينسه عليه الصلاة والسلام فبعد معركة بدر وحين موعد البت في أمر الأسرى من المشركين قال صلى الله عليه وسلم (**لو كان مطعم بن عدي حياً ثم سألني في هؤلاء الناس لأطلقتهم له**)(٢).

**الدليل الرابع :**

أن قزمان خرج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو مشرك فقتل ثلاثة من بني عبد الدار حملة لواء المشركين حتى قال صلى الله عليه وسلم (**إن الله ليأزر هذا الدين بالرجل الفاجر** )(٣).

(١) المصدر السابق ص ٦٦، ٦٧، ٦٨.
(٢) المغني لابن قدامة جـ ١٠ ص ٤٠١.
(٣) نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ .

ناقش الشوكاني هذا الدليل بأن مقاتلة قزمان مع المسلمين لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم أذن له بذلك في ابتداء الأمر وغاية ما فيه أنه يجوز للإمام (يعني رئيس الدولة) السكوت عن كافر قاتل مع المسلمين [١].

ما الفرق بين كافر قاتل مع المسلمين بعلم رئيس الدولة وسكوته وبين كافر قاتل مع المسلمين بإذنه من أول الأمر؟

لا فرق .. فالواقع هو أن غير المسلم يقاتل مع المسلمين سواء كان بإذن الحاكم أو بعلمه مع سكوته.

**الدليل الخامس :**

أن خزاعة خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم على قريش عام الفتح[٢].

هذا وقد روي في هذه المسألة حديث عن الزهري لكننا لا نعده دليلاً لأن أبا داود رواه في مراسليه ورواه الترمذي أيضاً مرسلاً[٣].

والزهري كما قال العلماء مراسليه ضعيف[٤].

ولا مانع من ذكره هنا ليعرف القارئ درجته فلا يحتج به..

عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم استعان بناس من اليهود في خيبر في حربه فأسهم لهم[٥].

هذه الأدلة الخمسة التي ذكرناها نرى أنها تؤيد الرأي القائل بجواز الاستعانة بغير المسلمين في الحرب . وممن قال بجواز الاستعانة بغير المسلمين في الحرب. وممن قال بجواز الاستعانة بهم الإمام الشافعي بشرط أن يكون الكافر حسن الرأي في المسلمين وأن تكون حاجة المسلمين داعية

(١) الحديث المرسل ماسقط منه الصحابي وهو ضعيف عند جمهور المحدثين.
(٢) نيل الأوطار جـ ٨ ص ٤٥.
(٣) نيل الأوطار جـ ٨ ص ٤٣.
(٤) نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨.
(٥) المصدر السابق.

إلى الاستعانة به فإن لم يتحقق هذا الشرط كانت الاستعانة بغير المسلمين مكروهة.

وحمل الشافعي رضي الله عنه حديث استعانة النبي بصفوان بن أمية ١٤ والحديث الآخر الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل مشرك : **فارجع فلن أستعين بمشرك**. حمل الشافعي هذين الحديثين على هاتين الحالتين[١].

وكذلك يرى أبو حنيفة وأصحابه محمد بن الحسن وأبو يوسف وزفر جواز الاستعانة بغير المسلمين وبالفساق بشرط أن يكونوا خاضعين لأوامر قادة المسلمين ونواهيهم[٢].

وقد بين بعض أهل العلم ومنهم الهادوية أحد فرق الزيدية أن الاستعانة بغير المسلمين والفساق لا تجوز إلا إذا كان مع الإمام (رئيس الدولة) جماعة من المسلمين يستطيع أن يستقل بهم في إمضاء الأحكام الشرعية على الذين استعان بهم من غير المسلمين والفساق حتى يكونوا مغلوبين للحاكم المسلم لا غالبين كما كان عبد الله بن أبى ومن معه من المنافقين يخرجون مع النبي صلى الله عليه وسلم للقتال وهم على نفاقهم[٣].

ولننتقل بعد ذلك إلى بيان مستند الرأي القائل بعدم جواز الاستعانة بغير المسلمين موضحين المناقشة التي يمكن أن توجه إلى ما استند إليه هذا الرأي

ممن قال بهذا الرأي الإمام الشوكاني المحدث والمفسر والفقيه المعروف وقد نسب الشوكاني أيضاً هذا الرأي إلى جماعة من العلماء لم يبينهم وبين أن هذا الرأي أيضاً مروي عن الإمام الشافعي[٤].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ ص ٢٩٨.
(٢) نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٤٤.
(٣) المصدر السابق جـ ٨ ص ٤٤.
(٤) المصدر السابق جـ ٨ ص ٤٤.

**مستند هذا الرأي:**

**الدليل الأول:**

عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة[١] أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: جئت لأتبعك وأصيب معك. قال له رسول الله ﷺ (**تؤمن بالله ورسوله ؟** قال: لا. **قال فارجع فلن أستعين : بمشرك**. قالت ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة : فارجع فلن أستعين بمشرك. قالت: ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة : تؤمن بالله ورسوله. قال: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فانطلق).

فهذا الحديث صريح في منع الاستعانة بغير المسلمين.

**الإجابة على هذا الدليل:**

ذكر البيهقي نصاً عن الشافعي يبين أنه لا معارضة بين هذا الحديث وبعض الأحاديث الأخرى التي تفيد جواز الاستعانة بغير المسلمين كحديث ذي مخبر الذي ذكرناه في أدلة الرأي القائل بجواز الاستعانة بهم فذكر البيهقي عن نص الشافعي أن النبي صلى الله عليه وسلم تفرس الرغبة في الذين ردهم فردهم رجاء أن يسلموا فصدق الله ظنه.

**الرد على الإجابة :**

يرى الشوكاني أن في طريقة الجمع بهذا الوجه نظر وعلل هذا بأن قوله

---

(١) قال الامام النووي في شرح صحيح مسلم جـ ١٢ ص ١٩٨ في بيان معني الوبرة:هكذا ضبطناه بفتح الباء وكذا نقله القاضي عن جميع رواه مسلم قال : وضبته بعضهم باسكانها وهو موضع على نحو أربع أميال من المدينة.

(**لا استعين بمشرك**) نكرة في سياق النفي والنكرة إذا كانت في سياق النفي تفيد العموم.

**إجابة أخري على هذا الدليل :**

أجيب أيضاً بإجابة أخرى على هذا الدليل بأن الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها وقد نسبت هذه الإجابة أيضا إلى الشافعي رضي الله عنه قال ابن حجر العسقلاني في التلخيص وهذا أقربها (يعني أقرب الأوجه التي جمع بها بين الأحاديث المتعارضة) قال ابن حجر: وعليه نص الشافعي[١].

**الدليل الثاني :**

قول الله تبارك وتعالى: ﴿**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً**﴾ وقد رويت رواية عن الشافعي تفيد الاستدلال بهذه الآية الكريمة على عدم جواز الاستعانة بالكافر على المسلمين لأن في ذلك جعل سبيل للكافر على المسلم وهذا لا يجوز كما نصت الآية الكريمة.

وقد أجيب عن هذا الاستدلال بأن السبيل هو السيد (يعني السيطرة) وهي متحققة للحاكم المسلم الذي استعان بغير المسلمين[٢].

**الدليل الثالث :**

ما رواه الشيخان البخاري ومسلم عن البراء قال جاء رجل مقنع بالحديد فقال يا رسول الله أقاتل أو أسلم ؟ قال: **أسلم ثم قاتل**، فاسلم ثم قاتل فقتل فقال النبي صلى الله عليه وسلم **عمل قليلاً وأجر كثيراً**[٣].

ويمكن الإجابة عن هذا الدليل بما أجيب به على الدليل الأول كما يمكن أن يضاف إلى هذا أنه لا يتصور من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذه

---

(١) نيل الاوطار جـ ٨ ص ٤٤.
(٢) و (٣) المصدر السابق جـ ٨ ص ٤٥.

الإجابة وإلا فهل كان من المتصور أن يجيبه الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقاتل بدون إسلام.

**الدليل الرابع :**

عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا على خواتيمكم عربياً)(١).

والإجابة على هذا الدليل بأن في إسناد هذا الحديث كما بين الشوكاني عند النسائي أزهر بن راشد وهو ضعيف وأقول ويكفي هذا في رد هذا الحديث وإن كان كما بين الشوكاني بقية رجال إسناده ثقات.

هذا ومع أن الشوكاني يرى عدم جواز الاستعانة بغير المسلمين ومناقشته دلالة الرأي القائل بجواز الاستعانة بهم فإنه لم يناقش كل أدلة هذا الرأي وإنما ناقش بعضها وعلى الأخص لم يناقش حديث استعانته صلى الله عليه وسلم بصفوان بن أمية يوم حنين وكان كافرا وعلى فرض أن هذا الحديث وغيره سليم من المناقشات فيكفي في ترجيح رأي من الآراء سلامة دليل واحد فما بالك إذا تقوى بغيره .. والله أعلم.

(١) قال الشوكاني ولا تنقشوا على خواتكم عربيا) بفتح العين المهملة والراء وبعدها موحده وقال في القاموس في مادة عرب ولا تنقشوا على خواتكم عربيا أي لا تنقشوا محمد رسول الله كأنة قال نبياً عربياً يعني نفسه.

■ مقاتلون كويتيون يعبرون عن سعادتهم بالمشاركة في تحرير بلادهم ■

■ الحرب البرية العصرية تتطلب توفر غطاء جوي ■

# حكم الشريعة في غزو العراق للكويت
# لفضيلة الدكتور / حسين حامد حسان

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

**أولا**: الاحتلال حرام لأنه ظلم ومنكر وعدوان وغدر وخيانة باعتبار الحال والمسئولية عن واقع أو ما يتوقع.

١- من شارك أو أعان أو أيد باللسان أو بالفعل أو أحل ذلك فهو آثم، فالقتال مع المحتل الظالم الغادر المعتدي حرام وإن مات فهو في النار، ويجب تبليغ ذلك لشباب العراق المقاتلين مع صدام.

٢- هذا المنكر يجب دفعه باللسان وباليد للأدلة القطعية من الكتاب والسنة.

(أ) فعلى العلماء وذوي الرأي وأصحاب القلم أن يتصدوا لهذا العدوان وبيان حكمه وخطره وما يترتب من مخاطر ومفاسد على الأمة الإسلامية، وأن ترسل الأمانة وفودا لشرح القضية في بلاد المسلمين من خلال إقامة الندوات واللقاءات وعلى صحافة الأمة الإسلامية أن تدفع هذا المنكر بنشر المقالات والتحقيقات واللقاءات حتى لا يقع البسطاء من المسلمين في براثن إعلام نظام العراق المنحرف.

(ب) وعلى الحكومات والشعوب أن تمارس ضغوطا على العراق فإذا لم يستجب وجب أن تهب لدفع هذا المنكر بقوة السلاح حتى لا تحق اللعنة على الأمة ويسلط الله عليهم شرارهم فيدعون فلا يستجاب لهم وذلك طاعة للتكليف الوارد في قوله تعالى: ﴿**قاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله**﴾ والوارد في قوله عليه السلام لمن في ماله وقيل ماله نفسه وعرضه "فقاتله" والوجوب أو الجواز الوارد في أقوال الفقهاء موجه إلى المعتدي عليه وعلى غيره من المكلفين، ولقوله عليه السلام"**انصر أخاك ظالما أو مظلوما**".

(جـ) نه إذا لم تكن في المسلمين العدول قوة لدفع العدوان وتغيير المنكر وحماية الأرواح والأموال والأعراض ضد العدوان الواقع أو المتوقع أو قعدوا عن الدفع وقبل غيرهم الدفع عنهم فإنه يلزمهم أو يجوز لهم

وعليهم من الدفع عنهم إعمالا لحكم الضرورة الشرعية كما قال جمهور الفقهاء حماية الأرواح والأموال والأعراض وهي مصالح حماها الشارع بنصوص قطعية وللمسلم أن يستعين في حمايته لها بكل ما يتيسر له من قوة الجماد والحيوان والإنسان كإنسان بصرف النظر عن دينه وموطنه ولونه وجنسه، ولا خلاف بين المجتهدين في أن من قصد في نفسه أو عرضه وجاء من يدفع عنه لحفظ حياته أو ماله أو عرضه فليس له أن يمنعه من هذا الدفع، والمالكية والحنابلة وغيرهم يوجبون الدفاع عن الغير وماله بل يوجبون الضمان على من يمتنع عن هذا الدفع، وهذا على قول القائلين بان الكفار مكلفون بفروع الشريعة واضح، وأما عند غيرهم فالدفع جائز لا يمنعون منه لأنه إذا سقط الوجوب بقي الجواز.

(د) من قواعد الفقه القطعية ومقاصد الشريعة الكلية أن الضرورة تقدر بقدرها وأن ما جاز للضرورة حرم بعد زوالها، وحيث إن المبرر الوحيد المجوز لوجود القوات غير الإسلامية على أرض الإسلام هو دفع العدوان الواقع أو المتوقع على شعب مسلم. فإنه يجب أن تغادر هذه القوات أرض الإسلام بعد انسحاب العراق من الكويت وزوال خطر العدوان عن السعودية ودول الخليج ويجب أن يكون هذا معلوما لقوات الدفع غير الإسلامية وقد أكد أولياء الأمور في السعودية وغيرها ذلك صراحة.

## الصفة الشرعية والأدلة على حرمة احتلال نظام العراق لدولة الكويت

هذا العدوان حرام بأصول كلية وأدلة جزئية تفوق الحصر ويبقى بيان الصفة الشرعية لهذا الاحتلال أي تكييفه الشرعي حتى تعرف الأحكام الجزئية المترتبة عليه والأمر يدور كما عبر العلماء الذين سبقوني من:

١- اعتبار نظام العراق باغيا وخروج على إمام العدل بتأويل مسائله وتطبق عليه أحكام البغي ﴿ **وان طائفتان من المؤمنين ....الخ** ﴾.

٢- اعتباره محاربا وقاطع طريق فيطبق عليه قوله تعالى: ﴿ **إنما جزاء الذين ... الخ إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا** ﴾.

٣- أو من باب دفع الصائل ، أي المعتدي على مصلحة من المصالح التي حماها الشرع كالنفس والعرض والمال ودفعه واجب كما جاء عند المجتهدين بكل ما يكفي لدفعه ولو بقتله وقد سمعت أكثر من مرة قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن حكم من يريد أخذ ماله "قاتله" قال فإن قتلني قال له فأنت شهيد في الجنة قال فإن قتلته قال فهو في النار.

وقتال النظام العراقي واجب أو جائز على جميع هذه الصفات والتكييفات أي سواء كان من قبيل البغي أو الحرابة أو دفع الصائل المعتدي كما سمعنا من العلماء الذين سبقوني في الكلام وأعلنته الأمة الإسلامية والعربية.

(هـ) نظام العراق عضو في الهئيات والمنظمات الدولية والعربية والإسلامية التي تحرم الغزو والاحتلال والاعتداء على الدماء والأرواح والأموال ونقض العهد، والغدر ، حرام حتى مع المشركين.

(و) الكويت والسعودية وبقية الدول الإسلامية عضو في منظمات تحكمها عهود ومواثيق تلزم أعضاء هذه المنظمات دفع الظلم ورد العدوان الواقع أو المتوقع على عضو من هذه المنظمات يعد تنفيذا لعقد ولعهد عليها ما لم تكن الدولة المعتدى عليها قادرة على الدفع.

■ البارجة ميسوري تقصف المواقع والتحصينات العسكرية العراقية على الشاطئ الكويتي ■

■ علامات النصر ■

# الاستعانة بغير المسلمين
# لفضيلة الشيخ / مناع القطان

## مدير المعهد العالي للقضاء ( سابقاً ) والمشرف على الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

كان اجتياح العراق للكويت حدثاً مفزعاً على المستوى العالمي بعامة والمستوى الإسلامي والعربي منه بخاصة، والذين تابعوا الأحداث أصابهم الذهول من هول الجريمة وبشاعة آثارها، التي لا يعرف لها مثيل في التاريخ الا ما حكي عن نيرون وهولاكو خان، وهتلر ولم يستجب حاكم العراق لشفاعة أحد في المصالحة ، ولم تستطع القوى العربية والإسلامية أن تصنع شيئاً يردعه، واستهان بالإجماع العالمي وبموقف العقلاء من حكام العرب.. وأكدت التقارير أن أطماعه تمتد إلى السعودية وسائر دول الخليج وهي الدول التي شدت أزره في حربه مع إيران، ولم تدخر وسعاً في مساعدته، واستحوذ على الرجل شيطان غروره، وشطط كبريائه، وما كادت السعودية والدول الخليجية توافق على وجود قوة عسكرية أجنبية في المنطقة بعد اليأس من قدرة العرب والمسلمين على كبح جماح هذا الصائل الشموس حتى تمسح بالإسلام، وهو من ألد أعدائه معتقداً وواقعاً، ودعا المسلمين إلى تطهير الحرمين من الغزو الأجنبي – وهما على بعد ألف وخمسمائة كيلومتر – ليستثير العواطف الإسلامية الساذجة وهي شنشنة نعرفها من أخزم، فطالما استغل الجبارون الإسلام . ورفعوا شعار الإيمان في ساعة العسرة، يقول تعالى في فرعون :﴿ **حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت** ﴾ والذي يحز في النفس أن بعض العاملين في الحقل الإسلامي استخفهم هذا الشعار، وربما صادف هوى في نفوسهم، فأغفلوا أصل الداء، واستمسكوا بآثاره، وغاب عنهم أن هذا يشغلهم عن القضية الأم، فنددوا بالوجود العسكري للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها على أرض وفي مياه إسلامية وقالوا: إن هذا يتنافي مع أحكام الفقه الإسلامي، إذ لا يجوز الاستعانة بغير المسلمين وهو يؤدي إلى ضياع الخليج كما ضاعت الأندلس عندما استعان ملوك الطوائف بالفرنجة.. وأحب أن أوضح ما يأتي:

١- إن ظلم ذوي القربى من رءوس الشر المتحكمين أشد من ظلم المحتلين - والتاريخ شاهد على هذا - في الواقع المرير الذي يعيشه عالمنا العربي اليوم إذا قيس بعهود الاحتلال الأجنبي.

٢- إن بغضنا للاحتلال الأجنبي لا ينبغي أن يحجب عنا الرؤية الصحيحة والعدالة في الحكم ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ وما كان لهذا الوجود الأجنبي أن يفد إلينا لولا الغزو العراقي للكويت الذي قضى على الأخضر واليابس في ساعات.

٣- إن الاحتلال العسكري الأجنبي لم يعد مقبولاً في العصر الحاضر، وهو يهيج مشاعر الشعوب لمقاومته حتى يزول شبحه، ولكن تسلط أبطال القومية من أبناء جلدتنا، الذين يبسطون نفوذهم، ويسحقون شعوبهم ويلبسون ثياب القادة المغاوير الأشاوس الذين خلصوا بلادهم من براثن الاستعمار - لكن هذا أشد بأساً وأنكى إيلاماً - وأبشع خطراً - إذ لا تستطيع أن تقول في هؤلاء المتسلطين إنهم الأعداء الألداء والمغتصبون المستعمرون.

٤- إن لجوء السعودية ودول الخليج إلى القوى الأجنبية كان بعد اليأس الكامل من وجود قوة عربية وإسلامية ضاربة تقف في وجه هذا الخطر الداهم وترده على أعقابه خاسراً، وقد فشلت جميع الجهود الدبلوماسية في الوصول إلى حل للأزمة. (وشتان بين هذه الحالة وما كان في الأندلس من حروب بين ملوك الطوائف الذين استولى كل واحد منهم على ناحية في البلاد بعد اضمحلال الخلافات الأموية الأندلسية والتجاء بعضهم إلى ملوك الفرنجة).

٥- إن استغلال هذا باسم الإسلام لصرف الأنظار عن فداحة الخطر في العدوان العراقي الذي التهم الكويت الجارة العربية له وفعل فيها الأفاعيل تجارة رخيصة للتلاعب بعواطف المسلمين ، ومن المحزن ما

سمعناه عن انسياق التيار الإسلامي المتحمس وراء هذا الخداع الذي يدغدغ الأحلام، دون وعي فقهي وبصيرة نيرة لإبعاد ذلك الاتجاه، فهو كلمة حق يراد بها باطل.

٦- إن الاستعانة بغير المسلمين لدرء الشر وتخفيف وطأته ، والكسر من حدته أمر جائز شرعاً عند الضرورة، والضرورة تقدر بقدرها، والحاجة تنزل منزلة الضرورة، والحاجة الآن ماسة لهذا ، وقد أعلنت السعودية ودول الخليج أن القوات الأجنبية ستعود أدراجها بعد انتهاء الحاجة التي دعت إليها.

٧- إن هذه الاستعانة الجائزة شرعاً في حالة الضعف شيء، والموالاة المنهي عنها شيء آخر.

فالموالاة المنهي عنها في مثل قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة**﴾ وقوله: ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرون أولياء من دون المؤمنين**﴾ هي التقارب والتواد والمحبة والتناصر، كما يشعر بهذا قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿**تلقون إليهم بالمودة**﴾ أما الاستعانة فهي طلب العون في الضائقة لمدافعة الظالمين الباغين دون مودة قلبية، وفي الآية الثانية إشارة ينبغي إدراكها - فقوله تعالى: ﴿**من دون المؤمنين**﴾ في موضع الحال، أي متجاوزين المؤمنين إليهم، فهو قيد مفهومه النهي عن تخصيص الكفار بالولاية والمودة وترك المؤمنين جانباً، أما إذا كان الود للمؤمنين والولاية لهم، لكنهم عجزوا عن النصرة وادلهم الخطب، فحكم النهي لا يصدق على هذه الحالة، وهي الحالة التي معنا في موقف السعودية التي حاولت مع بعض القادة العرب الوصول إلى ذلك، وبذلت جهودها دون جدوى، وصدرت قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية ومجلس الأمن، فضرب بها حاكم العراق عرض الحائط.

٨- إن شواهد السيرة النبوية تدل على جواز الاستعانة بغير المسلمين عند الحاجة:

أ- اشتد إيذاء المشركين لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل بهم من البلاء ما لا يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم على دفعه عنهم، فقال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً عظيماً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وهي أول هجرة كانت في الإسلام ولم يكن النجاشي ملك الحبشة مسلماً، وإنما كان نصرانيا فآوى المسلمين وحماهم وأبى أن يسلمهم إلى المشركين.

(ب) واستجار بعض الصحابة بأفراد من المشركين لهم سلطة وشأن فدخل منهم من دخل في جوارهم ليمنعوهم من أذى قومهم - فدخول المسلم في جوار المشرك لحمايته عند الضرورة في حالة الضعف والعجز عن دفع الظلم ورد العدوان.

(ج) ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه الذي كان يحميه، واشتد إيذاؤهم لصحابته، وهم الأهل والعشيرة فخرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه وعمد إلى نفر من سادتهم وأشرافهم، وطلب منهم نصرته - وهذه استعانة بغير المسلمين وإن كانوا قد ردوه رداً سيئاً ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، فتوجه إلى ربه بالشكوى (اللهم اني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني (أم إلى عدوّ ملكته أمري) إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عاقبتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا

والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضي، ولا حول ولا قوة إلا بك).

(د) وحين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ومعه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، استأجر عبد الله بن أريقط – وكان مشركاً- يدلهما على الطريق ودفعا إليه راحلتيهما، وتواعد أن يأتيهما بعد ثلاث إلى غار ثور، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما ووافاهما في المعد، وركب كل منهما بعيره، ودلاهما على الطريق، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخفى هجرته ووجهته، ولم يكن يعلم بخروجه حين خرج إلا على بن أبى طالب ، وأبو بكر الصديق وآل أبى بكر،

(هـ) وعاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود بالمدينة بعد هجرته وكتب بذلك الصحيفة المشهورة التي تسمي صحيفة المدينة، وتضمنت فيما تضمنته التعاهد بحماية المدينة، وصيانة حرمة أهل الصحيفة : من المهاجرين والأنصار واليهود وأن يقاتل اليهود مع المؤمنين ، وينفقوا في الحرب ولولا أن اليهود نقضوا العهد ما قاتلهم الرسول صلى الله عليه وسلم – وهذا تشريع يعمل به في حال الضعف.

(و) وما جاء في الحديث الذي رواه أحمد ومسلم عن عائشة من رده صلى الله عليه وسلم الرجل المشرك الذي عرض نفسه للقتال معه، وقوله له (فارجع فلن استعين بمشرك) وقوله في الحديث الآخر عند أحمد: (إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين) معارض بما رواه أحمد عن ذي مخبر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ستصالحون الروم صلحاً تغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم) وبما رواه أبو داود عن الزهري مرسلا: أن النبي صلى الله عليه وسلم استعان بناس من اليهود في خيبر في حربه فاسهم لهم وباستعانته صلى الله عليه وسلم بصفوان بن أمية يوم حنين، وبما ثبت عند أهل السير أن قزمان خرج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو مشرك، فقتل

ثلاثة من بني عبد الدار حملة لواء المشركين ، حتى قال صلى الله عليه وسلم: (أن الله ليآزر هذا الدين بالرجل الفاجر) ولهذا ذهب أبو حنيفة والشافعي وغيرهما إلى الجواز وجمع الشافعي بين هذا التعارض فقال: أن النبي صلى الله عليه وسلم تفرس الرغبة في الذين ردهم، فردهم رجاء أن يسلموا، فصدق الله ظنه، أو أن هذا كان أول الأمر ثم رخص فيه.

(ز) ومن قواعد الفقه الإسلامي ما يدل على هذا:

١- (إذا تعارضت مصلحة ومفسدة قدم الأرجح منهما) ومصلحة الحفاظ على أمن الخليج على الصعيد العالمي، وعلى الصعيد المحلي، أرجح من الوجود العسكري الأجنبي المؤقت، لما في ذلك من حماية النفس والعرض والمال.

٢- (إذا تعارضت مفسدتان ارتكب الأخف منهما) ومفسدة الاستعانة العسكرية بالولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين إلى حين، أخف من مفسدة اجتياح البلاد وتشريد أهلها، ونهب ثرواتها، وبسط النفوذ بقوة السلاح، كما حدث في الكويت.

**وبعد :**

فتلك الشواهد على جواز الاستعانة بغير المسلمين شرعاً عند الحاجة، والمملكة العربية السعودية ودول الخليج التي استعانت بالقوى الأجنبية عندما اشتد البأس وكان اليأس لن تدخر وسعاً في أن تطلب مغادرة بلادها إذا عاد الأمن ،وذهب هذا الشبح المخيف، وزال خطره ، واطمأنت النفوس، واستقرت أوضاع المنطقة ، وهو أمر متفق عليه .

فهل يعي المسلمين الذين فزعوا للوجود الأجنبي على أرض إسلامية وتناسوا أسبابه التي دعت إليه، واندفعوا إلى ذلك بحماس إسلامي، هل يعي هؤلاء الفقه الشرعي في ذلك ؟ حتى تكون مواقفهم بصيرة على أمر دينهم ،نسأل الله الرشد والسداد ، وأن يكشف عنا الغمة، ويوفقنا لما يحب ويرضى.

■ القوات الكويتية داخل مدينة الكويت ■

أبيض

# حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد

لمعالي الشيخ/ محمد بن عبد الله السبيّل

الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف سابقاً
وإمام وخطيب المسجد الحرام وعضو المجمع الفقهي الإسلامي
برابطة العالم الإسلامي

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.**

وبعد: فقد دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على أن على المسلمين الاستعانة بأنفسهم عن غيرهم في كل سبيل من سبل الحياة، ومجال من مجالاتها المتعددة، وقد حث القران الكريم والسنة النبوية الشريفة المسلمين على النهوض والعمل والجد والاجتهاد في تحصيل كل أسباب الحياة، وتحقيق أسباب القوة والمنعة، حتى يكون للمسلمين كيانهم الخاص ، واستقلالهم المتميز عن غيرهم لأن هذا مظهر من مظاهر القوة والعزة والكرامة، والشارع الحكيم جعل أهل الإسلام أعز البشر على الله وأكرمهم عليه، ومن العزة والكرامة الاستغناء عن الغير. إلا أن الشريعة الإسلامية مع هذا تبيح للمسلمين الاستعانة بغيرهم في مجالات عديدة عند الحاجة إلى ذلك ما لم يكن فيه ضرر عليهم في دينهم أو دنياهم.

وقد دلت الأدلة الكثيرة من السنة المطهرة وعمل الخلفاء الراشدين وغيرهم على جواز الاستعانة بغير المسلمين في مجالات عديدة حين استعين بهم في النواحي الإدارية، والكتابية، والصناعية، والقتال وغيرها.

ومما يدل على ذلك استعانته صلى الله عليه وسلم حينما هاجر إلى المدينة برجل مشرك ليدله على الطريق وهو عبد الله بن أريقط، وكان يخدمه صلى الله عليه وسلم بالمدينة غلام يهودي وكلاهما رواه البخاري في صحيحه ولما قدم عليه الصلاة والسلام إلى المدينة كتب معاهدة بين المسلمين واليهود جاء فيها:"وأن بينهم النصر على من دهم يثرب" ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل يوم بدر فداء من لم يكن له مال من المشركين أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين الكتابة ويخلي سبيله، ومن ذلك

أنه عليه السلام لما توجه إلى مكة عام الحديبية ووصل إلى ذو الحليفة أرسل عيناً له من خزاعة يأتيه بخبر قريش، وكان ذلك الرجل مشركاً، كما استعار النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين من صفوان بن أمية أدرعاً كثيرة، وخرج معه صفوان للقتال وكان حينذاك مشركاً، كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم استعان يوم خيبر بيهود من بني قينقاع وأسهم لهم، كما كان المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يستخدمون ما يستورد منه من الكفار في الشام والعراق واليمن وغيرها من أنواع الأسلحة واللباس.

وبالنظر في عمل الخلفاء الراشدين نجد أنهم استعانوا بغير المسلمين وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه"لولا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **إن الله سيمنع هذا الدين بنصارى من ربيعة على شاطئ الفرات ما تركت أعرابياً إلا قتلته أو يسلم** (قال في مجمع الزوائد ٣٠٢/٥: رواه البراز ورجاله رجال الصحيح خلا عبد الله بن عمر القرشي وهو ثقة) وقد استعان الخلفاء الراشدون بغير المسلمين وأسندوا إليهم بعض وظائف الدولة وقد استعان عدد من أمراء البلدان في زمن عمر بن الخطاب وغيره بغير المسلمين، حيث كان لأبى موسى الأشعري كاتباً نصرانياً، وكان لمعاوية بن أبى سفيان كاتباً نصرانياً). وكان غلام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أبو لؤلؤة المجوسي صانع أسلحة بالمدينة ولما أنشأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الديوان احتاج إلى من يقوم بالأعمال في حساب الخراج وما ينفق من بيت المال، ولقلة من يحسن ذلك من المسلمين استعان بأناس من أهل الكتاب واستمر ذلك في عهد الخلافة الراشدة وبعض زمن الدولة الأموية حتى استطاع المسلمون أن يستغنوا عنهم أو يقللوا منهم كما جاء ذلك في مقدمة ابن خلدون (ص ٢٤٤) قوله"وأما ديوان الخراج والجبايات فبقي بعد الإسلام على ما كان عليه من قبل ديوان العراق بالفارسية، وديوان الشام بالرومية، وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريقين... ولما جاء عبد الملك بن مروان وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتابة والحسبان أمرعبد الملك... بنقل

ديوان الشام إلى العربية). وقال ابن خلدون أيضا ص٢٣٧،" وأما حال الجباية والإنفاق والحسبان فلم يكن عندهم برتبة ، لأن القوم كانوا عرباً أميين لا يحسنون الكتابة والحساب فكانوا يستعملون في الحساب أهل الكتاب أو أفراداً من موالي العجم ممن يجيده" وقال بن خلدون في كلامه عن الحروب ص ٢٧٤:"ولما ذكرناه من حروب الصاف وراء العسكر وتأكده في الكر والفر صار ملوك المغرب يتخذون طا ئفة من الإفرنج في جندهم... على ما فيه من الاستعانة بأهل الكفر".

وقد نص الفقهاء على جواز إسناد بعض الوظائف إلى غير المسلمين كجباية الجزية والخراج ونحوها. كما جاء هذا في الأحكام السلطانية للماروردي ص ١٢٦، والأحكام السلطانية للقاضي أبى يعلي ص ١٢٤"وقال الشيخ محمد عبده مفتي مصر في وقته في الفتاوى الإسلامية، ١٤٤٢/٤،" واستعانة الخلفاء من بني أمية وبني العباس بأرباب العلوم والفنون من الملل المختلفة فيما هو من فنونهم مما لا يمكن لصبي يعرف شيئاً من التاريخ إنكاره وقد كانوا يستعينون بهم على أعين الأئمة والعلماء والفقهاء والمحدثين بدون نكير، فقد قامت الأدلة من الكتاب والسنة وعمل السلف على جواز الاستعانة بغير المؤمنين وغير الصالحين على ما فيه خير ومنفعة للمسلمين". ففي ما قدمناه دلالة واضحة، وحجة ظاهرة على جواز الاستعانة بغير المسلمين فيما فيه مصلحة عند الحاجة إلى ذلك.

وهذا الحكم عام في حكم الاستعانة بغير المسلمين، ومحل البحث هنا عن حكم الاستعانة بهم في الجهاد على وجه الخصوص فهل هو جائز أم لا ؟

**والجواب:** إنه بالاطلاع على كلام أهل العلم من الأئمة المجتهدين والعلماء المحدثين، والفقهاء من أرباب المذاهب الأربعة وغيرها نجد أنهم نصوا على أن الكفار إذا خرجوا مع المسلمين للقتال من تلقاء أنفسهم لم يجب على إمام المسلمين منعهم من الخروج مع المسلمين إن أمن منهم الضرر، ولم يقفوا عند هذا الحكم فحسب، بل نصوا على إنهم إن خرجوا بإذن الإمام

وقاتلوا معه فإنه يرضخ لهم دون أن يكون لهم سهم معلوم من الغنيمة كسهم المقاتلين المسلمين، وإن كان بعض أهل العلم ذهب إلى هذا وفي هذا يقول الإمام النووي في شرح مسلم،١٩٩/١٢.

"إذا حضر الكافر بالإذن رضخ له، ولا يسهم له. هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة والجمهور، وقال الزهري والأوزاعي يسهم له. والله أعلم".

وقال الإمام ابن قدامة في المغني، ٤١٤/٨" مسألة. قال"ويسهم للكافر إذا غزا معنا "اختلفت الرواية في الكافر يغزو مع الإمام بإذنه فروي عن أحمد أنه يسهم له كالمسلم، وبهذا قال الأوزاعي والزهري والنووي وإسحاق. قال الجوزجاني: هذا مذهب أهل الثغور وأهل العلم بالطوائف والبعوث، وعن أحمد: لا يسهم له، وهو مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة، لأنه من غير أهل الجهاد فلم يسهم له كالعبد، ولكن يرضخ له كالعبد".

وقال في الهداية في مذهب أبي حنيفة،١٤٨/٢: (والذمي إنما يرضخ له إذا قاتل أو دل على الطريق ولم يقاتل لأن فيه منفعة للمسلمين).

وقال الزرقاني في شرحه على مختصر خليل:" وحرم علينا استعانة بمشرك في الصف والزحف... فإن خرج من تلقاء نفسه لم يمنع على المعتد).

فبهذا ظهر جواز قتال الكافر مع المسلمين من غير طلب منهم إن أمن ضرره عند فقهاء المذاهب الأربعة وغيرهم.

**أما حكم طلب المسلمين من غير المسلمين القتال معهم والاستعانة بهم على ذلك:**

فقد ذهب طائفة من أهل العلم إلى عدم جواز ذلك، وعمدتهم في ذلك ما روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر لرجل مشرك أراد الخروج معه **ارجع فلن**

**استعين بمشرك.**

قال في المغني، ٤١٤/٨: (وبهذا قال ابن المنذر والجوزجاني وجماعة من أهل العلم).

وقال في سبل السلام، ١٠٣/٤عند شرحه للحديث المذكور: (والحديث من أدلة من قال: لا يجوز الاستعانة بالمشركين في القتال ، وهو قول طائفة من أهل العلم).

وقال في نيل الأوطار، ٤٤/٨ عند شرحه للحديث المذكور (وإلى عدم جواز الاستعانة بالمشركين ذهب جماعة من العلماء).

وذهب جمهور العلماء من الأئمة المجتهدين وأصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم والهادوية والإباضية إلى جواز الاستعانة بالكفار بشرط الحاجة وبعضهم قيدها بالضرورة، مع كراهيته أو تحريمه فيما عدا ذلك.

وفي النقولات الآتية بيان أقوال العلماء في جواز الاستعانة بالكفار عند الحاجة متضمنة الإجابة عن أدلة المخالفين وسأبدأ بإيراد ما ذكره بعض المحدثين ثم اتبعه بذكر أقوال أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم، ثم بذكر بعض الفتاوي الصادرة في هذا الحكم، ثم إيراد الأدلة الدالة على جواز الاستعانة بالكفار عند الحاجة.

**أولا: من أقوال المحدثين في جواز الاستعانة بالكفار في القتال عند الحاجة:**

قال الإمام النووي فيشرح مسلم،١٩٨/١٢ عند شرحه لحديث مسلم (**فلن استعين بمشرك** ) (وجاء في الحديث الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم استعان بصفوان بن أمية قبل إسلامه، فأخذ طائفة من العلماء بالحديث الأول على إطلاقه، وقال الشافعي وآخرون: إن كان الكافر حسن الرأي في المسلمين ودعت الحاجة إلى الاستعانة به استعين به وإلا فيكره، وحمل الحديثين على هذين الحالين).

وقال الإمام ابن حجر في فتح الباري، ١٧٩/٦ عند شرحه لحديث (أن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الكافر): (قال المهلب وغيره لا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم (**لا نستعين بمشرك**) لأنه إما خاص بذلك الوقت وإما أن يكون المراد به الفاجر غير المشرك ...و أجاب عنه الشافعي بالأول وحجة النسخ: شهود صفوان بن أمية حنيناً مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشرك).

كما ذكر الإمام العيني في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ٣٠٨/١٤: ما ذكره ابن حجر وزاد عليه بقوله: (وقد استعان بصفوان ابن أمية واستعار منه مائة درع بأداتها).

وقال الإمام الزيلعي في نصب الراية، ٤٢٤/٣ (قال الحازمي في الناسخ والمنسوخ: قد اختلف أهل العلم في هذه المسالة ، فذهب جماعة إلى منع الاستعانة... وذهب طائفة إلى أن للإمام أن يأذن للمشركين أن يغزو معه ويستعين بهم بشرطين أحدهما (أن يكون في المسلمين قلة بحيث تدعو الحاجة إلى ذلك، والثاني أن يكونوا ممن يوثق بهم في أمر المسلمين، ثم أسند إلى الشافعي أنه قال: الذي روي مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم رد مشركاً أو مشركين وأبى الاستعانة بمشرك كان في غزوة بدر، ثم أنه عليه السلام استعان في غزوة خيبر بعد بدر بسنين بيهود بني قينقاع، واستعان في غزوة حنين سنة ثمان بصفوان بن أمية وهو مشرك، فالرد الذي في حديث مالك أن كان لأجل أنه مخير في ذلك بين أن يستعين به ، وبين أن يرده كماله رد المسلم لمعنى يخافه، فليس واحد من الحديث مخالفا للآخر، وإن كان لأجل أنه مشرك فقد نسخه ما بعده من استعانته بالمشركين).

وقال العلامة الشوكاني في نيل الأوطار، ٤٤/٨ (وحكي في البحر عن العترة وأبى حنيفة وأصحابه: أنها تجوز الاستعانة بالكفار والفساق حيث يستقيمون على أوامره ونواهيه، واستدلوا باستعانته صلى الله عليه وسلم بناس من اليهود كما تقدم، وباستعانته صلى الله عليه وسلم بصفوان بن أمية

يوم حنين وبإخباره صلى الله عليه وسلم بأنه ستقع من المسلمين مصالحة الروم ويغزون جميعاً عدواً من وراء المسلمين، قال في البحر :وتجوز الاستعانة بالمنافق إجماعا لاستعانته صلى الله عليه وسلم بابن أبي وأصحابه).

وقال في إعلاء السنن،٥٢/١٢ (وفي شرح السير (١٨٦/٣) ولا بأس بأن يستعين المسلمين بأهل الشرك على أهل الشرك إذا كان حكم الإسلام هو الظاهر عليهم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعان بيهود بني قينقاع على يهود بني قريظة، وخرج صفوان مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى شهد حنيناً والطائف وهو مشرك، فعرفنا أنه لا بأس بالاستعانة بهم وما ذلك إلا نظير الاستعانة بالكلاب على المشركين).

**ثانياً: من أقوال الفقهاء في جواز الاستعانة بالكفار في القتال عن الحاجة:**

١- **مذهب الحنفية:**

قال في بدائع الصنائع، ١٠/٧: (ولا ينبغي للمسلمين أن يستعينوا بالكفار على قتال الكفار لأنه لا يؤمن غدرهم، إذ العداوة الدينية تحملهم عليه إلا إذا اضطروا إليهم).

وقال كمال الدين بن الهمام في فتح القدير ، ٥٠٢/٥: (وهل يستعان بالكافر؟ عندنا إذا دعت الحاجة جاز ، وهو قول الشافعي رحمه الله وابن المنذر).

٢- **مذهب المالكية :**

قال في التاج والإكليل عل مختصر خليل، ٣٥٢/٣: (قال ابن القاسم: لا يستعان بالمشركين في القتال لقوله صلى الله عليه وسلم: **لن أستعين بمشرك ولا بأس أن يكونوا نواتية وخدمة....** وقال عياض: قال بعض علمائنا: إنما كان النهي في وقت خاص ، وقال الشافعي والثوري وأبو

حنيفة وأصحابه والاوزاعي: لا بأس بالاستعانة بأهل الشرك ،و أجاز ابن حبيب أن يقوم الإمام بمن سأله من الحربيين على من يسالمه، وروى أبو الفرج عن مالك لا بأس للإمام أن يستعين بالمشركين فيقاتل المشركين إذا احتاج إلى ذلك) وقال الزرقاني في شرحه على خليل (٣/ ١١٤): وحرم علينا استعانة بمشرك في الصف والزحف والسير للطلب، فإن خرج من تلقاء نفسه لم يمنع على المعتمد خلافا لأصبغ، ويدل على المعتمد غزو صفوان بن أمية مع النبي صلى الله عليه وسلم حنيناً والطائف قبل إسلامه..

إلا لخدمة منه لنا كحفر أو هدم أو رمي بمنجنيق إن صنعته فلا تحرم الاستعانة به فيها).

**٣- مذهب الشافعية :**

قال الإمام النووي في روضة الطالبين، ٢٣٩/١٠: (تجوز الاستعانة بأهل الذمة وبالمشركين في الغزو، ويشترط ان يعرف الإمام حسن رأيهم في المسلمين ويأمن خيانتهم).

وقال في فتح الوهاب شرح منهج الطلاب،١٧٢/٢: (وله لا لغيره اكتراء كفار... واستعانته بهم على كفار عند الحاجة إليها إن أمناهم بأن يخالفوا معتقد العدو ويحسن رأيهم فينا، وقاومنا الفريقين، ويفعل بالمستعان بهم ما يراه مصلحة من أفرادهم بجانب الجيش أو اختلاطهم به بأن يفرقهم بيننا).

**٤- مذهب الحنابلة :**

قال الإمام ابن قدامة في المغني، ٤١٤/٨: (وعن أحمد ما يدل على جواز الاستعانة بالمشرك، وكلام الخرقي يدل عليه أيضاً عند الحاجة) وقال الحجاوي في الإقناع ، ١٥/٢: (ويحرم أن يستعين بكفار إلا لضرورة) وقال في المنتهى،٣١٠/١.

**٥- مذهب الهادوية :**

قال في شرح الأزهار،٥٣٢/٤: (الأمر الثاني مما يجوز للإمام فعله هو الاستعانة بالكفار والفساق على جهاد البغاة من المسلمين... قال مولانا عليم: ولا خلاف بين أصحابنا انه إنما يجوز الاستعانة بالكفار والفساق حيث معه جماعة مسلمون).

**٦- مذهب الاباضية:**

قال في المصنف٧٩/١١: (مسألة: ولا بأس على المسلمين أن يستعينوا بمن أجابهم على عدوهم ولو كانوا من أهل الحرب أو أهل العهد إذا كان لهم القوة والعهد والحكم عليهم).

**٧- من أقوال بعض العلماء:**

قال ابن حزم في المحلى، ٣٣٤/٧: (ومن طريق وكيع أن سفيان عن جابر قال: سألت الشعبي عن المسلمين يغزون بأهل الكتاب ؟ فقال الشعبي: أدركت الأئمة الفقيه منهم وغير الفقيه يغزون بأهل الذمة فيقسمون لهم ويضعون عنهم من جزيتهم فذلك لهم نقل حسن ، والشعبي ولد في أيام علي وأدرك من بعده من الصحابة رضي الله عنهم).

وقال الإمام ابن القيم في زاد الميعاد، (٣٠١/٣: عند كلامه على ما في قصة الحديبية من الفوائد الفقهية: (ومنها: أن الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة لأن عينه الخزاعي كان كافراً إذاك - يشير المصنف إلى ما سبق ذكره ص ٢٨٨ أن النبي ﷺ لما كان بذي الحليفة أرسل عيناً له مشركاً من خزاعة يأتيه بخبر قريش - وفيه من المصلحة أنه أقرب إلى اختلاطه بالعدو وأخذه أخبارهم)

وقال العلامة صديق خان في الروضة الندية شرح الدرر البهية، ٤٨٢/٢: (ولا يستعان فيه أي في الجهاد، بالمشركين إلا للضرورة...) ثم ساق رحمه الله الأدلة الدالة على تحريم الاستعانة والدالة على جوازها

ثم ذكر الجمع بينهما بقوله: (فيجمع بين الأحاديث بأن الاستعانة بالمشركين لا يجوز إلا لضرورة إذا لم تكن ثمَّ ضرورة).

وقال صاحب كتاب الفقه الإسلامي وأدلته، ٤٢٤/٦: (وقد أجاز الأكثرون من أتباع المذاهب الأربعة الاستعانة بالكافر على الكافر إذا كان الكافر حسن الرأي بالمسلمين).

**ثالثا: بعض الفتاوى الإسلامية الصادرة في جواز الاستعانة بالكفار في القتال عند الحاجة:**

ورد في الفتاوى الإسلامية الصادرة عن دار الإفتاء المصرية، ١٤٢٥/٤ فتوى عن عدد منم علماء الأزهر من فقهاء المذاهب الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، ومؤيدة من مفتي مصر في وقته الشيخ محمد عبده. بجواز الاستعانة بغير المسلمين عند الحاجة، وقد صدرت في ٩ محرم عام ١٣٢٢هـ وهي فتاوى طويلة ومما جاء فيها: (وأما الاستعانة بالكفار وبأهل البدع والأهواء على نصرة الملة الإسلامية فهذا مما لا شك في جوازه وعدم خطره يرشد إلى ذلك الحديث الصحيح المار ذكره (إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) ومما جاء فيها أيضاً: (واستعانة المسلمين بالكفار جائزة في الجهاد للضرورة كضعف المسلمين ولو كان العدو من بغاة المسلمين).

وبمثل هذا أفتى مفتي مصر في وقته الشيخ حسن مأمون في ٦ جمادى الأولى عام ١٣٧٦هـ: كما في الفتاوى الإسلامية،٢٤٧٠/٧ وقال العلامة الشيخ محمد رشيد رضا بغير المسلمين في الحرب بعد ذكره لخلاف العلماء في المسألة وإيراده بعض الأدلة لكلا القولين: (أما الجمع بين الروايات المختلفة فقد قال الحافظ في التلخيص إن أقرب ما قيل فيه أن الاستعانة كانت ممنوعة ، ثم رخص فيها قال وعليه نص الشافعي . وأنت ترى أن جميع ما نقلناه من روايات الاستعانة كان بعد غزوة بدر التي قال فيها صلى الله عليه وسلم (**لن استعين بمشرك**) والعمدة في مثل هذه المسالة اتباع ما فيه

وهي تختلف باختلاف الأحوال). هذا ومن المعلوم ما صدر في هذه الأيام عن هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، وما صدر أيضا من فتاوى فردية لبعض علماء المملكة، وعلماء مصر وغيرهم من جواز الاستعانة بالكفار عند الضرورة.

**الأدلة الدالة على جواز الاستعانة بالكفار في القتال عند الحاجة:**

استدل جمهور العلماء القائلين بجواز الاستعانة بالكفار في القتال عند الحاجة بما يأتي:

١- حديث ذي مخبر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**ستصالحون الروم صلحا آمنا وتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم**). قال في المنتقي ٢/٧٦٠: رواه احمد وأبو داود.

وقال في نيل الاوطار، ٨/٤٣: (وحديث ذي مخبر أخرجه أيضاً ابن ماجة وسكت عنه أبو داود والمنذري، ورجال أبى داود رجال الصحيح).

٢- ما روى الشافعي في مسنده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم استعان بناس من اليهود في حربه فأسهم لهم). ورواه أبو داود في مراسيله من حديث الزهري مرسلاً، انظر، تلخيص الحبير، ٤/١٠٠، نصب الراية، ٣/٤٢٢، نيل الاوطار، ٨/٤٣ ورواه عن الزهري مرسلاً الترمذي في سننه، ٤/١٢٨ وقال هذا حديث حسن غريب). وقال ابن حزم في المحلي، ٧/٣٣٤) وروياه عن الزهري من طرق كلها صحاح عنه) وروى الواقدي في المغازي بسنده عن حزام بن سعد بن محيصة قال: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة من يهود المدينة غزا بهم أهل خيبر، فأسهم لهم كسهمان للمسلمين). انظر نصب الراية، ٣/٤٢٢.

٣- حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان بن أمية يوم حنين ادرعاً ، فقال أغصباً يا محمد قال: (**لابل عارية مؤادة**) وقد

جاء في بعض الروايات أن الادرع ما بين الثلاثين إلى الأربعين وفي بعضها أنها كانت مائة درع. رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

وصححه الألباني. انظر تلخيص الحبير، ٥٢/٣، إرواء الغليل،٣٤٤/٥.

٤- ما روى أبو داود في مراسليه أن صفوان بن أمية شهد حنيناً مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان إذ ذاك مشركاً حتى قالت له قريش: تقاتل مع محمد ولست على دينه فقال: رب من قريش خير من رب هوازن، فأسهم له النبي صلى الله عليه وسلم وأعطاه من سهم المؤلفة. انظر شرح النووي على مسلم،١٩٨/٦، فتح الباري، ١٧٩/٦، عمدة القاري ٣٠٨/١٤، المعتصر من المختصر من مشكل الآثار،٢٢٩/١.

وقال ابن جرير الطبري في تاريخه، ٤٧٩/٢: (ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منصرفه من بدر، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودها على أن لا يعينوا عليه أحداً وأنه إذا دهمه بها عدو نصروه).

وقد أوضح الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه المجتمع المدني، ص ١٠٩٢ وما بعدها مدى صحة هذه الصحيفة وأسهب في ذلك وخلاصة كلامه أنها رويت بعدة أسانيد ضعيفة إلا أن كثيراً من نصوصها وردت في كتب الأحاديث بأسانيد صحيحة في الصحيحين والسنن وغيرها مما يقوي الاحتجاج بها.

٦- ما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بذي الحليفة في عام الحديبية بعث بين يديه عيناً له من خزاعة يأتيه بخبر قريش وكان الرجل إذ ذاك مشرك. انظر : جامع الأصول، ٢٩٧/٨، زاد المعاد،٣٨٨/٣.

٧- ما جاء أن خزاعة خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح مسلمهم وكافرهم انظر: نيل الأوطار،٤٥/٨،الروضة الندية، ٤٨٣/٢.

٨- ما روى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الهجرة إلى المدينة استأجر عبد الله بن أريقط الديلي ليدله على الطريق وكان خريتاً ماهراً بالطريق. وكان على دين كفار قريش. انظر: فتح الباري،٧/٢٣٢.

٩- عموم قوله صلى الله عليه وسلم (**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**) رواه البخاري في صحيحه.انظر: فتح الباري،٦/١٧٩.

١٠- ما روى ابن حزم في المحلى،٧/٣٣٤ بسنده أن سعد ابن أبى وقاص (غزا بقوم من اليهود فرضخ لهم).

١١- ما ثبت في الصحيحين والسنن وغيره من استعانته صلى الله عليه وسلم بالمنافقين وخروجهم معه للجهاد في غزوات عديدة، وقد حكم الصنعاني والشوكاني عن صاحب البحر الإجماع على جواز الاستعانة بالمنافقين في القتال انظر سبل السلام، ٤/١٠٤، نيل الأوطار، ٨/٤٤.

١٢- إن الاستعانة بالكفار عند الضرورة هو مقتضى القاعدة الفقهية المشهور (الضرورات تبيح المحظورات) ومقتضى القاعدة الفقهية (ارتكاب أخف المفسدتين لدفع أشدهما ضررا).

**الخاتمة:**

وبعد هذا الإيضاح لقولي العلماء في المسألة وأدلتهم يظهر لنا جواز الاستعانة بالكفار في القتال عند الحاجة المقتضية أو الضرورة الملحة كما هو مذهب جمهور العلماء للأدلة التي استدلوا بها على ما ذهبوا إليه.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

**وكتبه / محمد بن عبد الله بن سبيل**

**الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف سابقاً وإمام وخطيب المسجد الحرام وعضو المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة**

## ثبت المراجـع

١- الأحكام السلطانية/ للإمام الماوردي/ط/المحمودية بمصر.

٢- الأحكام السلطانية - للقاضي أبى يعلى الفراء - ط - مطبعة مصطفي الباني الحلبي سنة (١٣٥٦) هـ

٣- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - للشيخ محمد ناصر الدين الألباني - ط - المكتب الإسلامي سنة (١٣٩٩) هـ

٤- الإقناع في فقه مذهب الإمام أحمد بن حنبل للعلامة موسى الحجاوي - ط - المطبعة المصرية بالأزهر.

٥- التاج والإكليل شرح مختصر خليل - لمحمد بن يوسف المشهور بالمواق - الناشر - مكتبة النجاح بليبيا.

٦- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - للإمام علاء الدين الكاساني الحنفي - ط- دار الكتاب العربي - بيروت عام (١٤٠٢) هـ

٧- جامع الأصول في أحاديث الرسول - للإمام ابن الأثير الجزري -ط- مطبعة الملاح تحقيق عبد القادر الارناؤوط.

٨- روضة الطالبين - للإمام النووي -ط- المكتب الإسلامي سنة (١٣٩٥) هـ

٩- الروضة الندية شرح الدرر البهية - للعلامة صديق حسن خان القنوجي -ط- الشئون الدينية بقطر.

١٠- زاد المعاد في هدي خير العباد - للإمام ابن القيم - ط - مؤسسة الرسالة بيروت سنة (١٤٠٥) هـ

١١- سبل السلام شرح بلوغ المرام - للعلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني - ط - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٢- سنن الترمذي - ط - دار إحياء التراث العربي.

١٣- شرح صحيح مسلم - للأمام النووي - ط - دار الفكر سنة (١٠٤٠١) هـ

١٤- شرح الزرقاني على مختصر خليل - للعلامة عبد الباقي الزرقاني - ط - دار الفكر سنة (١٣٩٨) هـ

١٥- شرح الأزهار - الناشر - مكتبة غمصان بصنعاء سنة (١٤٠١) هـ

١٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري - للإمام ابن حجر العسقلاني - ط - الطبعة السلفية.

١٧- فتح الهاب شرح منهج الطلاب - للإمام زكريا الانصاري الشافعي - ط - مكتبة مصطفي البابي الحلبي بمصر سنة (١٣٦٧) هـ

١٨- الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصرية - ط - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية سنة (١٤٠٢) هـ

١٩- فتاوى الإمام محمد رشيد رضا - جمعها - د.صلاح الدين المنجد، يوسف خوري - ط - دار الكتاب الجديد سنة (١٣٩٠) هـ

٢٠- الفقه الإسلامي وأدلته - للدكتور وهبة الزحيلي - ط - دار الفكر سنة (١٤٠٥) هـ

٢١- المغني- للإمام ابن قدامة المقدسي - الناشر - مكتبة الرياض الحديثة.

٢٢- مجمع الزوائد - للحافظ نور الدين الهيثمي - ط - دار الفكر سنة (١٤٠٨) هـ

٢٣- مقدمة تاريخ ابن خلدون - ط - الرابعة سنة ( ١٣٩٨) هـ

٢٤- المحلي - للإمام ابن حزم الظاهري - ط - دار الآفاق الحديثة

٢٥- المصنف في فقه الاباضية - ط - عيسي البابي الحلبي وشركاه بمصر - نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان سنة (١٤٠٤) هـ

٢٦- المنتقي من أخبار المصطفي - للإمام المجد ابن تيمية - ط - دار المعرفة بيروت سنة ( ١٣٩٨) هـ

٢٧- منتهى الارادات - للعلامة تقي الدين الفتوحي الحنبلي - ط - عالم الكتب.

٢٨- المعتصر من المختصر من مشكل الآثار - يوسف بن موسى الحنبلي - ط - دار المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن سنة ( ١٣٦٢) هـ

٢٩- نصب الراية لأحاديث الهداية - للإمام الزيلعي - ط - دار الحديث.

٣٠- نيل الاوطار شرح منتقي الأخبار - للامام الشوكاني - ط - دار الفكر سنة (١٤٠٢) هـ

٣١- الهداية شرح البدآية - للعلامة على بن أبى بكر الميرغيناني - ط - مكتبة مصطفي البابي الحلبي بمصر.

■ بعض من القوات العراقية استسلمت لعدم اقتناعها بالهدف من الحرب ■

# أبيض

# مع الأحداث في الخليج
# لفضيلة/ الشيخ صالح الفوزان

## عضو المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

في الوقت الذي كان العرب والمسلمون أحوج ما يكونوا إلى الاجتماع في الرأي واعداد القوة لمواجهة التحديات الموجهة ضدهم" حرب في أفغانستان، وحرب في لبنان، وحرب بفلسطين ، وحرب هنا وهناك في هذا الوقت الحرج يخرج زعيم محسوب على العروبة والإسلام فيطعن جماعة العرب من الخلف فيشتت شملهم ويفرق كلمتهم ويوجِّه سلاح ضدهم حتى صيرهم كما قيل:

أو كلما تجمع شملنا لعب الخلاف بجمعنا فتمزقا

إن الذي مزقه هو الزعيم المزعوم صدام حسين أو هدام بالهاء على الأصح أو خدام إذ لا مانع أن يكون للشيء الواحد أسماء متعددة بحسب خصائصه وتصرفاته، فهو هدام لبناء العرب والمسلمين، وخدام للأعداء والأعجب من ذلك أن يتابعه على تصرفاته الهوجاء جماعة من العرب أغواهم بوعوده أو أرهبهم برعوده وتهديده، إن هذه المجموعة من العرب ساعدته ضد من كانوا يمدون له يد العون بشفقة وسخاء بينما لم يحصلوا منه على خير قط ومن عجيب تصرفات ما يصدر عن هذا الزعيم المزعوم أنه يتباكى على الإسلام ومقدساته ويدعو للجهاد في سبيل الله، ويا سبحان الله متى كان مناصراً للإسلام وهو يحكم بغير ما أنزل الله، وأين هي مشاريعه التي أقامها الإسلام ؟ هل بني لله مسجداً هل أقام مركزاً إسلامياً، هل قدم مساعدات للمنكوبين من المسلمين في مشارق الأرض أو مغاربها، أرني ماذا فعل من ذلك وأين تباكيه على الإسلام - ولكن من قبله قال فرعون لقومه يحذرهم من أتباع رسول الله وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام:"ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد".

ولهذا صار يقال في المثل: صار فرعون واعظاً إن هذا الزعيم المزعوم فسر تباكيه على الإسلام بهجومه على المسلمين في الكويت وتقتيلهم وهتك أعراضهم، وسلب أموالهم، وتشريدهم من ديارهم خان الجوار، ونقض العهود واخلف الوعود واستكمل صفات النفاق . ثم فغر فاه ليبتلع بقية البلاد المجاورة له والتي كانت ساعده الأيمن في خروجه من محنته حينما تورط في حربه مع جارته الأخرى إيران ولكنه خانه أمله وأهلكه طمعه حينما ظن أن تلك البلاد التي هم بابتلاعها لقمة سائغة وفي متناول يده فبدا له من الله ما لم يكن يحتسب، حينما استنكر العالم بأجمعه فعلته الشنعاء، ووقف ضده ووقع في ورطة لا يحسد عليها ونرجو الله أن لا يخرجه منها لأن سنة الله أنه ﴿ **لا يحيق المكر السئ إلا بأهله** ﴾ وكما قال الشاع:

قضى الله أن الظلم يزري بأهله وأن على الباغي تدور الدوائر
ومن يحتفر بئراً ليوقع صاحباً فلا بد يهوي بالذي هو حافر

إن هذا الزعيم المزعوم لم يكتف بتهديم بلاده بل يريد تصدير وقاحته وأذاه وإرهابه إلى جيرانه. ومن بلغ هذا الحد من التهور والأذى للمسلمين فإن الله له بالمرصاد و﴿ **حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾.

نعم إنه يجب على المسلمين إزاء هذا الحدث التوكل على الله وحده مع الأخذ بأسباب القوة والنصر على الأعداء، والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل فإن الله أمر بالتوكل وباتخاذ الأسباب، فالأخذ بهما طاعة لله.

والله سبحانه قدر مقدورات مربوطة بأسبابها، وقد أمر الله تعالى بأخذ الأسباب مع التوكل عليه سبحانه فقال: ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾. وقال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم** ﴾. وقال تعالى: ﴿ **وخذوا حذركم** ﴾ كل هذا أمر بأخذ الأسباب النافعة وهو لا ينافي التوكل على الله بل هو طاعة الله والتوكل على الله من غير أخذ بالأسباب معصية لله، بل والأخذ بالأسباب من غير توكل على الله

ينافي الإيمان.

قال تعالى: ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾.

وقد وصف الله رسله وعباده المؤمنين أنهم كلما اشتد بهم الأمر وعظمت الكربات زاد توكله على الله عز وجل:

﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناْ وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . إنما ذلك الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾.

إن أولياء الشيطان في كل زمان ومكان يخوفون المسلمين ويهددونهم بل ويغزونهم ويحاصرونهم ولكن المؤمنين بإيمانهم وصبرهم وثباتهم وتوكلهم على الله وأخذهم بأسباب الدفاع يصمدون ويثبتون وما هي إلا مدة يسيرة حتى تنكشف الغمة وتنفرج الكربة والشدة ويرد الله جند الشيطان على أعقابه خاسئاً ذليلاً.

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاْ وجنوداْ لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراْ. إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاْ شديداْ. وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراْ** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناْ وتسليماْ. من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاْ. ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراْ رحيماْ. ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراْ وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياْ عزيزاْ. وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاْ تقتلون وتأسرون فريقاْ. وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم**

**وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً ﴾.**

إن بعض الناس لما حصلت هذه الأحداث كان موقفهم موقفاً سلبياً لا يهمهم شان المسلمين بل ربما يخذلون ويرجفون ويخوفون الناس كالذين هددوا المسلمين من قبل وقالوا لهم: (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم).

والبعض الآخر يقول إن ما حصل هو عقوبة على الذنوب والمعاصي ويتوقفون عند هذه المقالة ولا يحاسبون أنفسهم ولا يتوبون من ذنوبهم ولا يعملون على إصلاح غيرهم وإنما همهم الشماتة بالآخرين والقيل والقال، والبعض الآخر وهم بعض المتعلمين الذين أخذوا يصدرون الفتاوى بتخطئة بعض الإجراءات التي اتخذت لصد هذا العدوان فأخذوا يبلبلون الأفكار ويشككون الناس في أمرهم مما قد ينشأ عنه التخاذل وشغل الناس بالجدال وتشتت الآراء، وقد قال تعالى: ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا فتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾. فهذا نزاع يسبب الفشل فبدل أن ينشغل الناس بالدعاء والاستغفار والتوبة ينشغلون بما لا فائدة فيه بل بما هو مضرة من الجدال والخصام، نقول لهؤلاء:

إن مثل هذا الأمر المهم يجب أن يرد القول فيه إلى أهل العلم والرأي،لأنهم أدرى بأحكام الشرع وشؤون السياسة، فلا تتدخلوا فيما ليس من شؤونكم قال الله تعالى: ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله : هذا تأديب من الله لعباده، وإنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين أو الخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها إلى أن قال: وفي هذا دليل لقاعدة أدبية، وهي أنه إذا

حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولي من هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ ، وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه هل هو مصلحة فيقدم الإنسان عليه أو لا فيحجم عنه انتهي كلامه رحمه الله.

فيجب على المسلمين أن يكلوا الأمور إلى أهلها، ويقوم كل بما يجب عليه حيال هذه الأحداث وعلاجها وهناك الحمد لله الكثير من المسلمين الذين قاموا بجهود مشكورة من النصح والتوجيه وإعانة المحتاجين ومساعدة المتضررين فجزاهم الله خيراً على ما قدموا وأكثر من أمثالهم في المسلمين.

ثم لنعلم أنه ما زال المسلمون يبتلون بأعدائهم لكن هم يقفون من الأحداث موقف الشجعان المؤمنين بربهم الواثقين بنصره وتأييده، ويحاسبون أنفسهم ويغيرون واقعهم بالتوبة إلى الله والرجوع إليه فيغير الله ما بهم من شدة إلى فرج ومن ضيق إلى سعة قال تعالى: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاْ ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره**﴾.

وفيما قصه الله من سير الأنبياء واتباعهم ومواقفهم عند الأحداث وما تنفرج عنه من نصر لهم وحسن عاقبة وتدميرا لأعدائهم أكبر شاهد على حكمة الله ورحمته بعباده فليتأس أهل الإيمان بإخوانهم السابقين وليثقوا بوعد الله وليصبروا ويبذلوا الأسباب النافعة في درء الفتنة ومقاومة المفسدين.

﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراْ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾.

هذا وإن صدام حسين لما اجتاح دولة الكويت ثم حشد جموعه على حدود هذه المملكة ودول الخليج يريد أن يبتلعها، عندما رأى استعداد هذه الدولة وفقها الله لمواجهته ووقوفها في وجهه بما أعدته من الجيوش السعودية وغيرها من الجيوش الإسلامية وغير الإسلامية التي دعت إلى الاستعانة بها للضرورة، لما رأى ذلك جعل ينادي باسم الإسلام وتخليص الحرمين في إذاعته ووسائل إعلامه وأين هو من الإسلام الذي ينادي به وهو بعثي لا يعترف بدين، وأين هو من الإسلام وهو يحكم بالقوانين. والله تعالى يقول: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾. وأين هو من الإسلام وهو يستبيح دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم في بلاده وفي غير بلاده كما حصل منه في الكويت.

ثم ما معنى تخليصه للحرمين هل يريد أن يخلصهما من أيدي المسلمين الموحدين ويجعلها تحت ولاية البعثيين الملحدين ثم إنه يعيب على السعودية استعانتها بالدول الأجنبية وهذا أمر لا تعاب به لأنه جائز شرعاً لا سيما عند الضرورة وهو الذي اضطر المسلمين إلى ذلك بما حشد من جموعه يريد الانقضاض على المسلمين فهو الذي ألجأ المسلمين إلى ذلك ثم كيف يعيب على المسلمين الأخذ بما هو جائز لهم شرعاً ومن حقهم وهو يستعين بالمستشارين العسكريين السوفيت في جيشه وبأعداد هائلة أليس هذا من التناقض لكن كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت**). ومن العجيب المضحك المبكي أن يوافقه على عدوانه بعض المنتسبين إلى الإسلام وبعض العرب الذين مشربهم مشربه ومذهبهم مذهبه أو الذين في قلوبهم مرض ونفاق وهذه سنة الله في خلقه أنه عند المحن يظهر المؤمن الصادق من الكاذب المنافق قال تعالى: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم. آلم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾.

إن الذين يعرفون حزب البعث لا ينخدعون بمثل هذا النفاق الذي يظهر على ألسنة بعض زعمائه من التمسح بالإسلام فمن قبلهم قال فرعون: (ذروني اقتل موسى وليدع ربه إني أخاف إن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) وجاء في المثل: صار فرعون واعظاً وتأثر قوم فرعون بهذه الموعظة فقالوا له: (أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض).

لكن الخطر على العوام والجهال الذين لا يعرفون المذاهب الباطلة ولا يعرفون مقاصد أصحابها فينخدعون بما يسمعون من التباكي على الإسلام والمناداة باسمه زورا وبهتانا.

ولقد صدر والحمد لله عن مؤتمر علماء الإسلام الذي عقد في مكة المكرمة ما فضح هذا الحزب الخبيث والرد على أباطيله فالحمد لله على نصرة الحق وإبطال الباطل وقمع الطغاة والمفسدين.

إنه ليس كل من تكلم باسم الإسلام واستدل بالآيات والأحاديث يكون مسلماً صادقاً فإن المنافقين يتكلمون باسم الإسلام ويحسنون القول. كما قال تعالى: ﴿**إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم**﴾ وهم في الدرك الأسفل من النار لخبث قلوبهم وعقائدهم، ومخادعتهم لله ورسوله، قال تعالى عنهم: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين أمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون**﴾.

إن الإسلام قول وعمل واعتقاد، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولو كان الإسلام مجرد فقول لصار باستطاعة كل أحد أن يقول إنه مسلم ثم يفعل ما يشاء من القبائح والظلم والتعدي على الناس واستباحة المحرمات.

إنه يجب علينا ويجب على كل مسلم على وجه الأرض أن نقف في وجوه أعداء الله ونجاهد في سبيل الله فالجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، قال تعالى: ﴿**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين**﴾.

إنه يجب جهاد المنافقين الذين يروجون الشائعات السيئة ويرجفون في البلاد ويخوفون العباد، وجهادهم يكون بالرد عليهم وفضح سرائرهم.

فالمنافقون يحتاجون إلى جهاد ودحر بالكلام والكتابة في الصحف والمجلات حتى تخرس ألسنتهم ويندفع شرهم عن المسلمين.

وأما جهاد الكفار والمعتدين على بلاد المسلمين وحرماتهم فإنه يكون بالنفس ويكون بالمال ويكون بالدعاء عليهم.

وأما جهاد الكفار والمعتدين يكون بحمل السلاح والمرابطة على حدود بلاد المسلمين لرد جيوش العدو المحتشدة هناك فإن هذا هو الرباط في سبيل الله عز وجل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجري عليه من رزقه أمن من الفتان - يعني سؤال الملكين في القبر**)، وقال صلى الله عليه وسلم: (**كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر**)". والأحاديث في فضل المرابطة في سبيل الله كثيرة وذلك لأن المرابط على حدود بلاد المسلمين يقف في وجه العدو ويرد كيده وشره عن المسلمين ويحفظ بلاد المسلمين من الأعداء ولا سيما إذا كان العدو غاشماً مخرباً لا يرقب في المسلمين إلاً ولا ذمة، يفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل إن جهاد هذا العدو من أفضل الجهاد في سبيل الله وأما الجهاد بالمال فإنه يكون بتجهيز الغزاة وإعداد السلاح والقوة وتمويل الجيوش الإسلامية بما تحتاج إليه وكذلك القيام بما يلزم لعوائل الغزاة من النفقة إذا احتاجوا إلى ذلك قال ﷺ: (**من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا**). رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وأما الدعاء فإنه أفضل أنواع العبادة وقد أمر الله بالدعاء ووعد بالإجابة، فقال تعالى: ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**﴾، وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: (**الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل**) وقال ﷺ: (**لا يرد القضاء إلا الدعاء**).

وأما الاستغفار فإنه سبب لدفع العذاب قال تعالى: ﴿**وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾ وهو سبب لحصول المتاع الحسن في هذه الدنيا والسعادة في الآخرة قال تعالى: **وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير** ﴾.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

■ الاستعدادات لإطفاء آبار البترول ■

# البيانات

## ١- بيان من الأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية

## ٢- بيان من دار الإفتاء في جمهورية مصر العربية

## ٣- بيان من الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت

## ٤- بيان من كبار العلماء في المملكة العربية السعودية

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

# بيان من الأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية

أعلن فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر البيان الذي وجهه أمس إلى العالم العربي والإسلامي أن الأزهر الشريف يعبر عن قلقه الشديد إزاء الإصرار العراقي على استمرار عدوانه على الكويت الشقيق مؤكداً أن الاستعانة بقوات عربية وإسلامية وأجنبية للدفاع عن المقدسات الإسلامية أمر مشروع في الإسلام وأن مسئولية الجيوش الإسلامية محاصرة الباغي حتى لا يمتد خطره. وطالب البيان الرئيس صدام حسين وحكومته الاستماع إلى صوت الإسلام والحق والعدل عن منطق القوة مراعاة لصدق الانتماء للأمة العربية والإسلامية.

وفيما يلي نص البيان:

لقد وجه الأزهر الشريف نداء إلى شعوب الأمة العربية والإسلامية وقادتها أذيع ونشر يوم الجمعة التاسع عشر من المحرم١٤١١هـ العاشر من أغسطس١٩٩٠مواكباً لانعقاد القمة العربية بالقاهرة في ذات اليوم بدعوة من السيد الرئيس محمد حسني مبارك لتدارك الآثار الوخيمة التي تلحق بالأمة العربية والإسلامية بسبب تدخل قادة العراق وعدوانهم على دولة الكويت واجتياحها عسكرياً واحتلال أرضها وانتهاك حرمات أهلها وما أذيع عن انتهاب الأموال وتحطيم الممتلكات وإجماع العالم على استنكار هذا الحادث الخطير وما اتخذته كافة المنظمات الدولية من إجراءات: منظمة المؤتمر الإسلامي ومؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية ومجلس جامعة الدول العربية ومجلس الأمن . كل ذلك يوم وقوع الكارثة في الثاني من أغسطس١٩٩٠م. هذا وقد مضى وقت على هذا الحدث الذي فزع له العالم وتواكبت إلى موقعه في ساحاتنا العربية أساطيل الدول وجيوشها بمختلف

أسلحة الدمار والتخريب ولا يزال قادة العراق معرضين عن الاستجابة للنصح والنزول عند حكم الله الصريح في كتابه.. فقد دعا القران إلى نصرة المظلوم ووقف الظلم حتى درجة القتال لذا فإن الأزهر الشريف ليعبر اليوم عن قلقه الشديد على مستقبل الأمة العربية والإسلامية إزاء الإصرار على هذا العدوان الأثيم والتمادي فيه ولقد ناشد الأزهر ويناشد الرئيس صدام حسيين وحكومته صدق الانتماء إلى الأمة العربية والإسلامية والعدول عن هذا المخطط الذي أجهض صلاحيات الأمة العربية للتقدم والنمو وأوقعها في مجال التهلكة التي تأتى على الأخضر واليابس والذي نزل بقدرها بين الأمم وأفقدها وسائل التعاون والتراحم والمودة فيما بينها بيدها لا بيد الآخرين بأن شذ نفر من قادتها عن الطريق القويم المستقيم فاجتاحوا بلداً وشعباً آمناً مطمئناً يؤدي واجبه نحو أمته في كافة المجالات وروعوا النساء والأطفال والشيوخ في مهاجعهم في غسق الليل وما كان هذا من صنع المسلمين. والرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من ترويع المسلم فقال فيما رواه أبو داود (**لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً**) وفي حديث آخر رواه البزار وغيره (**لا تروعوا المسلم فان روعة المسلم ظلم عظيم**) وفي حديث أبى هريرة الذي رواه الطبراني (**من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة**) كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يروع المسلم بالإشارة إليه بالسلاح فقال فيما رواه الشيخان (**لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار**) وفي رواية لمسلم عن أبى هريرة (**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه**) وفي حديث ابن مسعود فيما رواه البخاري (**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**). فأين هذا مما أحدثه جيش العراق بالكويت من تدمير وتخريب وقتل وترويع وتشريد وانتهاب للثروات وانتهاك للحرمات ؟ وأين هذا من نهي الإسلام عن ترويع غير المحاربين وقتلهم وتعذيبهم ؟ إلا أن ما حدث وتناقلته الأنباء من أعمال غير إنسانية

اقترفها جيش العراق بالكويت وأهله أمر مفزع محزن يرفضه الإسلام ويأباه خلق المسلمين . إن هذا الذي أوقعت فيه العراق هذه الأمة من موقف لا تحسد عليه إعداداً واستعداداً لمواجهة الكارثة التي توشك أن تقضي عليها لو استمر قادة العراق في المضي إلى آخر الشوط المخرب يقتضي أن تتجاوب الأمة العربية والإسلامية وتتنادي إلى التناصر ضد هذا البغي. إن مقتضى الدفاع عن النفس وعن الأمة أن تتسارع جيوشها إلى الإحاطة بالباغي حتى لا يمتد بغيه وأن تحاصره كما يحاصر الحريق. إن الله سبحانه وتعالى قد أذن بقتال الباغي ﴿**فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله**﴾.ومع هذا فان القوات العربية والإسلامية التي تنادت إلى مؤازرة باقي الدول التي تتعرض لشرور هذه الكارثة قد تعاونت على حصر الكارثة في محاولة لإيقافها حتى يعقل القائمون بها مدى العائد والفاقد من هذه الفعلة النكراء من احتلال لشعب عربي مسلم له حرمة الجوار بقوة عسكرية تفوق عدته وعدده والتنكيل به ..ولينظر هؤلاء الذين يحاولون تفجير المنطقة وتدميرها بعد أن انتهكوا حرمة بلد وشعب ماذا عاد عليهم من خير بما فعلوا من منكر ؟ وماذا فقدت الأمة؟ وهل يستويان، اللهم لا .

إن الضرر كبير بما لحق الأمة في كرامتها ومقدراتها وإذا كان جيش العراق وقادته قد انتهبوا مالاً، أو اقترفوا آثاماً فإن ذلك ليس كسباً وإنما هو من باب البغي الذي حرمه الله وحذر من عواقبه وأمر بالتصدي له. إن القوة التي اجتاحت الكويت قد أعدت نفسها واستعدت وبيتت بليل دون سابقة إنذار بل وفي ظل عهود ووعود قطعوها على أنفسهم ألا يقدموا على ما فعلوا وإن يجلسوا مع جارهم للحوار والعتاب فيما اختلفوا عليه. وكانت المفاجأة الفاجعة أن تكتسح الكويت وشعبه الآلة الحربية الثقيلة والمدافع والصواريخ وكل آلات الحرب المعاصرة وما كان هذا من شجاعة العرب والمسلمين بل ما كان من طبيعة العربي أن لا يرفع سيفه إلا على من كان بيده السيف ولم يكن يباغت آمنا ولا يهاجم خصماً أعزل من السلاح. أين هذا

مما حدث ؟ هل انخلع هذا الجيش المهاجم من خلق العرب وطبائعهم التي كانت تجري في نطاق أحكام الإسلام الذي يمنع المباغتة أو الهجوم المفاجئ لقتل العزل من السلاح. وإذا كانت الشعوب العربية من حول الكويت قد فجعت وفوجئت بما فعله جيش العراق واستنجدت بجيوش الدول العربية والإسلامية وغيرها من الدول التي تملك الأسلحة المتكافئة مع ما اعتدى به جيش العراق على الكويت فإنه لا ضير في ذلك لأن استنجادها بتلك القوات على اختلاف جنسياتها إنما هو قائم على مبدأ الاتفاقات والتعاهد الدولي ومن حقها أن تدافع عن نفسها وأن تحمي أرضها وحرماتها من هذا الشقيق الغادر الذي لم يرع عهداً ولا وعداً ولا ذمة. وادعاء العراق أنه بفعله هذا يكون مجاهدا غير صحيح لأن الجهاد لا يكون بغياً ولا عدواناً على الجار المسلم الشقيق كما أن الادعاء بأن القوات الوافدة دنست الأرض والحرمات ليس صحيحاً لأنها وافدة بإذن أصحاب هذه البلاد ولرد العودان عنها وهي قوات مسلمة أو معاهدة والاستعانة بمثل هذه القوات أمر مشروع في الإسلام بل من أسس الإسلام ومن حقوق المسلم أن ينصره ويرد الظلم عنه وكذلك الشأن في المعاهد أيضاً.

والقول بانتهاك الأرض المقدسة بدخول القوات غير المسلمة أرض المملكة العربية السعودية غير صحيح لأن هذه القوات إما مسلمة أو معاهدة وقد جاءت لرد العدوان ولدفع الظلم وإن الأزهر الشريف بالرغم من هذا الواقع المؤلم ورغبة في تجاوزه بل وكشف الضر الذي حل بالأمة ليدعو قادة العراق إلى العدول عما أقدموا عليه وسحب جيوشهم داخل بلادهم وعودة حكومة الكويت الشرعية إلى بلدها وأهلها وهذا من باب الرجوع إلى الحق والعدول عن الخطأ والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل وخير الخطائين التوابون ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾.

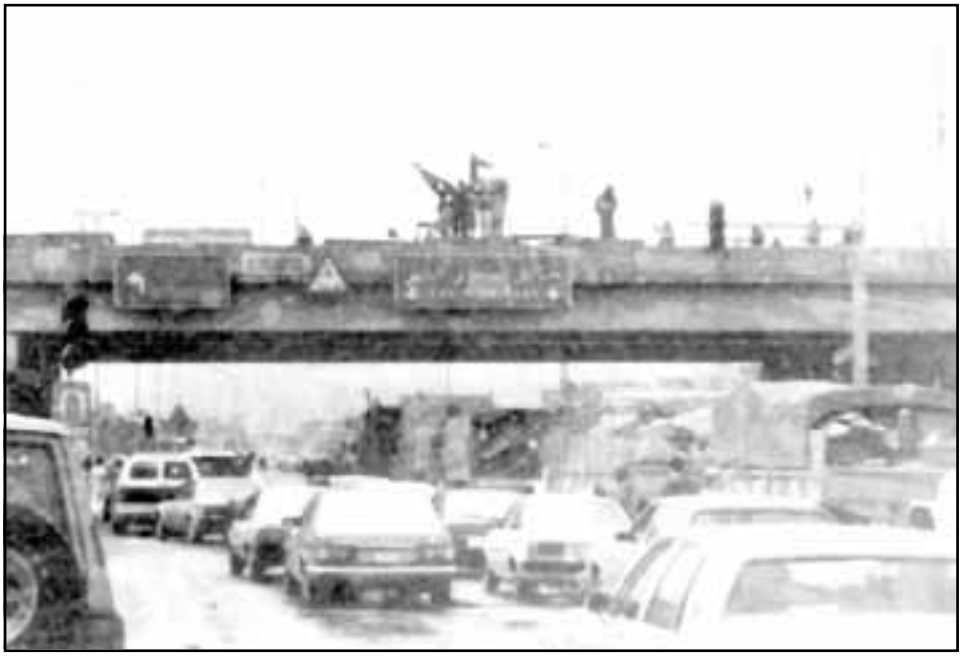

■ لأول مرة بعد الغزو يخرج الكويتيون إلى الشوارع بحرية ■

أبيض

# البيانات

# بيان من دار الإفتاء
# في جمهورية مصر العربية

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

# بيان من دار الإفتاء في جمهورية مصر العربية

طالب فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي مفتي الجمهورية في بيان لدار الإفتاء بضرورة انسحاب القوات العراقية من الكويت تنفيذاً لحكم الإسلام الذي يحرم الاعتداء على الغير، كما طالب بتكاتف جيوش المسلمين لقتال الطائفة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله حماية للأمة من التناحر وسفك الدماء ومراعاة لحرمة الإخوة والجوار وأن مهمة اختيار الحاكم وتنصيبه وعزله هي أمر مكفول لأهل الحل والعقد من شعبه دون سواهم.

وأضاف البيان أن السلام بين الناس هو الأصل وأن الحرب لا يتم اللجوء إليها إلا عند وقوع الظلم والعدوان على العقيدة أو النفس أو العرض أو المال أو الوطن، وشريعة الإسلام تنهى نهياً قاطعاً عن الاعتداء على غير المقاتلين.

وقال البيان أن دار الإفتاء في هذه الظروف العصيبة ترى لزاماً عليها أن تبين الحكم الشرعي في أمور التبس فيها الحق بالباطل وألصقت بالدين بطريقة لا تمت إلى الدين بصلة. وأفتى الذين ركنوا إلى الذين ظلموا بفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان، وتستر الذين ارتكبوا ما ارتكبوا من جرائم باسم الدين يتاجرون به ويتمسحون بردائه والدين منهم ومن أفعالهم بريء.

**ودار الإفتاء ترى لزاماً عليها أن تبين الحقائق الدينية الآتية:**

**أولا:** إن شريعة الإسلام أقامت العلاقات بين أفراد المجتمع الإنساني كله على التعارف والترابط والتعاون والعدل وتبادل المنافع التي أحلها الله تعالى وتقوية الروابط الفاضلة ، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ﴾ [ **الحجرات** : ١٣ ].

ولقد عمقت شريعة الإسلام مبدأ السلام في نفوس أتباعها حتى صار

عقيدة من عقائدهم وجزءاً من كيانهم ويكفي أن الله تعالى الذي أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بشريعة الإسلام، من أسمائه الحسنى: لفظ السلام. ومما اتفقت عليه جميع الشرائع السماوية أن السلام بين الناس هو الأصل وأن الحرب لا يلجأ إليها إلا عند وقوع الظلم والعدوان على العقيدة أو النفس أو العرض أو المال أو الوطن.

وفي جميع الأحوال فإن شريعة الإسلام تنهى نهياً قاطعاً عن الاعتداء على غير المقاتلين. ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [**البقرة**: ١٩٠].

وقد جاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فأكدت هذا النهي عن الاعتداء ومن ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**اغزوا باسم الله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع**).

**ثانياً**: أن شريعة الإسلام قد وضعت للحرب شروطاً وآداباً من أهمها أنها حرمت تحريماً قاطعاً الغدر والخيانة ونقض العهود والمواثيق وأخذ الآمن على غرة سواء كان ذلك من المسلمين أم مع غير المسلمين. إذ لا يصح لدولة مسلمة بينها وبين دولة أخرى مسلمة أو غير مسلمة عقد آمان أو عدم اعتداء أن تباغتها وتفاجئها بالعدوان عليها بدون إعلامها بما يدل على تحللها من تلك العهود والمواثيق . والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾ [**الأنفال**: ٥٨].

والمعنى وإما تعلمن يا محمد من قوم بينك وبينهم عهد أنهم في طريقهم لنقض هذا العهد فاطرح إليهم عهدهم وأعلمهم إعلاما واضحاً صريحاً بذلك قبل أن تحاربهم حتى لا تكون أنت وهم في العلم بالتحلل من هذا العهد سواء لأن الله تعالى لا يحب الخائنين لعهودهم ولقد طبق السلف

الصالح هذه الآداب تطبيقاً تاماً يدل على ذلك ما ذكره أبو داود في سننه أن معاوية كان بينه وبين الروم عهد فلما انقضى أراد أن يُغير عليهم فإذا رجل على فرس يرفع صوته ويقول الله أكبر وفاء لا غدراً وإذا هو عمرو بن عبسة.

فسأله معاوية ما شأنك؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحل عهدا ولا يشدنه حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء. فلما سمع معاوية ذلك رجع بالناس . وإذا كان هذا هو الشان مع غير المسلمين فما بالك بحاكم مسلم يأمر أعوانه وجنوده بغزو دولة مسلمة بدون سابق إنذار أو علم واجتياح أرضها وأموالها وكل شيء فيها في بضع ساعات وأهلها نائمون مطمئنون!! وإذا لم يكن هذا الفعل الشنيع هو الغدر بعينه فماذا يكون الغدر!! لقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر - أي ناقض للعهد - لواء فيقال هذه غدرة فلان بن فلان أي يقال هذه الراية لفضيحة فلان ابن فلان الذي خان الوعود ونقض العهود**).

**ثالثا**: أن حكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في شأن الأحداث الجارية واضح وضوح الشمس في رابعة النهار وليس فيه أي لبس أو خفاء . أما حكم الله تعالى فنراه في قوله سبحانه: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [**الحجرات**: ٩].

فهذه الآية الكريمة بينت بأسلوب صريح ثلاثة أحكام شرعية أولها: أنه إذا حدث نزاع أو قتال بين طائفتين من المؤمنين فعلى المسلمين وحكامهم أن يتدخلوا بينهم بالصلح عن طريق بذل النصح وإزالة أسباب الخلاف

بكل إخلاص في النية وصدق في العزيمة. ثانيهما: أنه إذا بغت إحدى الطائفتين على الأخرى وأصرت على عدم قبول الصلح فعلى المسلمين وحكامهم أن يجمعوا أمرهم على قتال الفئة الباغية وأن ينفذوا ذلك بدون أي تردد أو تباطؤ حتى ترجع هذه الفئة الظالمة الباغية إلى حكم الله تعالى. ثالثها: أنه إذا رجعت الفئة الباغية إلى الصلح وأقلعت عن بغيها فعلى حكام المسلمين أن يصلحوا بين الطائفتين المتقاتلتين إصلاحاً متسماً بالعدل التام.ا هـ

# البـيانـات

# بـيـان من الهيئـة الـخـيرية الإسلامية العالمية بالكويت

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

# بيان من الهيئة الخيرية الإسلامية بالكويت

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا المبعوث رحمة للعالمين ومن هو بالمؤمنين رؤوف رحيم اللهم ندعوك بدعوة نبيك أن ترزقنا خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا.

إخوتنا في الإسلام والإيمان:

قال الله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياْ أو فقيراْ فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً**﴾ وقال تعالى: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ وقال تعالى: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله**﴾.

إخوتنا في الإسلام والإيمان: خلال ٤٢ عاما ماضية أخرج إخوانكم العرب من ديارهم وأولادهم ثلاث مرات المرة الأولى أخرجوا من فلسطين على يد الصهاينة، وفي المرة الثانية أخرجوا من الجولان وسيناء على يد الصهاينة أيضا، وفي المرة الثالثة - هذه الأيام - يخرج إخوانكم في موجات متتابعة من الكويت على يد من يدعون أخوتهم في العروبة والدين. والفارق أن الخروج في المرة الأخيرة كان أكثر مأساوية ، وأشد قسوة وأنكى فظاعة وأعظم دموية، كما تميز عن سابقيه بأمر غريب عجيب يحار له العقل، ويضل فيه الحليم، وهو أن المرتين الأوليين أجمع العرب والمسلمون قاطبة على إنكار الظلم والتألم والحزن له والتنديد بالظالم. أما في هذه المرة فإن

مما يدمي القلب أن فريقاً من إخواننا في العروبة والدين فرحوا بالكارثة ، وناصروا البغي ومجدوا الظالم وشمتوا بالمظلوم ، وظاهروا على إخوانهم الأبرياء بالإثم والعدوان ﴿ **وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاْ منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ .

فهل يرى إخواننا عفا الله عنهم أن الوعيد الإلهي بالخزي في الحياة الدنيا والعذاب في الآخرة قاصر على بني إسرائيل، أم يرون أنهم يأمنون من حلوله بهم فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. والأعجب والأغرب أن هذا الفريق من إخواننا عفا الله عنهم حينما واجهت البلاد المهددة بالضربة الثانية العدوان وحاولت أن توقف مسلسل الكوارث بحشد الوسائل المادية المتاحة ، ومنها قبول إعانة من عرض معاونتها من الدول، تداعى هذا الفريق إلى التنديد بالضحية وتضليلها وتأييد الجزار وتقديسه، ومباركة بغيه وقلبت المفاهيم، وحرفت القيم وامتد التجاوز إلى القول على الله وكتابه بغير علم في أمور أساسية في منهج الإسلام، وقدمت تفاسير غريبة وفتاوى شاذة لآيات الولاء والبراء في سورتي آل عمران والمائدة وغيرهما، ولو رد الأمر إلى الله ورسوله، ولو سئل أهل الذكر، ولو كلف هؤلاء المفتون أنفسهم بتناول أقرب مرجع فقهي وبحثوا في باب الجهاد عند الكلام على من يرضخ له ومن يسهم له لتبين لهم أن المذاهب الأربعة كلها على مشروعية وجواز استعانة المسلم بغير المسلم في القتال للحاجة. نسوق على سبيل المثال أن الإمام النووي رحمه الله وهو طود من أطواد الفقه والبصيرة - في شرحه لصحيح مسلم تحت باب (كراهية الاستعانة في الغزو بالكافر إلا لحاجة) وبعد كلام وفق فيه الأحاديث والآثار المختلفة في الباب قال رحمه الله ((وإذا

حضر الكافر (يعني القتال) بالإذن رضخ له ولا يسهم له وهذا مذهب مالك والشافعي وأبى حنيفة والجمهور[١]، وقال الزهري والأوزاعي يسهم له)) وكما هو واضح من النص فإن الخلاف بين العلماء هو هل يرضخ لغير المسلم أم يسهم له وهي مسألة فرعية، لا تقوم إلا بعد الإقرار بمشروعية حضور غير المسلم لمعاونة المسلمين عند حاجتهم إلى معونته.

وقراءة النص توضح أنه يتعلق بالاستعانة بغير المسلم في الغزو (الحرب الهجومية) وعند الحاجة فكيف بالأمر في حالة الدفاع وعند الضرورة، وتلاحظون رحمكم الله أن الإمام النووي عندما كتب هذا النص كانت الأمة الإسلامية تمر بأحرج أوقاتها إذ كان يطبق عليها أعداء الإسلام الصليبيون من الغرب والتتار من الشرق ، وكان افتراض إعانة غير المسلم للمسلم في القتال في ظروف ذلك الواقع أمراً مستحيلاً. فلو لم تكن المسألة في ذهن الإمام بغاية الوضوح لكان من شأن ذلك أن يتأثر به النص فهل يتصور إخواننا - عفا الله عنهم - أن أئمة المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم الذين أجازوا الاستعانة بغير المسلم في القتال للحاجة واتباعهم من الفقهاء طوال كل القرون الماضية كانوا جاهلين بتفسير آيات الولاء والبراء، أم كانوا قاصرين في تصور مفهوم الولاء والبراء، وهو أمر أساسي في المنهج الإسلامي ؟ اللهم إننا نعوذ بك من تلاعب الأهواء بالعقل والدين والفقه، وبعد ذلك فما رأي هذه الفتاوى الشاذة والمواقف الغريبة في الجانب الثاني هل يرون أن كل أفراد جيش الباغي ينتسبون إلى الإسلام (ولا نقول يتحققون به)، أم يرون أن الجانب الثاني قام ببغيه وعدوانه لتكون كلمة الله هي العليا ؟ بل هل يتصور أن حرية الإسلام ممارسة ودعوة وعملاً تحت حكم الجانب الثاني أكثر منها تحت حكم أي دولة غربية؟. إذا كانوا يتصورون ذلك فليسألوا إخوانهم من المواطنين العراقيين الذين فروا بحرياتهم ودينهم

(١) رضخ له من الغنيمة: أي أعطاه قدراً يراه مناسباً دون أن يجعل سهماً في القسمة كغيره من المجاهدين.

إلى دول أوربا وأمريكا. إن البلاد المبغي عليها والمهددة بالعدوان بالرغم مما يكون لديها من تقصير في العمل وقصور في التطبيق، وما لا تخلو منه المجتمعات من الذنوب والمعاصي، تعلن رسمياً اعترافها بأن كلمة الله هي العليا، وشريعته هي الحاكمة، والكتاب العزيز والسنة الصحيحة هي الحكم الفصل في النزاع، وتقيم في كل مدينة أو قرية أجهزة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهلا كلفوا أنفسهم بالموازنة بينها وبين الجانب الثاني، الذي تظاهروا بتأييده، وأبدوا الرغبات في التطوع للقتال في صفه.

قبل سبعة قرون تقريباً قام ابن تيمية وزملاؤه من العلماء الصادقين بقيادة المسلمين وتحريضهم على وقف زحف التتار ، فووجهوا بمواقف غريبة وفتاوى شاذة تشكك في شرعية قتال التتار بدعوى أن سلطان التتار مسلم وأنه تقام فيهم الصلوات والمساجد ويوجد لديهم الأئمة والمؤذنون - فليرجع إخواننا- سامحهم الله - إلى التاريخ ليروا أي كارثة كانت سوف تحل بالإسلام وأمة المسلمين لو لم يمكن وقف الزحف. لو انتصر التتار بمعونة المواقف الغربية والفتاوى الشاذة. فلا إله إلا الله فما أشبه الليلة بالبارحة!! إننا في هذه الأوقات الحرجة نتوجه إلى إخواننا هؤلاء بأن يقوموا لله مثنى وفرادى ويتفكروا، ويقرؤوا الآيات الكريمة التي صدرنا بها هذا البيان، وليصدقوا الله ، وليصدقوا مع أنفسهم ويتعرفوا على مدى اتفاق مواقفهم مع حكم الآيات الكريمة، ومع ما ترسمه من قيم أساسية في المنهج الإسلامي، وليسألوا أنفسهم هل مواقفهم منسجمة مع ما يدعو إليه كل مسلم مخلص من العمل على تطبيق شريعة الله في الأرض، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يسود منهج الإسلام وقيمه، وليواجهوا أنفسهم بهذه الأسئلة:

هل يجهلون أن المسلم محرم العرض والدم والمال ؟

هل يجهلون أن الكويتي استحل عرضه ودمه وماله وأن السعودي يهدد بذلك ؟ إن كانوا يعتقدون أن الكويتي أو السعودي غير عربي فهل يعتقدون

أنه غير مسلم؟ هل يعتقدون أن موجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأييد استحلال حرمة المسلم الذي أعلن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أن حرمته عند الله أعظم من حرمة الكعبة؟

هل من قيم الإسلام اتباع الهوى والانسياق وراء عاطفة البغضاء والشنآن والعدول عن العدل؟

هل من قيم الإسلام تأييد الطائفة الباغية وهل يرون أن الحرب تحت رايتها باللسان أو باليد هو الجهاد في سبيل الله وأنه محض تطبيق الآية الكريمة: ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا** ﴾.

وكلمة للقادة والعلماء الذين أخذ الله عليهم الميثاق ببيان الحق والعلم وعدم كتمانه وأن يحاسبوا أنفسهم قبل الوقوف بين يدي الله ويتساءلون هل يغني عنهم لديه سبحانه اعتذارهم بعدم قدرتهم على مواجهة ضغط الشارع وأهواء المخدوعين المساكين من الجماهير.

إخواننا في الإيمان والإسلام في مشارق الأرض ومغاربها:

إننا نكتب هذا البيان ومجموعة من إخوانكم مجتمعون يحاولون جاهدين إيجاد حلول مؤقتة لمشكلة خطيرة من إفرازات الكارثة وهي مشكلة الآلاف من المشاريع الخيرية التعليمية والاجتماعية والصحية المنتشرة في المجتمعات الإسلامية في آسيا وأفريقيا والتي كانت تقوم عليها الهيئات الخيرية في الكويت، وهذه المشاريع مهددة الآن بسبب وقف إخوانهم تمويلها إذ أن الجمهور من المحسنين الذين كانوا يقدمون التمويل هم من إخوانكم الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق، خرجوا بملابسهم أو بعض ملابسهم. ولذلك فإننا باسم عشرات الألوف بل مئات الألوف من المنتفعين بهذه المشاريع من الأيتام، والمعلمين، والطلاب والفقراء والعجزة والمرضى، نناشدكم باسم هؤلاء جميعاً بأن تتوجهوا إلى الله ملاذ المستضعفين وناصر المظلومين بالدعاء أن لا يطيل أمد المأساة وأن يجعل لهم من الهم فرجاً ومن

الضيق مخرجاً ومن البلاء عافية، فالاعتماد على الله وحده والنصر منه، وهو أرحم الراحمين. وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلي الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه الذين وصفهم ربهم بأنهم أذلة على المؤمنين رحماء بينهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

■ أعلام وابتسامات ■

# البـيانـات

# بـيـان من هيئة كبار العلـماء في المملكة العربية السعودية

# أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

# بيان من هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعل آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ولزم سننه إلى يوم الدين وبعد:

فإنه لم يغيب عن علم هئية كبار العلماء وغيرهم في المملكة العربية السعودية ما حدث على حدودها من حشود قوات كبيرة وعدوان على دولة مجاورة من دولة العراق وقد بلغ الهيئة ما تناقلته وكالات الأنباء وبثته وسائل الإعلام ونقله الفارون من الدولة المعتدى عليها الكويت من أمور فظيعة وجرائم خطيرة واستهتار بالقيم وانتهاك لحرمة الجوار مما واقعه أعظم من وصفه والسعيد من وعظ بغيره وهذا هو الذي حدا بولاة الأمر في المملكة العربية السعودية إلى أن يأخذوا بأسباب حماية بلادهم وأهلها ومقوماتها من التعرض لمثل ما تعرضت له جارتهم الكويت وأن يطالبوا إعانة الدول العربية وغير العربية لدفع الخطر المتوقع، والوقوف بوجه العدوان المرتقب ممن يريد مداهمة البلاد وقد حققت وقائع الأحوال في الكويت أن هذا العدو لا يوثق بوعده ولا تؤمن خيانته.

ولذا فان بيان الحكم الشرعي في هذه المسألة أمر حتمي ليكون الناس في هذه البلاد وفي غيرها على بصيرة من الأمر ويجلي لهم الواقع عن طريق علمائهم لهذا قرر مجلس كبار العلماء عقد جلسة خاصة لإصدار هذا البيان ليوضح للناس فيه ضرورة الدفاع عن الأمة ومقوماتها بجميع الوسائل الممكنة وأن الواجب على ولاة أمرها المبادرة لاتخاذ كل وسيلة تصد الخطر وتوقف زحف البشر وتؤمن للناس سلامة دينهم وأموالهم وأعراضهم ودمائهم وتحفظ لهم ما ينعمون به من أمن واستقرار.

لذا فان مجلس هيئة كبار العلماء يؤيد ما اتخذه ولي الأمر- وفقه الله - من استقدام قوات مؤهلة بأجهزة قادرة على إخافة وإرهاب من أراد العدوان على هذه البلاد ، وهو أمر واجب عليه تمليه الضرورة في الظروف الحاضرة ويحتمه الواقع المؤلم ، وقواعد الشريعة وأدلتها توجب على ولي أمر المسلمين أن يستعين بمن تتوفر فيه القدرة وحصول المقصود، وقد دل القران والسنة النبوية على لزوم الاستعداد وأخذ الحذر قبل فوات الأوان وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**هيئة :كبار العلماء:**

عبد الله خياط - عبد العزيز عبد الله بن باز - عبد العزيز بن صالح

إبراهيم بن محمد آل الشيخ - محمد بن جبير - عبد الرازق عفيفي

صالح بن غصون - عبد المجيد حسن - راشد بن خنين

صالح بن محمد اللحيدان - عبد الله بن عبد الرحمن - سليمان بن عبيد - عبد الله بن سليمان المنيع - صالح بن فوزان الفوزان - محمد بن صالح العثيمين حسن بن جعفر العلي - عبد الله بن عبد الرحمن البسام

■ احتفل الكويتيون بالانتصار ■

# أبيض